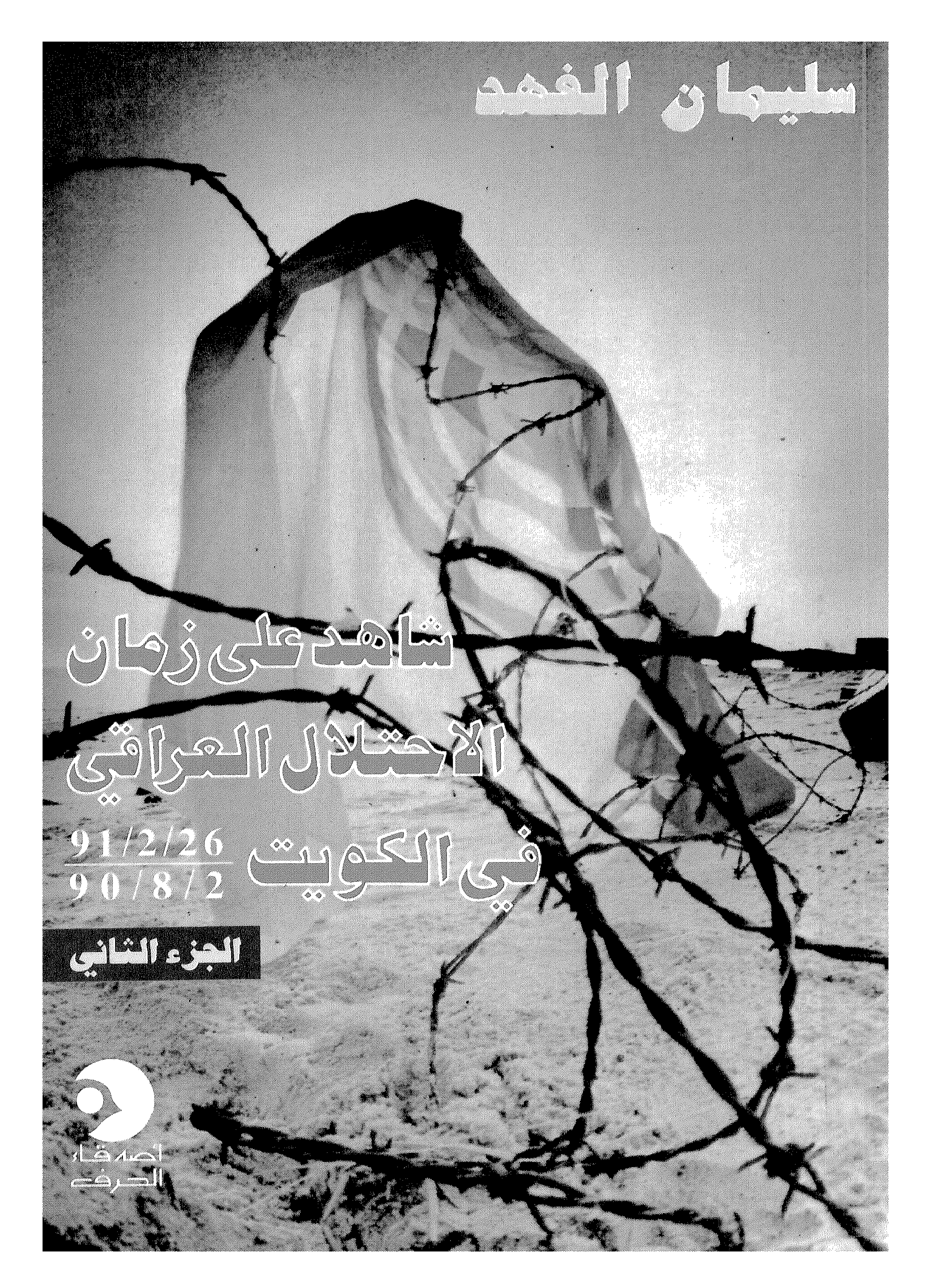

سليمان الفهد
شاهد على زمان
الاحتلال العراقي
في الكويت
91/2/26
90/8/2
الجزء الثاني
أصدقاء
الحرف



شاهد على زمان
الاحتلال والتحرير

سليمان الفهد

شاهد على زمان الاحتلال العراقي في الكويت

شارك في التأليف : ستيفاني .أ. ماجيهى
كاثي لين مجروجر

الجزء الثاني



الطبعة الأولى
فبراير 1992

الاهــداء

إلى الجهراوية . . أم سعد

الكويتية بالفعل والانتماء . . .

لا بالجنسية

***



مقدمة

شاهد على زمان الاحتلال والتحرير

● حين شرعت في كتابة الجزء الأول من هذا الكتاب ، كنت أحسب بأنه سيكرس لمحنة الاحتلال « الصدامي » الغاشم فحسب . . ومن هنا كان اختياري لاسمه وعنوانه ، منذ أن كنت مرابطاً في الكويت المحتلة ؛ (شاهد على زمان الاحتلال العراقي) .

لكن المعاناة والهموم والسلبيات ، التي ظهرت بعد تحرير البلاد ، دفعتني الى الكتابة عن بعض هموم هذه الفترة ، لاعتقادي بأن اغفالها ـ في ظل الظروف الحرجة التي تعيشها بلادنا ـ يخل في سياق شهادتي . . . سيما أن هناك رابطة عضوية بين بعض الأسباب التي حرضت على غزو الكويت واحتلالها . . وبين بعض النتائج التي تمخضت عنها .

وفي اعتقادي المتواضع بأن الحصان الأول الذي راهن عليه « صدام حسين » لضمان نجاح غزو الكويت وضمها الى عزبته الكبيرة المعروفة باسم العراق هو : يقينه بأن الكويتيين سيهتفون للغازين المحتلين « هلا بيكم هلا . . وبجيتكم هلا[1] » . فلم يكن ثمة شك ـ لدى المنظمة الارهابية التي تتحكم بالعراق ـ بأن الكويتيين سيرحبون ويهللون للانضواء تحت حكم الرئيس المهيب ! أو على الأقل لن يعترضوا على فعلته البتة ! فما دام في الكويت معارضة ومعارضين فهذا يعني ـ بالضرورة ـ أن المعارضين طامعون

(1) أهزوجة غنائية يرددها الهتيفة للرئيس المهيب في أي مكان يحل فيه .

بالحكم وراغبون في الوصول إليه ـ كما هي العادة العرباوية العتيدة ـ حيث يتم ذلك على ظهر دبابة وعبر بحر من الدماء وجبال من الجثث ؛ وما الى ذلك من طقوس الانقلابات العربية العسكرية اياها .

ولم يكن سراً بأن الكويت كانت طافحة بمئات الأعوان والعيون والجواسيس والعملاء الذين يعملون لصالح نظام الرئيس المهيب . وقد تأكد ذلك من خلال الوثائق والتحقيقات التي أعقبت دحر المحتلين وتحرير الوطن .

فقد أثبتت الوثائق التي خلفها « الأخوة الأعداء » إثر انسحابهم وفرارهم على حين غرة . . بأن المنظمة الارهابية الصدامية حاضرة في أغلب الوزارات والمرافق الكويتية .

إن الغلطة المميتة القاتلة التي أفشلت الغزو ودحرت وطردت المحتلين ، تكمن في أن المخبرين الذين دبجوا التقارير عن الوضع السياسي في الكويت ، حرصوا على أن يكون مرضياً لهوى الرئيس المهيب وديكتاتوريته المفرطة الشاذة . . فضلاً عن حرصهم على الاهتداء بالتقاليد العريقة لتقارير المخابرات وأمن الدولة في ديار العالم الثالث . . والتي ألفت النظر إلى الرأي الآخر على أنه نفي للرأي الأول ـ وهو هنا رأي النظام وأزلامه ـ ويشكل خطراً على وجوده وعلامة على ذلك!

وإذا كان صحيحاً بأن المعارضة الحاضرة في الحياة السياسية العريقة الديمقراطية تمثل الوجه الآخر للحكم والسلطة و« حكومة الظل » والمشاركة في السلطة عبر المؤسسات الدستورية . . فإنه صحيح بأن المعارضة الكويتية تسير على هذه الجادة ، بغض النظر عن هناتها وعثراتها . وهذا التحليل لم أخرجه من جعبتي ؛ بل إنه يمثل قول وفعل المعارضة « التقليدية » والحديثة ذاتها .

لكن السؤال هنا هو : من يتجرأ على صياغة تقرير للرئيس المهيب : يذكر فيه الحقيقة غير المألوفة لدى المنظمة السرية الارهابية ، التي تحكم العراق بالقمع والارهاب والاعدام . . الى آخر بقية أصناف « وجبات » النظام القمعي الارهابي .

وفي هذا السياق ، أذكر أنه أبان الاحتلال الغاشم كان يتردد علينا في أحد الدواوين أحد أفراد ما يسمى بالجيش الشعبي للسلطة الاحتلالية . وراعني وهو البعثي العتيق والسياسي العريق الذي احترف السياسة منذ دراسته الثانوية . . . أقول راعني جهله

المطبق بالكويت والكويتيين[1] . فقد بادر الحاضرين في أول زيارة له بقوله : إنه يحترم أهالي منطقة « كيفان » لأنهم معارضون . . ولذا فإنه يتطلع إلى أن يتعاونوا معه بدعوى أن غاية المحتلين والمرابطين واحدة ! ودلل على بلاغته السياسية بالإشارة إلى موقف الكثيرين من أهالي المنطقة من انتخابات المجلس الوطني التي تمت قبل الاحتلال بأسابيع قليلة !

وأحسبني لست بحاجة الى التنويه بأن قولة القائد الحزبي لم تلق سوى الصمت المدوي بالسخرية . الطالعة من بؤبؤ العين والنحنحة واللعب بحبات المسباح والهمهمة والغمغمة التي يطلقها المسنون بين حين وآخر . أضف إلى ذلك أنه سمع من يقول له ـ صراحة ـ بأن اجتهادهم تجاه مقاطعة انتخابات المجلس الوطني لا تعني القطيعة مع النظام ولا تفضي الى استيلائهم على السلطة بامتطاء دبابة ساعة الفجرية . ولأن القائد الحزبي كان محاطاً بحشد من الحرس المدجج بالسلاح ، والتوجس من الرفاق « النشامى » فقد راح يتقيأ كلاماً يدل على الخواء والجبن والببغاوية . .

ومع تقادم الأيام وتواصل زيارته للديوانية ، تعرف من روادها على معدن المعارضة الكويتية . ومن يومها بلع ريقه وكف عن ترديد محفوظات وأدبيات الدروس الخصوصية للمنظمة القمعية الارهابية التي ازدردها عنوة أو طمعاً في غنيمة !

***

(1) راجع صفحة « 107 » من الجزء الأول .

في لقاء عفوي مترع بالدفء والصدق(*)

الأمير يروي تفاصيل مغادرة البلاد صبيحة يوم الغزو

● بداية يود العبد لله أن يقول للقارىء بأن هذا التقرير ـ ان جاز تسميته كذلك ـ ليس مقابلة صحفية مع سمو أمير البلاد حفظه الله: أولاً: لأن العبد لله ليس صحافياً، وثانياً: لأن المقابلة تمت في اطار الواجب.. ولكن سعة صدر سموه أحالت اللقاء إلى لقاء عفوي مترع بالدفء والصدق.. الأمر الذي حرضني على أن أسأل سموه عن متى، وكيف ولماذا غادر الدير صبيحة نهار الاحتلال الغادر؟!

● في مصر المحروسة: كان السؤال الذي سمعته من الأصدقاء ـ فضلاً عن عامة الناس ـ هو متى وكيف غادر الأمير «بتاعكو»؟!

السؤال الآخر هو: هل كان ثمة أحد من أفراد أسرة «الصبّاح» بالتشديد كما ينطقها اخوتنا المصاروه.. في الكويت أثناء الاحتلال؟!

بالنسبة للسؤال الأول: كنت أقول لا أعرف.. وفي الوقت نفسه: كنت أنفي الرواية الشائعة التي رواها «بيير سالينجر» التي يذكر فيها بأن سمو الأمير وسمو ولي العهد قد لجأ إلى السفارة الأميركية في الكويت!! لأني على ثقة بأن ذلك لم يحدث ولا يمكن أن يحدث.

(*) القبس: 3/12/91.

سؤال مصراوي معجون بالدهشة (يعني الخواجة سالينجر يكذب؟!) جواب نعم. . يكذب. . . هو مش بني آدم. . ولا يعني عشان «خواجه» لازم نصدق كل حاجة يقولها؟! وعلى كل حال بكره سوف تعرفون الحقيقة لأن حبل التلفيق ولوي الحقائق والكذب قصير.

● أما بالنسبة للسؤال الآخر المتسائل عن وجود أحد من أسرة الصباح. . فكنت أرد عليه قائلاً: بالطبع كان العديد منهم موجودين في الكويت المحتلة. فعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر (أمثال أحمد الجابر الصباح، وأم الخير الاسم الحركي للشيخة، وصباح ناصر سعود الصباح، وعلي سالم العلي، وطلال وعذبي وخالد وضاري أنجال الشهيد فهد الأحمد الجابر الصباح، سالم الفهد السالم الصباح. . . و. . غيرهم).

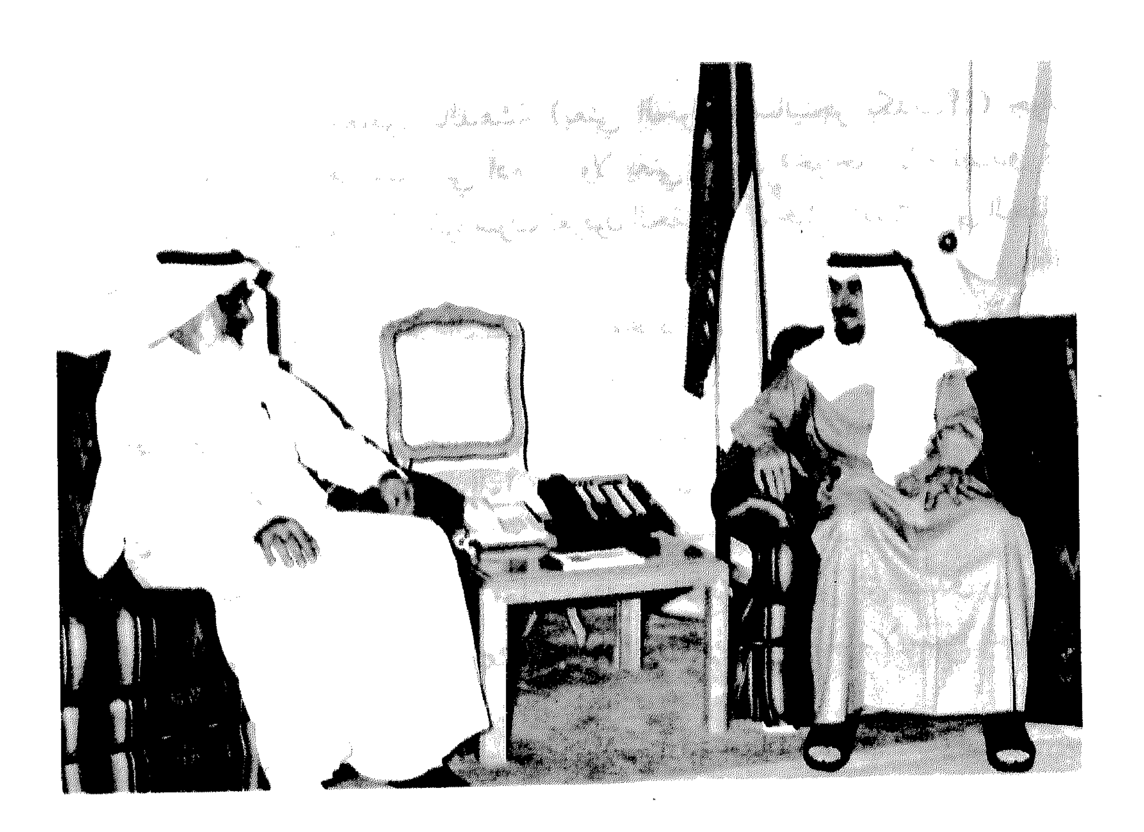
ومن خلال ما شهدته بعيني: وما سمعته من الآخرين الذين أثق بصدق روايتهم: يمكنني القول ـ بكل تجرد ـ ان حضورهم لم يكن بروتوكوليا أو شكليا ـ لا سمح الله. . بل انه حضور فاعل ومؤثر وايجابي.

● فقد حدثني بدر أحمد صالح الدعيج (من ادارة حماية الشخصيات) عن شجاعة الشيخة أمثال ورباطة جأشها، وقوة شكيمتها، يقول ذلك بحكم معايشته لها، طوال فترة وجودها في الكويت المحتلة، فقد كان بدر الدعيج. . . يقود لها السيارة: ويطوف بها في أرجاء الكويت المحتلة: وهي تخفي ملامحها وهويتها بالبرقع والبطاقة المزورة!

وفي السياق نفسه حدثني العم. . عبد الله الخلف السعيد «بأنها راحت إلى بيته تنخاه وتستصرخه أن يفعل شيئا للديرة والعم بوخلف ـ طال عمره ـ من المحاربين القدماء الذي كان يروي ما ذكرت في معرض الحديث عن استنفار الشيوخ للكويتيين «الفزعة» حين تلم بالديرة أي بلية.

● وقد عملت مع الأخ صباح ناصر سعود الصباح. . . عدة أشهر. . . وأشهد انه كان رغم صغر سنه حكيماً متواضعاً ديمقراطياً جريئاً لا يكل أو يمل من العطاء والفعل.

فكنت أراه يقابل اللجان العليا، التي كانت تسير أمور البلد، ابان فترة الاحتلال. . فأجده على الدوام باسم الثغر مسكونا باليقين بتحرر الديرة من ربقة الاحتلال. ومن هنا: لم يحفل بمسألة الاعتقال والسجن. . الخ؛ على الرغم من امكانية حدوث ذلك في كل مكان وحين يحل فيه!



● وكلنا سمع عن رجولة وفروسية الشهيد الفارس العروبي «فهد الأحمد» رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. . حسبه انه مات واقفا كما النخلة الشيماء. . حسبه انه مات شهيدا وبس! فالاستشهاد أبلغ فعل يعبر به المواطن عن انتمائه وولائه للأرض والديرة وقيادتها الشرعية.

خلاصة الكلام: ان الأسرة الحاكمة كانت حاضرة ومتواجدة وفاعلة في الكويت المحتلة. . والحق ان الكويت ـ كلها ـ كانت حاضرة محنة الاحتلال؛ حيث تجسدت الوحدة الوطنية في أحلى وأمتن معانيها.

● لقد اكتشفنا ذاتنا. . . جوهرنا. . . معدننا بعد أن زال عنه صدأ الحياة النفطية! عرفنا الحقيقي من الزائف؛ وأيقنا بأنه لا يصح الا الصحيح. . . والصحيح ـ في اعتقادنا ـ يكمن في تحرر الديرة من ربقة الاستعمار العربي (على رأي أخينا الشاعر العربي المصري الصعيدي عبد الرحمن الأبنودي) كانت المخابرات العراقية تشيع بيننا ـ نحن

معشر الصامدين، بأن القيادة الشرعية للبلاد، قد ولت الأدبار وفرت هاربة او أحسبني لست بحاجة إلى التنويه بأن هذه الفرية كانت تقابل بالهزء والسخرية. كنا نعرف أنهم كانوا يخططون لاغتيال سمو أمير البلاد وسمو ولي العهد، وذكر لي صديق حميم - على صلة بالنظام الصدامي - بأن الغزاة جلبوا معهم أقفاصا حديدية: لكي يحبس فيها أفراد أسرة «الصباح» ومن ثم يطاف بهم في أرجاء «المحافظة التاسعة عشرة» وبقية محافظات العراق لكي ينكل بهم ويهانوا على مرأى من الكافة!



النقيب فهد اليوسف

ومن حقنا أن نصدق هذه الرواية لأن سوابق «الرئيس المهيب» مع اخوته وأقاربه وأصدقائه ورفاق دربه ومريديه كثيرة ولله الحمد.

● وقد حظي العبد لله - منذ كم اسبوع - بلقاء أمير البلاد حفظه الله.. أولا: لشكر سموه على تفضله بالحضور إلى ديوانية العائلة لتقديم العزاء في الوالد رحمه الله وغفر له، فضلاً عن شكر سموه على الكلمة الطيبة المشجعة في حق الكاتب والكتاب «شاهد على زمان الاحتلال العراقي في الكويت».

كانت الزيارة - كما ترى - تقع في خانة الواجب - أو زيارة بروتوكولية كما يقولون بلغة المراسم والتشريفات. لكن الأمير الوالد أحال لقاء الواجب... إلى لقاء حق مترع بالدفء والبشاشة والتواضع وسعة الصدر ولأن بعض «النجادة» مثل العبد لله «ما ينعطون وجه» فلذا حرضني مناخ البوح على سؤال «بومبارك» عن: لماذا ومتى وكيف غادر الديرة وبمعيته سمو الشيخ سعد العبد الله السالم والشيخ جابر العلي والشيخ النقيب فهد اليوسف الصباح من الحرس الأميري والذي كان يقود السيارة المرسيدس المصفحة،

فضلاً عن ضابط آخر من الحرس الأميري .

● قلت لصاحب السمو: أعرف انك مشغول ووقتك ضيق ، وإذا كان ثمة مجال أود أن أسمع من سموك عن الكيفية التي غادرت بها الديرة .

بداية أود التنويه بأن ما سأرويه على لسان أمير البلاد ليس نقلاً حرفياً ولكنه يمثل جوهر الرواية وروحها ، قال «بومبارك» أحب أن أقول ـ قبل كل شيء ـ بأننا لم نهرب . حين غادرنا القصر كنا نريد التوجه إلى أي مكان آمن نستطيع التفكير فيه . لأن المفاجأة كانت مذهلة ، ولم أتوقع الغدر، والطعن من الظهر، من أخ شقيق كان منذ شهر يعانقني ، ويطوف بي شوارع بغداد، ويمنحني الأوسمة والنياشين، وكل ما يعبر عن الامتنان والتواصل والحب !

في الحقيقة وأقولها بصدق ـ يستطرد الأمير ـ لأول وهلة : لم أكن راغباً في مغادرة القصر لكن «بوفهد» الشيخ سعد وبوعلي الشيخ جابر العلي . . . اصرا علي بضرورة مغادرة القصر.

وهنا قلت لصاحب السمو بأن مغادرة القيادة الشرعية ضرورة وطنية. وقد كان المواطنون حريصين على معرفة أن الأمير وولي العهد قد غادرا بسلام . اذ انهما لو لم يفعلا ذلك : الله وحده يعلم كيف سيكون سيناريو الغزو والاحتلال العراقي للكويت .

● بالطبع . . . ثمة تفاصيل كثيرة تتعلق بكيفية المغادرة. . ومن هنا قابلت النقيب الشيخ فهد اليوسف الصباح لأسمع منه روايته كشاهد عيان؛ لأنه هو الذي قاد السيارة التي حملت الأمير وولي العهد والشيخ جابر العلي. والنقيب «فهد» شاب لبق ذرب اللسان، جم التواضع وقد لقيته صبيحة يوم عيد اطفاء آخر بئر أشعلها «الأخوة الأعداء» . .

كان اللقاء بمكتبه الخاص «بالسالمية» وكان السؤال هو: الكيفية التي غادر بها صاحب السمو أمير البلاد صبيحة الغزو.

● قال : في الساعة الثالثة إلا ربعا فجر الثاني من أغسطس 1990 جاءني تلفون بأن أتوجه إلى قصر «دسمان»، والأمر وردني بصفتي نقيباً بالحرس الأميري فحسب. . توجهت حالاً. كنت هناك قبل صلاة الفجر. أذكر يومها اننا طلبنا من امام مسجد القصر اقامة الصلاة اثر الأذان الأخير مباشرة لكسب الوقت. وهكذا كان حوالي الرابعة فجرا :

غادرت «دسمان» متوجها إلى وزارة الدفاع؛ حيث كان الشيخ سعد والشيخ صباح الأحمد والشيخ جابر العلي.

في وزارة الدفاع كانت تردنا التقارير بين حين وآخر عن تحركات قوات الاحتلال، وحينما وصلنا تقرير بانهم ـ أي قوات الاحتلال ـ قد أوشكوا على الوصول إلى محافظة الجهراء طلب مني الشيخ سعد أن نغادر الوزارة حالا.

● كانت السيارة هي سيارة الشيخ سعد «المرسيدس السوداء المصفحة» التي اعتاد التجول فيها.

أول ما ركبنا السيارة ـ وكنت أنا الذي أقودها ـ طلب مني أن نتوجه إلى قصر «بيان» كانت الساعة ـ آنذاك ـ قد تجاوزت الرابعة والنصف حين وصلنا إلى جسر التحكم. . ساعتها طلب مني سمو ولي العهد الاتصال «بدسمان» ليكلم سمو الأمير. . . وقد تحدثا معا وكانت الجملة الأخيرة التي علقت في ذاكرتي من حديث الشيخ سعد للأمير هي: قوله جايينك الحين كان بيننا وبين «بيان» مائتا متر فقط.

بالطبع تغير خط سيرنا فتوجهنا صوب قصر «دسمان».

حين وصلنا القصر كان الأمير في انتظارنا وبمعيته الشيخ جابر العلي، حيث ركبنا السيارة في التو: حيث قال لي الشيخ سعد: خذنا إلى مركز النويصيب.

حين خرجنا ـ يستطرد النقيب فهد اليوسف الصباح قائلاً ـ كان النور طالعا. . كنت ألبس ساعة لكنها صراحة كانت ساعة بلا عقارب. كنت ما شوف لكن الذي أذكره هو اني لم أكن محتاجا إلى استخدام نور السيارة. . كانت الساعة في حدود الخامسة والثلث ويقول كل تلك التفاصيل للرد على الاشاعات والأقاويل التي تقول بأن المغادرة تمت في الواحدة أو الثانية فجرا أو أن الأمير وولي العهد لجأ إلى السفارة الأميركية أو «الجليعة» وما إلى ذلك من ترهات ما انزل الله بها من سلطان.

سألت النقيب فهد: كيف كنت تقود السيارة؟

قال: بأقصى سرعة ممكنة قدت السيارة بسرعة 230 كلم في الساعة كنت أقود السيارة متوجها إلى النويصيب تنفيذا لأمر الشيخ سعد. بالتحديد إلى مركز النويصيب المجاور لحدودنا مع المملكة العربية السعودية.

● وصلنا مركز النويصيب ومكثنا فيه ساعة ونصف الساعة على الأقل، قام خلالها سمو ولي العهد باجراء العديد من الاتصالات مع الكويت. . ولم يغادر النويصيب الا بعد انقضاء المدة التي ذكرتها. ومن ثم توجهنا إلى مركز الخفجي في المملكة العربية السعودية. . . حين وصلنا هناك، لم يكن عندهم خبر بقدومنا. نزلت إلى المركز وأخبرتهم بهويات من معي. هبوا واحتشدوا بسرعة خصصوا مكاتب لسمو الأمير وسمو ولي العهد والشيخ جابر العلي، وكان الشيخ سعد يقوم بزيارات مكوكية بين مركز النويصيب وبين مركز الخفجي لأن الأخير ليس فيه جهاز دولي يربطه بالكويت. . . الأمر الذي كان يضطره إلى الذهاب إلى مركز النويصيب لاجراء الاتصالات اللازمة مع الكويت. .

● وعند هذا الحد أطلق النقيب تنهيدة ارتياح بعد أن قال شهادته للحقيقة والتاريخ. .

وقبل أن أغادره قال: لقد رويت لك متى وكيف غادر سمو الأمير وسمو ولي العهد بالضبط. . وقد رويت ما رويت لنفي ودحض كل الأقاويل والاشاعات. .

والعبد لله يعتقد ان في رواية النقيب الشيخ فهد اليوسف الصباح القول الفصل؛ لأنها رواية شاهد عيان لا يقول سوى ما شاهده فقط.

أما الذين يختلقون ويؤلفون الروايات مثل الخواجة «سالينجر» وأمثاله فانهم مطالبون بتصحيح رواياتهم الخيالية أو الكف عن التأليف والمتاجرة بمحن الأمم والشعوب!!

موقف المعارضة الكويتية من الاحتلال

● إن المعارضة الكويتية لا تضاهي مثيلاتها في العالم الثالث . . ولعل موقفها الفذ من الاحتلال الغـادر، خير دليل على ما ذهبت إليه .. حيث لم تجـد قوات الاحتـلال ـ كما هو معروف ـ كويتياً واحداً يبارك فعلتها الإجرامية الشنيعة . . بل انها لم تجد من يرحب باحتلالها من بين مريدي النظام والرئيس المهيب ، أو من بين الرفاق البعثيين الذين انتسبوا إلى الحزب أيام الدراسة الجامعية .

وفي اللحظة التي خسر فيها النظام الصدامي الارهابي رهانه على حصان المعارضة ، لتأييد غزوه واحتلاله وضمه للكويت ، انهار معمار السيناريو التآمري للاستيلاء على البلد الصغير المسالم .

إن موقف الكويتيين الرافض للاحتلال المناوىء له بشتى سبل الرفض والصمود والمقاومة والمرابطة ، هو السبب الأساسي لافشال الاحتلال الغاشم ودحره . ولا بأس ، بعد ذلك ، من الحديث عن دور قوات التحالف والجامعة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، ومنظمة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، فضلاً عن الضغوط السياسية والاقتصادية والعمليات العسكرية !

والعبد للّه يعرف ـ سلفاً ـ بأن هذا النوع من التحليل لا يرضي الحلفاء ، ولا يمكن أن يرد له ذكر في اعلامه الجبار . . وربما يعد ـ فضلاً عن ذلك ـ تخريف مرابط شايب ،

قصير النظر ، ولا يشاهد محطة تلفزيون الـ CNN أو CIA !! ولا بأس علينا من هذا الاتهام ما دام العديد من رهائن دول التحالف الذين كانوا يختبئون عن عيون رجال أمن السلطة الاحتلالية في منازل وقلوب الكويتيين يشاركونني الرأي في هذه الشطحة .

ولعل العديد من المرابطين يجدون بعض العزاء في شهادة الرهائن الأجانب ؛ التي أدلوا بها وأشاروا فيها إلى أهمية تلاحم الكويتيين ورفضهم المبدأي للاحتلال . . . لافشال الغزو الهمجي والاحتلال الغادر .

وقد لفت انتباهي أن الكثيرين من الصحفيين الأجانب ، ينظرون إلى كل ذي وجهة نظر لا تتطابق مع رأي الحكومة ، على أنه من المعارضة . وكان البعض منا يجزع من هذه الصفة . . ربما بحكم اعتبارها « وصمة » تشين الواحد لدى العديد من أنظمة العالم الثالث . . أو العالم الثالث عشر . . ان شئت .

لكن تقاليد الحياة السياسية الكويتية ، لا تعد المعارضة وصمة وتهمة ؛ لأن هذا المنحى يشين الواصف ، لا الموصوف ، ويدين القاضي لا المتهم !

إن حضور المعارضة ، في أي بلد ونظام ، علامة صحة ودليل عافية . . لأنها تمثل الوجه الآخر من عملة الحكم والسلطة . ومن هنا ، فان غيابها أو تغييبها هو الذي يشين نظام الحكم ، ويصمه بالديكتاتورية ووأد حقوق الإنسان ، وما إلى ذلك من نعوت وصفات تنفي حضور الدولة القائمة على الدستور والمؤسسات المنبثقة عنه .

ومن جانب آخر ، فان المعارضة ليست مراهقة سياسية يمارسها اللاعبون بترف نزق غير مسؤول . . بل انها أمانة ومسؤولية وعطاء ورديف للحكومة والسلطة .

وبهذا المعنى ، فإن الكويت تميزت عن غيرها بحضور المعارضة وتجاوزها لفئات المعارضة التقليدية .

ومن هنا ، وجدنا أن غالبية المواطنين الذين صمدوا في الديرة ورابطوا فيها قد جابهوا الكثير من ممارسات الحكومة بعد التحرير بموقف المعارضة بدون الخشية من التهمة الوصمة اياها ! ربما لأن موقفهم ابان الاحتلال الصدامي الغادر يدرأ عنهم أي شبهة أو وصمة .

***

ضرورة التخلص من « فوبيا » المعارضة

● الحق أن مفهوم المعارضة ليس حكراً على فئة من المواطنين دون غيرهم . . ولا يجوز أن يكون كذلك . . ذلك أن التعددية في الرأي والاجتهاد ؛ هي الأصل والقاعدة الصحية . أما الآحادية فهي الشذوذ الذي يناطح سنن اللّه في خلقه ؛ والتي لا يمكن لها الحياة والاستمرار إلى ما شاء اللّه .

وحري بنا ، بعد تحرير الكويت ، التخلص من « فوبيا المعارضة »[1] ، الموروثة ، من بعض الأقطار العربية الديكتاتورية الارهابية . وكما أنه في مقدور الإنسان التخلص من المخاوف المرضية المعروفة (حركياً) بلغة علم النفس والتحليل النفسي باسم « الفوبيا » . ففي امكان المجتمعات علاجها والشفاء منها .

وحري بنا ، كذلك ، الكف عن توصيف تيار المعارضة وأصحاب الرأي الآخر المعارض لرأينا ووجهة نظرنا بصفات ما أنزل اللّه بها من سلطان .

إن الأنظمة التي تضم المعارضة إلى قائمة الأمراض العقلية أو النفسية ، هي المريضة حقاً ؛ لأنها تسقط أمراضها على مخالفيها في الرأي والاجتهاد . . لأن سنن المولى سبحانه في خلقه ونواميسه السرمدية ، فضلاً عن شهادة التاريخ ودروسه وعبره تؤكد بأنه لا يصح إلا الصحيح .

إن حركة المعارضة في الحياة السياسية الكويتية ليست مجيّرة لاتجاه سياسي وحيد . . ولم تعد ـ ابان الاحتلال وبعد تحرير البلاد ـ محصورة على المعارضة التاريخية التقليدية كما يظن البعض . إذ إنها في السنوات القليلة التي سبقت الاحتلال ، صارت تحضن وتضم كافة الاتجاهات والاجتهادات الفكرية والسياسية .

وأكاد أزعم بأنها ، بعد تحرر الديرة ، أصبحت شعبية تضم كل أو جلّ فئات الشعب . . بما فيها الفئة الموسومة باسم الأغلبية الصامتة . . والعديد من أفراد الأسرة الحاكمة وأعضاء الحكومة !

---

(1) الفوبيا : تعني الخوف المرضي المتسلط على الإنسان قسراً .

● ومنذ عشر سنوات زار الكويت[1] وفد إيطالي سياسي يمثل كافة الأحزاب السياسية هناك ، ويضم أغلب الأمناء العامين لهذه الأحزاب . . وفي الكلمة التي ألقاها باسم الوفد أمين عام الحزب الشيوعي قال : ان أهم ما لفت نظره في الكويت زخم المعركة الانتخابية الجامعية التي كانت تسبق انتخابات الاتحاد الوطني لطلبة الكويت . . وبخاصة احساسهم بأنها تتم وسط مناخ التعددية .

إن الذين « يحلمون » بعودة الكويت ، بسلبياتها وأخطائها وعثراتها وعللها . . الخ ، أخشى القول بأنهم لم يشعروا بمحنة الاحتلال ؛ ولم يستوعبوا دروسها ، وعبرها وتحدياتها .

ذلك أن مثل « الحلم » يجافي العقل ومنطق الأشياء ، ولا يفيد الديرة البتة في تجاوز آثار المحنة المأساوية ، وفي اعادة عمارتها وبناء انسانها ، وتقويم مسيرتها التنموية .

والعبد للّه ، هنا ، لا يسعى إلى ارتداء مسوح الوعاظ . . بل انه يقرر بدهيات لا جدال فيها . . أو هكذا يظن ويعتقد ! فالدول التي مرت بنفس محنتنا ـ بشكل أو بآخر ـ استطاعت النهوض من تحت ركام الأنقاض والرماد ، وتمكنت من إعادة صياغة حياتها من جديد ؛ بعد أن درست الأسباب ، وشخصت العلل والأخطاء والخطايا ، بعدة النقد الذاتي التي لا تخشى في الحق لومة لائم .

أقول ذلك استباقاً لأي رد فعل متشنج ، أو تفسير خاطىء ، يحسب أن الكويت يمكن أن تتغير نحو الأفضل ، بدون تضحية ومعاناة وكدح . . فضلاً عن حضور كل القيم والعوامل المؤدية إلى التغيير المنشود .

والذين يعتقدون بأن اعادة بناء الإنسان والعمران ، مهمة سهلة منوطة بشركات المقاولات العربية والدولية ، يجانبهم الصواب . . لأن هذه المهمة ليست مادية فحسب ، بل انها تشمل شتى مناحي الحياة . ولذا فهي تحتاج إلى تضافر الجهود وقد تستغرق عقوداً من الزمن . . لا « عقود » مناقصات عالمية ! أقول ذلك لأن البعض منا

(1) الزيارة نظمها الأخ عبد العزيز الخضر، سفير الكويت في روما آنذاك .

يظن مثل هذا الظن ؛ رغبة منه في رؤية الديرة التي يخبرها ، وقد عادت بوافر خيرها وعافيتها وأمنها ، وكل ما هو زين فيها في الأيام الخوالي .

بقي عليّ أخيراً التنويه بأني عالجت بعض الهموم والقضايا بحدة وصراحة شديدتين . ويعلم اللّه سبحانه بأني لم ألجأ إلى هذه المنحى بقصد الاثارة ـ لا سمح اللّه ـ أو سعياً وراء « الثأر» من بعض (الخصوم) في الرأي والاجتهاد . فليس ذلك المنحى من طبعي واهتمامي ، كما يعرف القارىء الذي يخبرني طيلة الثلاثين سنة ، التي أمضيتها في الكتابة بالصحف الكويتية . إذ إنني أعتقد ـ جازماً ـ بأن شهادة الكاتب في محنة خطيرة عصيبة استهدفت وجود البلاد والعباد لا تحتمل المواربة والتبرير ووضع اللوم على الآخرين . . وغير ذلك من أساليب النعامة اياها !

***

فتح الملفات.. وأوجه التقصير

حتى يستعيد المرء التعاطف الانساني الدولي، الذي حظيت به قضية اجتياح الكويت . في مثل هذه الأيام من السنة السودة الماضية . . . أقول حين يستعيد ذلك كله، ويقارنه بحال الكويت بعد ستة شهور من التحرير، سيلاحظ أمراً غريباً محيراً يكمن في أن بلادنا فقدت ـ ومازالت تفقد ـ العديد من المريدين المتعاطفين مع قضيتنا العادلة، المدافعين عنها دون كلل ولا ملل .

يحدثني صديق حميم له صلات متينة مع العديد من رؤساء الدول والمفكرين والأدباء والنقابيين والأكاديميين . . الخ، يقول صاحبنا : ان العديد من المؤسسات المعنية بحقوق الانسان كان لها نشاط فاعل ومؤثر لتأييد الحق الكويتي والتنديد بالاستعمار العربي القبيح . . فعلى سبيل المثال، لا الحصر، ، فإن اتحاد المحامين العرب عقد مؤتمرين كرسهما لقضية الكويت العادلة . . فعقد المؤتمر الأول في القاهرة (اكتوبر 1990) . . والمؤتمر الآخر في المملكة المغربية (ديسمبر 1990) . وفي السياق

نفسه، قامت المنظمة العربية لحقوق الانسان، والمركز الدولي للحقوق القانونية في براغ، ومركز ابن خلدون للدراسات (في القاهرة) ومركز البحوث والدراسات السياسية (جامعة القاهرة) أقول قامت بأنشطة تستأهل الاشادة والشكر. أضف إلى ذلك مواقف المفكرين والأدباء والمبدعين والاعلاميين والناس العاديين في شتى بقاع العالم.

ولأننا كنا ـ معشر الصامدين ـ محاصرين ومعزولين اعلاميا في الكويت المحتلة. . ولا نعرف من هو معنا ومن هو علينا. . فقد اكتشفت وأنا في مصر المحروسة، أن الشاعر العربي المصري الصعيدي الاستاذ عبد الرحمن الأبنودي، كان أحد الكتائب التي أسهمت في تحرير الكويت!

فقد سمعت من المصريين أنفسهم بأن «الليلة المحمدية» التي أبدعها الشاعر، وكرّسها لمحنة احتلال الكويت، كان لها التأثير الايجابي، في تشكيل اتجاه الرأي العام المصري الرافض للغزو والاحتلال، زد على ذلك قصيدته الطويلة اللاذعة الطافحة بالأسى والشجن «الاستعمار العربي» التي تشي بأن الأبنودي، طال عمره الابداعي هو الكويتي الأخير والوحيد في مصر المحروسة.

لذا، حاربه «الأخوة الأعداء» وأزلامهم بشراسة وحاولوا ـ بالايحاء والتصريح ـ القول بأنه «عميل» كويتي وشاعر «أرزقي» كتب ما كتب بعد أن استلم المقسوم الكامل الدسم!

ولا حاجة بنا إلى القول بأن قصيدة «الاستعمار العربي» تغني عن أي مقال يفند التهم المزعومة. . ولعل مضمونها وخطابها الجريء الصريح اللاذع هو الذي حرض الأرزقية على اسقاط أخطائهم وخطاياهم على ذات الشاعر الجريء الحر!

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ماذا فعلت الكويت الحرة للأبنودي والدكتور فؤاد زكريا والدكتور علي الدين هلال والدكتور ابراهيم سعد الدين، فضلاً عن عشرات المفكرين والأدباء والاعلاميين والفنانين والفقهاء والمنظمات العربية والدولية؟!

والحق أن السؤال لم يطرح نفسه من فراغ ـ للأسف الشديد ـ فبدلاً من أن تقول الكويت شكرا وجزاكم الله خيرا، لكل من آزرها ووقف معها في محنتها. . نجدها تنسى كل المريدين المؤيدين لها. . بل تتناساهم! فعلى سبيل المثال، لا الحصر، فإن اتحاد

المحامين العرب كان يتمنى على الكويت دعوته لزيارة الديرة بعد التحرير لحضور المحاكمات التي حضرها مئات الصحفيين. . والمؤسف ان الاتحاد لم يتلق الدعوة حتى كتابة هذه السطور. . على الرغم من الوعد الذي تلقوه من أحد الوزراء بأن تصلهم الدعوة حال وصوله إلى الكويت. . ووصل معالي الوزير، منذ أربعة شهور، لكن دعوته لم تصل! لماذا؟ الستر زين لأن العذر شين!!

وأخشى القول انه آن الأوان لفتح ملف محنة الاحتلال، سعيا إلى معرفة الدروس والعبر واكتشاف نواحي القصور والتقصير في أي مجال له صلة بطريقة ادارتنا لقضيتنا العادلة.

مهم جداً أن نعرف: لماذا كسب «النظام الصدامي العلماني» تأييد وتعاطف العديد من الأحزاب والجماعات الاسلامية واليسارية على حد سواء؟!

ان وضع اللوم على كاهل الآخرين سهل ومريح. . لكنه لا يؤدي إلى طائل، بل إلى طل!

ان ملف محنة احتلال الديرة وارم بالوقائع والممارسات و. . الخ، وقد حان وقت فتحه والنظر فيه بعين النقد الذاتي الصريح الذي لا يخشى في الحق وحب الديرة البصير لومة لائم.

***

لقاء صحفي

الاعتراف بالحق فضيلة. . وإن كان هذا الاعتراف مؤلماً ومخجلاً ويثير الأسى والنكد ويرفع الضغط والسكر والأملاح ويوتر القولون العصبي وقرحة المعدة. . وما خفي أنكى وألعن!

فالعبد للّه يعترف بأنهم ـ أي الامريكان ـ أساتذة ومعلمون في الاعلام والاتصال. . ومن حقهم الاستحواذ على مساحة زمنية كبيرة في نشرات الأخبار الصحفية والاذاعة

المرئية والمسموعة العربية وبمعيتها العالم الثالث وغيرهما .

أقول ذلك بعد أن رأيت في الميدان ، وعلى الطبيعة ، كيف تتم التغطية الاخبارية لحدث كبير ـ أقام العالم كله ولم يقعده بعد ـ هو تحرير دولة الكويت .

ولعل أول ما لفت نظري احترام الوقت وعدم اهداره سدى . لا وقت عنده « لهات شاي يا ولد » ولا يحفل بالكرم العرباوي العتيد لأنه لم يقطع عشرات آلاف الكيلومترات ليقبع في فندق فخيم (5نجوم) ليشاهد الفيديو و« يتقرض » بصحن « الأورديفر » ويمارس عمله الصحفي عبر التلفون فقط لا غير ! ولذا تجده يبدأ مهمته حال وصوله ميدان ومواقع الحدث . . وتراه في الشارع وبمعيته الفريق الفني للتصوير وتسجيل الصوت . . الخ ، وإذا كان صحفياً وحيداً يمثل صحيفة أوروبية أو أمريكية تراه يتأبط آلته الطباعية ، بينما كاميرته معلقة على كتفه ونوتة كتابة ومجموعة أقلام جافة متواضعة الشكل بخيسة رخيصة الثمن جداً ! ومن ثم يلاحق الحدث في الشارع والمنازل والدواوين والمستشفيات وأمام المساجد والحسينيات والخيام وبيوت الشعر المقامة في الساحات وعلى الأرصفة في المناطق السكنية . . ويقابل ويحاور بطريقة تشي لك بأنه ـ لأول وهلة ـ جاسوس معتبر لـ [CNN]أو [CIA] لأنه يريد منك أخباراً ومعلومات وأسراراً ورأيك في كل إشاعة . . وفي أي موضوع داخلي يعنّ له طرحه . . وهو بدوره يسجل وجهة نظرك ويصيخ لها السمع باهتمام . . بغض النظر عن اتفاقه أو اختلافه معك فيما ذهبت إليه .

منذ كم يوم[1] ، فوجئت بمن يخبرني بأن اثنتين من الصحفيات الأجنبيات قد جئن إليك إلى البيت . وقد حسبت ـ للوهلة الأولى ـ بأنهن من اللواتي يعرفن العبد للّه أيام كان يعمل في وزارة الإعلام . . ولعلهن قد جئن لدحرجة السلام أو طلب خدمة ملحة . لكن المفاجأة تكمن في أنهن يرغبن في لقاء صحفي معي . سألت : بأي صفة ؟ قلن : بصفتك معارض ! . . وهنا سولت لي نفسي الأمارة بالغشمرة والصراحة بمثل هذا السيناريو الذي لك أن تقرأه بعين الجد والحقيقة الواقعة أو بعين المشاهد المريد لمسرح العبث أو البعث الصدامي . . لا فرق؛ المحب للكوميديا السوداء! أنت وشأنك!

---

(1) بعد التحرير بأسبوع .

سيناريو المقابلة الصحفية.

العبد لله يدخل المركز الاعلامي في الجابرية.. يبدو محشورا وارما يتقدمه كرش «الحصار» ويلتف بعباءة مغربية شتوية ويحمل شنطة سفرية متوسطة الحجم ووارمة هي الأخرى بالأوراق والأشرطة وجهاز التسجيل ومطارة شاي وشيشة مصراوية معتبرة ومعسل «اسكندراني» قبل أن يقاطعني بقوله: (لم التدخين.. وأنت العارف بمضاره الصحية؟!) فقد أجيبه - وبراءة الأطفال في عيني - بأن الشيشة خالية من التحذير اياه «التدخين يضر بصحتك ننصحك بالامتناع عنه». وفي دقائق يخرج عدة المزاج وكأنه قاعد في المقهى الشعبي. وفي هذه اللحظة تدخل الصحفيتان الأمريكيتان وبمعيتهن شاب يجيد العربية والانجليزية. قلنا: (زين الواحد صار يلحن وينسى العربية؛ فما بالك إذا كان الحوار بالانجليزي.. فزين، التي فاتت من قليل، تخص حضور المترجم.. أتربع على الكرسي.. يميل على المترجم هامسا: لعلك تعلم بأن الصحفيتين ستحاورانك بصفتك أحد أقطاب المعارضة.. كدت أكشف وأهم بسؤاله أي معارضة تقصد؟ ومعارضة ضد من؟

التاريخ في الأسبوع الأخير من شهر شعبان. لصحفيتين تتأهبان لطرح الأسئلة.. العبد لله يتخذ سمت الانسان المعارض (إن كان له سمت خاص!) يضع رجلا على رجل. كان الاعلام الغربي وقتها يروج لمسألة تقديم «المهيب رئيس العصابة» ورفاقه كمجرمي حرب.. تماما مثل محاكمة مجرمي الحرب العالمية الثانية التي عرفت بـ«محاكمات نورمبرج».

ومن هنا كان السؤال الأول (والأخير!) عن رأي العبد لله في محاكمة «صدام» ورفاقه وزبانيته كمجرمي حرب؟!

قلت: انهم مجرمو حرب وسلام! ومجرمون في كل حين. لكن مجرم الحرب ذاته يستأهل منكم - يا هاالامريكان وحلفاؤكم الصهانية - تمثال من ذهب يقام له في كل ولاية امريكية لأنه حقق «للامبريالية العالمية كل أهدافها التي تسعى إلى تحقيقها منذ مدة بسهولة وغباء ويسر!.

***

الاحتلال يعرّي المحتلين

●بدأ الرأي العام العربي والإسلامي ـ ولو متأخراً ـ اكتشاف حقيقة المنظمة الارهابية التي تحكم العراق الشقيق بالحديد والنار والدينار النفطي والعطايا والرفاهية لأفراد العصابة المتبرقعة ـ زوراً وبهتاناً ـ ببرقع « الوحدة ـ الحرية ـ الاشتراكية » !

والسؤال الذي يدحرج نفسه بشدة هو : لم أكتشف الرأي العام العربي والاسلامي ـ بخاصة ـ زيف ونفاق وخواء شعارات النظام العراقي المستبد ؟! وتهافت وبطلان دعاويه وادعاءاته ، ودعايته بشأن حقه التاريخي في ابتلاع أرض الكويت وثرواتها ـ واقتلاع مواطنيها وقاطنيها ـ بعدة القرصنة والارهاب والاستباحة المجنونة ؛ الطافحة بالعربدة والحقد الأعمى البصر والبصيرة ؟!

وحتى تاريخ 1990/8/2 (تاريخ الاجتياح الغادر) كان الرأي العام العربي والاسلامي يظن أن العراق يحكمه نظام عادل مستنير ، ويرأسه « رئيس مهيب » محبوب من قبل العراقيين ! فضلاً عن أن مريديه يمتدون من المحيط إلى الخليج ؛ انه : يجسد الحاكم الصالح ؛ المسكون : بهموم وقضايا وآمال وآلام العرب والمسلمين !! والرئيس القائد لجهاد تحرير القدس وفلسطين والجولان وجنوب لبنان والأندلس السليب وبخارى وسمرقند وكشمير وقندهار وجزر الواق واق كذلك !! واللهم زد وبارك !!

أقول هكذا الظن بـ« عبد اللّه المؤمن » الرئيس المهيب ، وحامي العروبة والاسلام ، قبل اجتياحه الغادر واحتلاله المشين ، لدولة الكويت . . جارته وشقيقته في العروبة والإسلام ؛ التي آزرته في السلم والحرب ، وضحت من أجله بالنفس والنفيس !!

فقبل أن يقوم بفعلته الغادرة الارهابية المشينة ، لا تسمع أو تقرأ عنه في الإذاعات والصحف العربية ، سوى آيات الحمد والتسبيح ، التي تلهج بذكره الحسن ، وتتغنى بمناقبه الحميدة ! أما ما تذكره عنه الصحافة العالمية من ممارسات إرهابية وغياب تام لحقوق الإنسان في العراق فما هو إلا « كلام جرايد امبريالية . . ومزاعم صحافة أجنبية كيدية تحسد العرب والمسلمين على وجود « عبد اللّه المؤمن » . . الورع الذي تؤمه كاميرا

---

(1) نشرت في صحيفة 26 فبراير أول صحيفة تصدر بعد التحرير.

التلفزيون في جميع صلواته !

فقبل احتلاله لدولة الكويت لم تكن تجرؤ صحيفة عربية واسلامية على نشر خبر- مجرد خبر ! - يشير ، مجرد إشارة فحسب ، إلى أن المؤسسات الدستورية الحاضرة في النظام العراقي للعرض والفرجة والدعاية والمنظرة ! وانها مؤسسات هشة كرتونية « لا تهش ولا تنش » لأن القائد الرئيس : هو النظام والدولة والحزب والدستور والمؤسسات !

ولو عنَّ لصحيفة عربية ، أو لصحفي عربي ، انتقاد بذخ واسراف زفة المعارض والمؤتمرات ، والمهرجانات والندوات والحفلات . . الخ ، لكف قلمه عن البوح بالكلام المباح إلى الأبد ، بفضل فاعلية « كاتم الصوت » السيء الذكر ما غيره ! والذي غيّب ووأد العشرات من الأدباء والفنانين والمفكرين وعلماء الدين والصحفيين وكل من لعلع بقولة الحق وشهادة العدل ولم يكن شيطاناً أخرس !

ومن هنا تجد أن أرشيف الصحافة العربية - خلال عقد الثمانينات - طافح بمعلقات وموشحات وأناشيد وهتافات ومقالات السهل المريح المكتوبة بحبر الحمد والتسبيح والمديح . . المكرس للتغني بمناقب « عبد اللّه المؤمن » و« شيخ الاسلام » و« إمام المجاهدين » صلاح الدين الأخير ! أو صلاح الدين الجديد !! ولم لا يكون الأمر كذلك (شنو بيها يا به ؟!) .

ومن حقه ارتداء زي صلاح الدين مثل أي ممثل مسرحي أو سينمائي . . والحاصل أن أرشيف الصحافة العربية « نظيف » من أي كلمة تشين النظام الارهابي المستبد في العراق ! لكن حين دنت ساعة الخلاص من الرئيس المهيب للعصابة الارهابية المشبوهة ، التي تجثم على كل العراقيين . . ساعتها - بس ! - سقطت ورقة التوت التي كانت تستر عورة هذه المنظمة الارهابية المشبوهة ! وهكذا بدأ القارىء العربي يقرأ عن « سفاح حسين » الطاغية المستبد . . امبراطور الارهاب وشاهنشاه القمع . . والذي أباد مدينة حلبجة وأهلها فجعلها قاعاً صفصفاً بدون أن يرف له جفن . . أو يخزه ضمير !

ولولا اجتياحه واحتلاله واستباحته للكويت لما عرف الرأي العام العربي والإسلامي حقيقة المنظمة الإرهابية الحاكمة المتحكمة في العراق . . مدى الحياة !

***

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عزف منفرد على أوتار المحنة... والتحرير(*)

● حين غادرت الكويت الحرة أواخر شهر رمضان الماضي إلى مصر. . . قررت أن أعرض نفسي على أحد المختصين بالطب النفسي. . . ذلك ان تحليلي «الدكاكيني» لنفسيتي يشي بأني معقد ومريض نفسيا! فبينما العديد من المواطنين فرحين بتحرر الديرة من ربقة احتلال «الاخوة الأعداء» أجدني مكتئباً متشائماً وكأن فرحة التحرير قد أجهضت ووئدت على حين غرة.

ولو كانت حالتي النفسية فردية لما طرحتها على القراء الكرام. . . فقد لاحظت حالتي المذكورة تنسحب على الكثيرين من الاخوة المواطنين الذين رابطوا في الديرة طيلة شهور الاحتلال الغاشم.

والعبد لله قارىء متابع لكتب علم النفس كما ان تخصصه الجامعي في علم النفس (جامعة عين شمس). . . لكنه لا يعرف في حدود معرفته ان المرض النفسي يمكن أن يكون اجتماعيا. . . كأن يكون هناك اكتئاب وطني وقومي يشمل الوطن والأمة!

الحاصل اني امتطيت الطائرة متوجها إلى مصر المحروسة، وأنا في حالة نكد لا تستقيم مع العرس الوطني الذي تعيشه الديرة بعد التحرير! وقد زاد من همي وغمي، حين لاحظت بأن حالتي سيئة الذكر، ليست حالة فردية خاصة وشاذة! فقد وجدتها تسكن الوجدان الجمعي للكثيرين من الصامدين. . ! من هنا أتساءل: هل ثمة امكانية لظهور وانتشار مرض الاكتئاب بالعدوى ليكون جماعيا يشمل الوطن والامة على حد سواء؟!

قبل مغادرتي الديرة ظهرت بعض التصرفات ـ خلال الأسابيع الأولى من التحرير ـ بدت لي كما لو انها مشاهد في مسرحية عبثية لامعقولة. وكأن هناك من يريد أن يتجاوز المحنة وأسبابها وآثارها المأساوية. . . وكأن شيئاً لم يكن وهذه الفئة التي تفكر بهذا المنطق تظن بأن ازالة آثار الغزو والعدوان وإعادة بناء الكويت يمكن أن يتما من خلال «مناقصة» عالمية توكل فيها العملية إلى حفنة من المقاولين. . وبس! أي بدون تدبر

(*) نشرت في صحيفة القبس الكويتية بتاريخ 28/9/91.

وتأمل دروس وعبر المحنة، وبدون ممارسة النقد الذاتي لكل الهنات والأخطاء والخطايا في شتى مناحي حياتنا اليومية.

ان عملية بناء الديرة والانسان ليست «مقاولة» معمارية منوطة بوزارات الخدمات وشركات المقاولات كما يظن البعض. كما ان وجود الديرة وحضورها لا يمكن أن يستمرا بنفس الممارسات والسياسات والاجتهادات التي عرت المحنة مثالبها وعيوبها وقصورها! اذ ان تواصل واستمرار نفس الممارسات الخاطئة وعين السياسات الترقيعية بمثابة انتحار مميت!

ان الدول التي مرت بمحن مماثلة ـ بشكل أو بآخر ـ استطاعت أن تنهض من تحت الرماد وركام الأنقاض المأساوية حين استوعبت دروس المحنة واستجابت لها بالجهد والعرق والفعل والاعتراف الصادق الصريح بكافة الممارسات الخاطئة.

وهذه مسألة بدهية لا جدال فيها... حسب اعتقادي فالشعوب والأمم التي مرت بمحن مأساوية... لم يكن في مقدورها أن تنهض وتعود أكثر صحة وعافية بتجاوزها لدروس وعبر هذه المحن. والذي يقرأ التاريخ ويتأمل سنن المولى سبحانه في خلقه سيجد أن هذه المسألة ـ كما وصفتها ـ بدهية لا مجال لانكارها أو تجاوزها أو الجدال فيها.

ان الحيوان البهيمة المفتقر إلى العقل والذاكرة «يتعلم» بشكل أو بآخر من تواتر أخطائه وتكرارها. وفي هذا السياق يقال بأن حضرة الحمار الموسوم بالغباء الأزلي يتعلم! من التكرار و«يتعظ» من التجربة والخطأ! على الرغم من الرأي الشائع عن «حموريته» التي تصمه بعدم الفطنة وغياب العقل والذكاء.

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للحيوان البهيمة فإن الحيوان العاقل الانسان ـ بالضروررة ـ ستكون استجابته خالية من «الحمورية» وغبائها الأبدي، ومليئة بالمعرفة والعقلانية والحكمة و... الخ ما يتصف به الانسان السوي!

***

توثيق دراما المحنة(*)

● بحت أصوات الغيورين من أبناء الديرة الملعلعة بضرورة توثيق محنة الاحتلال وآثارها المأساوية . . . لأن هذه المهمة ضرورة وطنية وقومية لا يجوز التعامل معها بخفة، وبيروقراطية ميتة القلب، وما إلى ذلك من معوقات!

وفي حدود معلومات العبد لله: فإن مهمة التوثيق مازالت تراوح في مكانها، على الرغم من مرور ثمانية شهور على التحرير! اي نعم: ثمة ركام من التقارير والمذكرات، والتوصيات والقرارات، واللجان «العليا» وبس! وبس هذه تعني ـ ببساطة ـ انه لم يتم شيء عل مستوى الفعل والانجاز!!

منذ حوالي شهرين (بعد تحرير الديرة) هتف لي أحد أبناء الوطن الدارسين في بلاد الاميركان، ودحرج على مسامعي خبراً يقول: بأن الاعلانات تروج لشريط وثائقي عن «حرب الخليج» الاسم الاعلامي الذي صاغه الاعلام الغربي لمحنة احتلال الكويت. قلت له: وماذا فيها . . . فالاميركان سادة السينما والتلفزة وأباطرة الاتصال والاعلام . . . زد على ذلك انهم ـ الصحفيون والاعلاميون الاميركيون ـ أول من دخل الكويت المحررة ـ بمعية القوات المحررة ـ ولا تسألني أين كان الربع «الكوايته» والعرب؟! لأن في فمي ماء، وداخل حلقي بحصة!! كما يقول اخوتنا أهل لبنان.

● بعد التحرير بشهر، احتشد أرشيف مركز 26 فبراير الاعلامي بالجابرية، بسبعة وثلاثين ساعة فلمية توثق «روزنامة» المحنة من ألفها إلى يائها. وكان المفروض الاستفادة من هذه الثروة الوثائقية بعد اعدادها للعرض . . . ولكن! ولكن! ماذا؟! الستر زين . . . (اذ بليتم فاستتروا).

الحاصل: ان هذه الثروة القيمة مازالت ترقد في خزانة أحد القيمين على المركز الاعلامي، الى حين توفير المبلغ اللازم للعمليات التقنية والفنية الخاصة باخراج الأشرطة. والمؤسف ان عدة شركات أوروبية وأميركية تلفزيونية حاولت شراء نسخة من

(*) نشرت في صحيفة القبس الكويتية بتاريخ 5/10/91.

هذه الأشرطة . . . لكن القيمين على المركز اعتذروا، لاحساسهم بأن مهمة التوثيق من حق وواجب الجهات المختصة في الديرة. ولا بأس بعد ذلك من مساعدة الغير الراغب في تناول هذه المحنة «بأي صيغة» فنية يختارها.

من هنا سعدت جداً حين اتيح لي مشاهدة شريط تلفزيوني وثائقي مولته «مؤسسة المشروعات السياحية». والعبد لله ليس ناقدا سينمائيا مختصا لذا سيدحرج خواطره عن الفيلم المدهش بعين المشاهد العادي المديد للسينما. فإلى باكر بإذن واحد أحد . . .

***

أين نلعب(*)

ثمة أفلام ـ وثائقية أو روائية ـ تشد المشاهد من الوهلة الأولى. من الدقيقة الأولى. . من اللقطة الأولى! والشريط التلفزيوني الوثائقي الذي أنتجته مؤسسة المشروعات السياحية ينتمي إلى هذه النوعية التي تحدثت عنها آنفاً.

الشريط التلفزيوني الوثائقي اسمه «لن نلعب» اخراج «نيك كيت» فنان بريطاني يقيم ويعمل في الديرة. والذي استطاع بحسه المرهف أن يوثق الدمار الذي حدث في المرافق الترويحية ببلاغة فنية مؤثرة.

والذي يعرف محمد السنعوسي «الانسان والفنان» عن كثب، لن يداخله شك بأن دوره يتجاوز التمويل الذي قامت به المؤسسة. . اذ ان رؤيته وبصماته واضحة في شكل وإيقاع ومضمون الشريط. بالطبع هذا القول لا يعني التقليل من دور وابداع المخرج لا سمح الله. كل ما في الأمر اني أردت الاشارة إلى نقطة لا يرغب «السنعوسي» الاعلان عنها!

«لن نلعب» بعد الاجتياح الهمجي. . صوت الرياح. . الشمالية يعربد فيعيث

(*) نشرت في صحيفة القبس الكويتية بتاريخ 6/10/91.

الغزاة فسادا وتدميرا ونهبا وحرقا وممارسات اجرامية مجنونة حاقدة يصعب وصفها. هكذا نطقت كاميرا «نيك كيت» الأمر الذي يجعل المشاهد يتوحد بالشاشة الصغيرة!

ان الشريط الوثائقي «أين نلعب» دراما بدون شخوص ولا تشخيص أو حوار. لأن عين الكاميرا ـ عين الحق والحقيقة ـ هي: وسيلة الخطاب.

● ان كل لقطة في الفيلم ـ أو الشريط ـ تختزل موضوع رواية ومسرحية.. الخ! إضافة إلى انها تغني عن عشرات المقالات والمحاضرات، والندوات والمهرجانات، المكرسة لفضح وتعرية «الاستعمار العربي» حسب تسمية الشاعر المصري الجنسية، الكويتي بالاختيار والموقف «عبد الرحمن الأبنودي» طال عمره الابداعي.

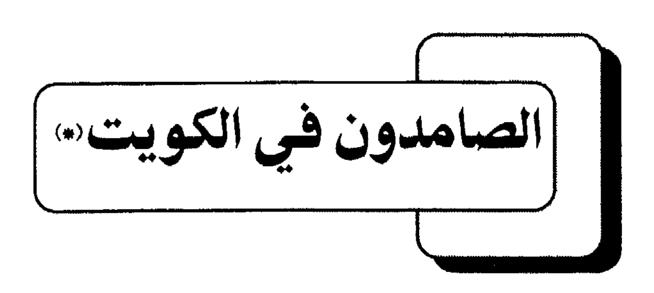
والحق ان عين الكاميرا: لم تكن بحاجة إلى «بهارات» فنية لتصور المأساة.. حسبها تصوير وتوثيق آثار الاستعمار العربي الهمجي الذي لم يوفر أحدا: فطال الانسان والحيوان والمال والحلال والطبيعة والمرافق.. بما فيها ملاعب الأطفال وحضاناتهم ومواطن لهوهم وترويحهم.

بشجن وحزن نبيل يطوف شريط «أين نلعب» مصورا العربدة الهمجية التي اجتاحت ودمرت عالم الأطفال الترويحي المتمثل بالمدينة الترفيهية، فضلاً عن المرافق الترويحية الأخرى «أين نلعب» عمل فني وثائقي يستأهل العرض على العالم كله.. لأنه يعري سوءة المحتلين، ويفضح عربدتهم بالبينة الموثقة، المثيرة للأسى والقهر والغضب. سيما ان كاميرا «أين نلعب» ناطقة بكل لغات العالم! لأن الشريط كله: خال من التعليق والترجمة والحوار، اللهم ذلك الحوار المدهش والتناغم المؤثر بين الصورة «اللقطة» وبين الموسيقى والمؤثرات الصوتية.

ومن هنا نعتقد بأن شريط «لن نلعب» يجب أن يكون حاضراً في كل مكان.. وأن يكون في متناول الجميع في كل بلاد الدنيا، لأنه شهادة حية معبرة مؤثرة صادقة تنفذ إلى وجدان المشاهد ـ أي مشاهد ـ بسهولة ويسر.

وأخيرا نقول لمؤسسة المشروعات السياحية، شكرا جزيلا وجزاكم الله ومن ثم الوطن خيرا.. نقولها باسم كل مشاهد رافض «للاستعمار العربي» وللاحتلال كافة أيا كان جنسه وجنسيته.

***



الصامدون في الكويت(*)

كلمة لا بد منها

حين عشنا ، نحن الصامدون ، محنة الاحتلال العراقي الغادر لوطننا الحبيب بكل ما فيها من بلايا ومآسٍ . . كنا على يقين بأن استجابتنا لهذه المحنة ستؤدي - بإذن اللّه - الى أن تتخلص الكويت من هذا الاحتلال العبثي الهمجي الذي لم يشهد تاريخنا العربي ما يضاهيه غرابة ووحشية وعربدة .

منذ البداية لم نلجأ الى بوش ولا الى تاتشر ، ولكننا اتجهنا الى المولى سبحانه وتعالى ، ولذنا بالمسجد بيت اللّه ورحنا نتهجد ونتعبد ونصلي وندعو ونلح في الدعاء . . ومن ثم اخترنا موقف الصمود . . ذلك الموقف الذي اتخذه السلف الصالح حينما تعرضوا لنفس الابتلاء وعين المحن . كنا على يقين بأن هذه المحنة ستزول إذا استجبنا لها وفق القانون الرباني الحتمي ﴿ لا يغير اللّه ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ومن هنا برز انسان كويتي جديد . . وولد من رحم المحنة مواطن . . يختلف عن المواطن النفطي الذي كان موجوداً طيلة الزمن النفطي الذي عاشته الكويت منذ خمسين عاماً مضت .

(*) نشرت في صحيفة القبس الكويتية بتاريخ 15/10/91.

أعرف أن هذا المنطق لا يقبله المنظرون السياسيون والمحللون الاعلاميون ومن لف لفهم ، ولكنه يعبر عن اعتقاد كافة الصامدين . .

إنني هنا لا أغفل العوامل المادية التي أدت الى انسحاب وسحب قوات « الأخوة الأعداء » ، كما أنني في الوقت نفسه أثمن كثيراً مواقف الشعوب والحكومات التي آزرت الكويت واختارت الانحياز الى الحق ضد الباطل . . كل ما في الأمر أننا كنا مسكونين بهذا الاعتقاد الغيبي الذي قد لا يبلعه العلمانيون وأمثالهم . .

ولعلنا نلاحظ أن الإعلام الغربي بكل ما يملك من امكانيات ضخمة في التأثير وتشكيل الوجدان للرأي العام العالمي ، لم يتعرض الى الدور الذي قام به الصامدون في عملية تحرير الكويت . . إن أي مراقب موضوعي سيلاحظ أن هنالك تعتيماً على كثير من أنواع الكفاح والمقاومة الرافضة للاحتلال والمتصدية للغاصبين . . فعلى سبيل المثال ، فإن حركة العصيان المدني التي شملت كافة الصامدين من المواطنين والمقيمين لم تلق التغطية الاعلامية المناسبة . . كما أن عمليات المقاومة العسكرية هي الأخرى لحقها التعتيم ، فضلاً عن التقليل من دورها وتأثيرها . . بينما في نفس الوقت نجد أن الأعلام الغربي قد أقام الدنيا ولم يقعدها بسبب ما عرف بعملية الرهائن الأجانب المقيمين في العراق والكويت . . وفي نفس السياق نجد كذلك أن عملية الاعتداء على بعض المواطنات الغربيات ظلت حديث الأعلام الغربي لمدة طويلة . . . مع أن الفعلة الوحشية نفسها قد طالت العديد من النساء العربيات المسلمات الكويتيات واللواتي ينتمين الى جنسيات عربية . .

إن الصمود لم يكن مجرد عصيان مدني وانقطاع عن العمل وما إلى ذلك ، لأن المهم في هذا الموقف دلالته ومعناه سيما وأن النظام العراقي كان يراهن على احتواء مشاعر أهل الكويت كأثر ردود فعلي تجاه الاحتلال الغاشم . .

والكاتب ينوه بهذه المعاني لأن الاعلام الغربي ، بعد تحرير الكويت ، قد تعمد عدم ذكر أي دور فعال للصامدين في عملية تحرير الكويت . . ولازال حتى هذا اليوم يركز على الجانب العسكري الذي قامت به قوات التحالف ، وقد كان في مقدور الصامدين ـ رغم كل ما تمخض عن الاحتلال من المآسي ـ احتواء هذا الاحتلال الهمجي

ودحره . . ذلك أن غالبية القوات المحتلة لم تكن مقتنعة بالدور القذر الذي قامت به في الكويت . . والدليل على ذلك عدم ثقة النظام الصدامي بقواته المحتلة ، إذ كان في معيتها كتائب إعدام وقوات قمع وارهاب ، فضلاً عن العمليات اليومية المتواصلة لهروب الجنود والضباط من الجيش النظامي أو الجيش الشعبي على السواء . .

وقد اطلعت بنفسي ، بعد عملية التحرير ، على وثائق عسكرية عراقية تدلل على ما ذهبت اليه . أن الأوامر العسكرية الموجهة من القيادة العامة تلح على ضرورة احتواء ظاهرة هروب واختفاء الضباط والجنود العراقيين . . وكانت هذه الأوامر ترد الى الجهات المختصة بصفة يومية ، تقريباً ، أضف الى ذلك أن الكثيرين من الصامدين كانوا يقدمون الملابس المدنية الوطنية (الدشداشة) لجنود الاحتلال حتى يتمكنوا من الفرار من هذه الحرب الظالمة المفروضة عليهم .

* * *

لم نفقد المتعاطفين معنا؟!

● حين يستعيد المرء التعاطف الانساني الدولي، الذي حظيت به قضية اجتياح الكويت، في مثل هذه الأيام من السنة السودة الماضية . . أقول حين يستعيد ذلك كله، ويقارنه بحال الكويت بعد ستة شهور من التحرير، سيلاحظ أمراً غريباً محيراً يكمن في أن بلادنا فقدت ـ ومازالت تفقد ـ العديد من المريدين المتعاطفين مع قضيتنا العادلة المدافعين عنها دون كلل ولا ملل .

يحدثني صديق حميم له صلات متينة مع العديد من رؤساء الدول والمفكرين والأدباء والنقابيين والأكاديميين إلخ . يقول صاحبنا : إن العديد من المؤسسات المعنية بحقوق الانسان كان لها نشاط فاعل ومؤثر لتأييد الحق الكويتي والتنديد بالاستعمار العربي القبيح . . فعلى سبيل المثال لا الحصر: فإن اتحاد المحامين العرب عقد مؤتمرين كرسهما لقضية الكويت العادلة . . فعقد المؤتمر الأول في القاهرة (اكتوبر 1990) والمؤتمر الآخر في المملكة المغربية (ديسمبر 1990) . وفي السياق نفسه قامت

المنظمة العربية لحقوق الانسان، والمركز الدولي للحقوق القانونية في براغ، ومركز ابن خلدون للدراسات (القاهرة)، ومركز البحوث والدراسات السياسية (جامعة القاهرة)، أقول قامت بأنشطة تستأهل الاشادة والشكر. أضف إلى ذلك مواقف المفكرين والأدباء والمبدعين والاعلاميين والناس العاديين في شتى بقاع العالم.

ولأننا كنا ـ معشر الصامدين ـ محاصرين ومعزولين اعلاميا في الكويت المحتلة. . ولا نعرف من هو معنا ومن هو علينا. . فقد اكتشفت وأنا في مصر المحروسة، إن الشاعر العربي المصري الصعيدي الاستاذ «عبد الرحمن الابنودي»، كان أحد الكتائب التي أسهمت في تحرير الكويت!

فقد سمعت من المصريين أنفسهم بأن «الليلة المحمدية» التي أبدعها الشاعر، وكرسها لمحنة احتلال الكويت، كان لها التأثير الايجابي، في تشكيل إتجاه الرأي العام المصري الرافض للغزو والاحتلال. زد على ذلك قصيدته الطويلة اللاذعة الطافحة بالأسى والشجن «الاستعمار العربي» التي تشي بأن «الابنودي» طال عمره الابداعي هو الكويتي الأخير والوحيد في مصر المحروسة. ولذا حاربه «الأخوة الأعداء» وأزلامهم بشراسة وحاولوا ـ بالايحاء والتصريح ـ القول بأنه «عميل» كويتي وشاعر «أرزقي» كتب ما كتب بعد أن استلم المقسوم الكامل الدسم!

ولا حاجة بنا إلى القول بأن قصيدة «الاستعمار العربي» تغني عن أي مقال يفند التهم المزعومة. . ولعل مضمونها وخطابها الجريء الصريح اللاذع هو الذي حرض الارزقية على اسقاط أخطائهم وخطاياهم على ذات الشاعر الجريء الحر.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ماذا فعلت الكويت الحرة «للابنودي» والدكتور فؤاد زكريا والدكتور علي الدين هلال، والدكتور ابراهيم سعد الدين، فضلاً عن عشرات المفكرين والمنظمات العربية والدولية؟!

● والحق ان السؤال لم يطرح نفسه من فراغ للأسف الشديد!. فبدلاً من أن تقول الكويت شكرا وجزاكم الله خيرا، لكل من آزرها ووقف معها في محنتها. . نجدها تنسى كل المريدين المؤيدين لها. . بل تتناساهم! فعلى سبيل المثال لا الحصر فإن اتحاد المحامين العرب كان يتمنى على الكويت دعوته لزيارة الديرة بعد التحرير لحضور

المحاكمات التي حضرها مئات الصحفيين . . والمؤسف أن الاتحاد لم يتلق الدعوة حتى كتابة هذه السطور . . على الرغم من الوعد الذي تلقوه من أحد الوزراء بأن تصلهم الدعوة حال وصوله إلى الكويت . ووصل معالي الوزير منذ أربعة شهور لكن دعوته لم تصل! لماذا؟ الستر زين لأن العذر شين!!

وأخشى القول بأن إدارتنا للأزمة المحنة لم تكن في مستوى المحنة! وأعتقد أنه آن الآوان لفتح ملف محنة الاحتلال سعياً إلى معرفة الدروس والعبر واكتشاف نواحي القصور والتقصير في أي مجال .

● مهم جداً أن نعرف : لماذا كسب النظام الصدامي العلماني تأييد وتعاطف العديد من الأحزاب والجماعات الاسلامية واليسارية على حد سواء؟!

إن وضع اللوم على كاهل الآخرين أمر سهل ومريح . . لكنه لا يؤد إلى طائل بل إلى طل!

إن ملف محنة احتلال الديرة وارم بالوقائع والممارسات و. . الخ . وقد حان وقت فتحه والنظر فيه بعين النقد الذاتي الصريح الذي لا يخشى في الحق وحب الديرة البصير لومة لائم .

***

الصمود في الكويت واجب وطني

● بداية ، أقول بأن العبد للّه لا يزعم بأنه انسان غاوي فقر ورافض لحياة العز و« البرجزة » العامرة بالملذات وزينة الحياة الدنيا . . فهو مثل كل الناس الأسوياء المجبولين على حب الطيبات من لذائذ هذه الحياة . ولعل العيب الأساسي في حياة العز والرفاهية يكمن في أنها مثل مطر الصيف تخص أناساً دون غيرهم . . وربما ـ من هنا ـ قال سيدنا علي بن أبي طالب ، رضي اللّه عنه ، قولته الشهيرة « لو كان الفقر رجلاً لقتلته » .

أقول ذلك كله ، بمناسبة الاشارات والأحاديث والاشاعات الموحية بأن أخوتنا

الذين رابطوا وصمدوا في الكويت المحتلة سيخصون بامتيازات مادية ومعنوية « نظير » موقف الصمود والمرابطة الذي اختاروه بارادتهم الحرة ، دون طمع في أي حقوق وامتيازات .

والحق أن هذا المنحى ليس وليد الساعة . . فقد تواترت أخباره وإشاعاته طوال شهور الاحتلال . فمرة يقال بأن كل صامد سيمنح ميدالية وعلامة تميزه عن الآخرين ، وتمنحه حقوقاً لها أول وليس لها آخر ! كأن تكون له الأولوية في كل شيء ! ففي الشارع فإن أولوية المرور للصامدين . . وفي الطوابير يحق لهم شق صفوفها وتقدمها في اللحظة التي يصلون فيها الى الموقع ! زد عندك العطايا والهدايا والهبات وحفلات التكريم والزفة الاعلامية الاحتفالية والأعراس الوطنية المكرسة للاحتفاء به وتكريمه ! .

وحين كان بعض الصامدين تتسلل الى أسماعهم تفاصيل هذا المنحى الامتيازي يرفضونه جهاراً نهاراً . لأن اختيارهم الشرعي العقيدي الوطني ليس للبيع . . ولا مطروحاً في مزاد الامتيازات ! فالصمود حق وواجب يختارهما المواطن موقفاً وفعلاً يترجمان حبه وانتماءه لوطنه .

وبهذا المعنى فإن العبد للّه ضد الاتجاه الساعي الى تمييز المرابطين عن النازحين قسراً وعنوة بأي درجة ونوع من الحقوق والامتيازات .

ومن خلال عشرتي ومعايشتي لأخوتي الصامدين . . طوال شهور المحنة . . يمكنني القول بأني لم أسمع أو أشعر بأنهم يتطلعون الى مكافأة نظير صمودهم ومرابطتهم في وطنهم المحتل . أضف الى ذلك تبرع الميسورين منهم بأموالهم وحلالهم . . فضلاً عن تضحيتهم بأرواحهم وتعرض العديد منهم الى محنة الاعتقال ومعاناة التعذيب الوحشي .

ولا يحسب القارىء أنني ، في هذا السياق الرافض ، أعبّر عن وجهة نظر خاصة فحسب . . بل أزعم بأن الكثيرين من الصامدين يتفقون معي في كل ما ذهبت اليه .

حسب الصامدين تكريماً قولة : « جزاكم اللّه خيراً » تتدحرج على لسان بقية المواطنين معجونة بالدعاء الطالع من القلب . والذي عاش فترة الاحتلال الغاشم داخل الوطن وكابد شتى أنواع المعاناة التي لا تخطر على بال خيال أي مؤلف يعرف ويعي معنى

قيمة الدعاء بالنسبة للصامدين . . ويدرك أن هذه المعاناة لا يمكن مقايضتها بأي مطمع مادي دنيوي ، مهما كان كرمه وسخاؤه .

إن الصامدين ـ في اعتقادي ـ يبغون الثواب والأجر . . لا الأجرة ! ويبغون ـ من ثم ـ تنفيذ العقد الوطني الذي تم الاتفاق عليه في مؤتمر جدة . فضلاً عن تأصيل تجربة دولة المؤسسات التي كانت في سبيلها الى نقلنا من صيغة الدولة القبلية الى الدولة الحديثة . والعبد للّه ، في هذه النقطة ، يعبر عن وجهة نظره الخاصة ولا يمثل فيها سوى ذاته . .

***

صامدون لحماية ممتلكاتهم !

● من الأقاويل التي تسللت الينا ، عبر الحدود ، واقتحمت الكويت المحتلة في ذروة محنة الاحتلال . . الزعم بأن المرابطين ـ من المواطنين والمقيمين ـ الذين اختاروا التشبث بالأرض والديرة وعدم مغادرتها مهما كانت شدة وطأة المعاناة . . قولة أنهم مرابطون خشية على ضياع أملاكهم ! ومع أن هذه المقولة لا تعد سبة ولا عاراً يشين الواحد ، فإنها ترددت وتواترت بنبرة تشي بالسخرية والتهكم والذم ! أما « الأخوة الأعداء » فقد أشاعوا بأن كل أو جل الذين هجوا من الديرة المحتلة هم من الميسورين والأغنياء وأصحاب الأرصدة المتخمة في الخزانات السرية في البنوك السويسرية وغيرها .

إن المقولتين ـ في ظن العبد للّه ـ ظالمتان وتدلان على جهل شديد بالانسان الكويتي . . . وبالأسباب الشرعية الاسلامية التي تفرض عليه اختيار فعل وموقف المرابطة . فإذا كان ثمة أناس رابطوا حمايةً لمالهم ودفاعاً عن أرضهم وعرضهم ، فإن هذا الموقف يزينهم ويشرفهم ويرفع هامتهم ، فضلاً عن أنهم يثابون عليه إن شاء اللّه !

إن أي مقيم في الكويت المحتلة يلاحظ ، بسهولة ودون عناء ، بأن غالبية المرابطين من المواطنين والمقيمين المستورين الذين يعيشون على الراتب الوظيفي . . ومن أصحاب المعاشات والدخول المحدودة والمتوسطة فضلاً عن أفراد الأسرة الحاكمة .

ولو أن صاحب المقولة ، السالفة الذكر ، عاش وسط المرابطين ومعهم وعانى

بعض ما عانوا ، لبلع ريقه ولحس كلامه وندم على كلامه الجهول .

فقد رأيت ـ بعيني ـ عشرات الأسر والأفراد يبيعون أثاثهم وممتلكاتهم ومقتنياتهم المنزلية ، درءاً لذل السؤال وتعففاً من إشهار الحاجة والعوز . بل إن منطقة كيفان بأسرها ظلت الأشهر الثلاثة الأولى من محنة الاحتلال بمنأى عن المخصصات المالية التي كانت توزعها الحكومة كل شهر على الصامدين . وقد عاش أهالي المنطقة على أعطيات اللجنة الشعبية للمنطقة والتي استطاعت تأمين الأموال من أموال الصدقات والزكوات والتبرعات التي تأتي من المواطنين الميسورين الخيرين !

أضف الى ذلك قيام هذه اللجنة بتمويل وتموين عشرات الأسر بالمال والزاد ، رغم أنهم من غير أهالي كيفان . . أو لأنهم كذلك ! فقد كانت تلك الأسر المتعففة تقطن في مناطق سكنية «مقطوعة » ومحاصرة وتفتقر الى وجود اللجنة الشعبية للتكافل وتعاني من استحواذ قوات الاحتلال على أغلب ما تنتجه الأفران الآلية وما تبيعه الجمعيات التعاونية الاستهلاكية . أما غالبية المرابطين الأغنياء الميسورين . . فإن تشبثهم بمنازلهم واختيارهم الصمود في حضن الوطن لم يدرأ عنهم سلب وتخريب أموالهم وعقارهم وممتلكاتهم .

الاحتلال ووحدة الدخل المحدود

● ولو كنت في الكويت المحتلة طوال فترة الاحتلال الغادر ، فستدرك أن جميع المرابطين صاروا من ذوي الدخل المحدود . . سيما بعد أن سلبت قوات الاحتلال المال والحلال ودمرت الممتلكات واستحوذت على الأرصدة والمدخرات . ولهذا السبب صار من المألوف مشاهدة بعض الميسورين يفترشون الأرض متربعين أمام « بسطات » البضاعة التي يبيعونها لقاء حفنة من الدنانير تقيم الأود وتسترهم بغيمة التعفف .

ولم يعد المواطن يستنكف العمل في التجارة المشروعة ، بغض النظر عن تواضع البضاعة التي يسوقها ، فثمة وكيل وزارة من أسرة معروفة وميسورة ، صار تاجر مواشي ودواجن وبيض وحليب ، وشاهدت شخصية رياضية ، مخضرمة ، تعمل بالجزارة بدون تعال أجوف من أجل أداء خدمة للناس من جراء حرفة شريفة .

وكنت أشاهد عشرات الرجال والشباب والصبيان وهم يبيعون المواد التموينية

والأغراض الاستهلاكية بأسعار متهاودة تسمح بالحصول على هامش ربح بسيط .

وسمعت ـ اضافة إلى ذلك ـ عن فصيلة تجار المحن والحروب الذين يجيدون بلع الكتف الكامل الدسم ! وتواترت الأنباء والأقاويل عن أناس كانوا يعيشون على الحديدة وعلى الراتب الشهري ثم تحولوا ـ بقدرة قادر ! ـ إلى أثرياء ، بحيث صار واحدهم مليونير بعد أن كان مديونير على باب اللّه !

إن القول بأن المواطنين اختاروا موقف الصمود لأسباب مادية يشين ويدين قائله . . ولعله بحاجة إلى خبير في النفس البشرية ليفسر لنا دلالته ومغزاه ومبرره .

ولو أن الأمر وقف عند حد هذه المقولة الغريبة لهان الأمر . . لكن الملاحظ أن البعض يريد أن يقزم فعل المرابطة ويقلل من قيمته ودوره وجدواه .

ففي الأسبوع الأول من التحرير كنت أطوف شوارع الجهراء بحثاً عن منزل أحد الأصدقاء . ولأن العبد للّه ضعيف جداً في الجغرافيا ، لذا وجد من المناسب اللجوء إلى احدى نقاط التفتيش الوطنية للاستفسار منهم عن بغيتي ، دحرجت عليهم ـ بداية ـ السلام . . وفوجئت بالصمت المريب . أعدت دحرجة السلام لكن « عمك أصمخ »[1] ومتوتر . وفوجئت بأحد أفراد نقطة التفتيش يشهر سلاحه صارخاً : ضع يديك فوق رأسك . . افتح صندوق السيارة . . سلمني أوراقك ! !

بصراحة ضاق صدري ، واكتنفني النكد والغضب . . وخشيت أن أكون داخل البصرة لا الجهراء ! الحاصل انه تعامل معي بفظاظة غير مبررة . . وكدت أمضي نهاري وربما ليلي في ضيافة الحكومة لمجرد احساس افراد النقطة بأن العبد للّه تجاهل وجودهم بدعوى أنه واحد من الصامدين !

قال أحدهم ـ وهو يبحلق في هويتي ويضاهيها بطلعتي البهية ـ هل أنت كويتي . كاد البعير الذي يسكنني أن ينطلق من عقال صبره . . لكني لذت بالصمت وتجملت بالصبر . وراح يفتش السيارة . . ومن ثم زأر بحدة : أتظنون أنفسكم فوق الحكومة وبمنأى عن المساءلة لمجرد أنكم قبعتم ـ مثل الحريم ـ في بيوتكم بدعوى المرابطة . .

---

(1) أصمخ : لا يسمع .

وقد تجمع بعض أهالي المنطقة وانحاز أغلبهم إلى جانبي . . سيما بعد أن تعرف عليّ بعضهم . وزاد ذلك الموقف حدة . . وكاد أن يتطور إلى ما لا تحمد عقباه ! لكن اللّه سلم أثر حضور ضابط وطني مستنير وفض الاشتباك بثوان . ومن ثم اعتذر إليّ من تصرف العريف المرهق الذي لم ينم منذ ثلاثين ساعة ، على حد قوله .

● والمؤسف أن الحادثة التي مررت بها ذاقها الكثيرون وضجوا منها ، الأمر الذي يوحي بأن الواقعة ليست حالة شاذة بل تكاد تشكل ظاهرة عامة . والمثير للانتباه في هذه الظاهرة الطارئة أن قوامها الصامدون من جهة والنازحون من جهة أخرى . وكل طرف يتهم الآخر بصفات ونعوت معجونة بالتعالي والتهكم والعدوانية . . وما إلى ذلك من مشاعر تفجرت بعد تحرير البلاد بصور شتى . كأن تجد بعض المواطنين النازحين الذين دخلوا البلاد أثر تحريرها يشعرون بأن بعض الصامدين يتعالون عليهم . . و« يمنون » على الديرة بموقف الصمود الذي اختاروه فترة الاحتلال ! أو أن يشعر بعض الصامدين بأن سلطات الأمن الوطنية تعاملهم عين المعاملة التي كانوا يلقونها من السلطة الأمنية المحتلة . . إلى درجة أنه بدا للمراقب بأن الشعب الكويتي الواحد انقسم إلى حزبين متضادين !

فحين قامت الحكومة بتقديم منحة مالية لكل صامد علت أصوات غير الصامدين بأصوات الاحتجاج ضد هذه التفرقة . . بينما رد الصامدون على حملة الاحتجاج بالمطالبة بمساواتهم ، مع اخوتهم النازحين بحيث تدفع لكل مواطن نفس المبالغ التي صرفتها على الكويتيين الذين أمضوا فترة الاحتلال في الخارج .

وقد غادرت البلاد بعد شهر رمضان ، بينما الظاهرة تتنامى وتتطور وتبرز فوق سطح العلاقات بصيغ تدلل على حضور الظاهرة . . على الرغم من المحاولات الساعية إلى القفز فوقها . . وتناسيها وانكارها واهمالها سعياً حميداً لاحتوائها .

وفي مصر ، المحروسة ، سمعت عن معارك كلامية وغير كلامية بسبب « الحوار » القائم بين بعض أعضاء حزب الداخل وبين أعضاء حزب الخارج . . وهو حوار (يعور) لأنه يتم بالتي تسيل الدم والجراح . ومن عاداتنا الفولكلورية ازاء مثل هذه الظاهرة تأجيل النظر فيها وتشخيصها وارجاء علاجها إلى حين وصولها إلى درجة شديدة من التعقيد والتفاقم والخطورة .

والخشية تكمن في أن يتطور الحوار إلى مواجهة لسبب أو لآخر ! ومن هنا تأتي

أهمية حصر هذه المسألة في حدود الحوار العقلاني المستنير . . لأنه ـ وحده ـ القادر على وأد الفتنة واحتوائها .

والعبد للّه ليس من محبذي حصول عامة الصامدين على امتيازات مادية ومعنوية . . لأن موقف المرابطة ـ في اعتقادي ـ لا يقدر بثمن . . كما أنه ليس مطروحاً للبيع ! لأن المرابط حين اختار المرابطة والصمود في وطنه المحتل كان يفكر بالأجر . . لا الأجرة . . والأجر ـ بداهة ـ يناله المرابط من المولى سبحانه وتعالى . . أما الأجرة فهي نصيب الجنود المرتزقة الذين يخوضون في مستنقعات الحروب القذرة التي تحدث في العديد من بقاع الدنيا وديار العالم .

***

التأهيل النفسي.. ضرورة وطنية

التركيز والاهتمام . . والاعلام . . والاجتماعات . . والتصريحات والميزانيات و . . . الخ ، مكرسة لإعادة اعمار الديرة ، وحصر الأضرار المادية فقط لا غير! وربما ـ في غمرة فرحتنا بالتحرير ـ نسينا التخريب والدمار والاضرار التي تعرض لها الانسان الكويتي!

فترانا ـ نقلد اعلام المعازيب الأميركان طالت أعمارهم ـ فنكرس صفحات الصحف والبرامج الاذاعية والتلفزيونية ، للحديث عن حرائق النفط وآثارها المرعبة على الانسان والحيوان والطبيعة . . وتلوك الدواوين وتجار أخبار الصفقات والمناقصات وغير ذلك مما لا يخفى على القارىء:

بالطبع ، نحن لا نقلل من خطورة التلوث ولا نحط من أهمية إعادة بناء إعادة المرافق العامة وغيرها . . لكني لا أتمنى أن يتم ذلك بمنأى عن إعادة بناء الانسان وعلاجه من «التلوث» الذي خلقه الاحتلال والمحتلون فطال الذاكرة والوعي والقيم والوجدان والعقل وكل ما في الانسان من حياة!

ان المتضررين من الاستعمار العربي القبيح كثيرون ، كثيرون جدا ، ولا ينحصرون في الكويتيين ، بل انهم يشملون شتى الجنسيات التي كانت في الديرة . . . ابان الاحتلال . . وربما تشمل من كان خارجها!

وأثناء زيارتي لأسرة أجنبية كانت هنا، أثناء الأسابيع الأولى من الغزو الهمجي.. ثم غادرت عبر البر، لاحظت أن كلبة الأسرة كانت ترتجف عند سماع أي صوت عال. لا تلوموا الكلبة! فقد صحت ذلك الفجر الأسود على دوي القنابل والمدافع.. وشافت الموت عشرات المرات! وعلى الرغم من أنها تمكنت من مغادرة الديرة بمعية مولاتها.. الا ان الكلبة (يا بعد كلبي) لاتزال مسكونة بالرعب والقلق والتوجس!

فإذا كان الحيوان بمثل هذه الحالة.. فماذا يكون حال الانسان؟.. الأم الثكلى، أيتام الشهيد، الأرملة، المعوقون معنويا ونفسيا، المعتدى عليهن، الخارجون من محنة الأسر والتعذيب والقمع، المسكونون بالمخاوف المرضية، وكافة المعذبين من جراء ما حدث لوجدانهم من دمار وأضرار وتخريب؟!

وقد صدق الأخ الدكتور ابراهيم الخليفي حين قال ـ في معرض تعليقه على الموضوع الذي نحن بصدده ـ بأن عامة المواطنين الكويتيين يحتاجون إلى إعادة تأهيل نفسي، بل أحسب أن عامة المواطنين الكويتيين يحتاجون إلى عملية التأهيل النفسي! لأن كل بيت كويتي: عامر بالحزن والقهر والغضب والجروح العصية، وكل أسرة كويتية طالتها العربدة الارهابية الهمجية المجنونة لقوات الاحتلال العراقية «النشمية»!

وقد أتيح للعبد لله، منذ أيام قليلة، الانصات إلى حوار دار بين طفلة في العاشرة وبين والدتها، حول والدها الشهيد، الحوار يقطع نياط القلوب.. توحد الصبية بوالدها الشهيد.. وكأنه يسكنها! والحق أنه يسكنها وهي تعبر عن هذه الحالة الوجدانية بلغة طافحة بالشجن والصبابة لشوفة الوالد الشهيد. وأعترف للقارىء الكريم بأني عجزت عن نقل هذا الحوار.. وكم تمنيت لو كانت عندي آلة تسجيل ليعرف القارىء.. كم كان عرض العبد لله مخلا قاصرا عاجزا عن تصوير بلاغة الحوار وحضوره الانساني المؤثر.

الحاصل، ان الجهات المعنية بموضوع التأهيل النفسي.. مدعوة إلى تنسيق جهودها وأنشطتها.. لأن قضية التأهيل النفسي قضية وطنية عامة وهامة وحيوية.. تستوجب تضافر جهود كافة المعنيين والمختصين والخيرين والمتطوعين.

***

لا ننسى أسرانا !

أتساءل، ببراءة وصراحة شديدتين، هل نحن جادون حقاً في مسألة الاهتمام بقضية مواطنينا المختطفين المعتقلين في سجون عراق صدام؟

«لا تنسوا أسرانا» الشعار الذي رفعناه واخترناه يقول للعالم بأن عيالنا المخطوفين ـ عنوة وقسرا ـ هم أسرى لا رهائن مخطوفين !

وشتان بين الأسير والرهينة المختطف فالغرب ـ عبر إعلامه ـ أقام الدنيا، ولم يقعدها، حين اختطف النظام العراقي الرعايا لاستخدامهم دروعا بشرية لحماية المنشآت الحيوية. وقد لحس «المهيب» قراره ونكص عنه، وفق تمثيلية مضحكة ممجوجة، أساءت الى العراقيين بخاصة والعرب والمسلمين بعامة.

المهم هنا: هو أن يعرف العالم، بشتى السبل، أن عيال الديرة المعتقلين في سجون العراق هم من الرهائن المخطوفين. . لا الأسرى!

وثمة سؤال بريء هو الآخر: شعار «لا تنسو أسرانا» نلعلع به ونسطره لمن؟! ستقول لي بأنه ـ بداهة ـ موجه إلى الآخرين. زين! مادام الأمر كذلك، أليس المفروض فينا ـ بداية ـ ألا ننسى أسرانا؟!

ان فاقد الشيء لا يعطيه! والاعلام (الدنبكجي) المتكيء على الشعارات اياها لا يقنع أحدا. . لا نحن ولا الغير!

فكيف نطالب بعدم نسيان «أسرانا»، بينما نحن نقيم الأعراس والأفراح والليالي الملاح! وكأن الديرة لم تخرج لتوها من محنة مأساوية مثخنة الجراح؟! مع أنها، لاتزال، تنزف دموعا ودما وتكابد ويلات وأوجاع وأمراض وبلايا الاحتلال العربي العراقي الغاشم!

فها نحن نقيم الأعراس وسط مهرجان الاضاءة «الفرايحية» تلعلع فيها الطبول والطيران، وزخات الرصاص، فضلا عن تلال الرز وقطعان «القوزي» والذي منهما!

بالطبع، لا نطالب بالغاء الفرح من حياتنا اليومية، ولا نبغي أن يكون كل بيت حزينية و«حسينية» وما الى ذلك. كل ما نبغيه هو احترام مشاعر الأرملة، والأم الثكلى، واليتامى، وعيال الديرة (من الجنسين) الذين عانوا محنة الحبس وويلاته، فضلا عن ذوي الشهداء و«الأسرى» والمفقودين وكل ضحايا هذا الاحتلال الهمجي.

لا نطالب بالغاء الفرح.. لكن عملية اعادة البناء ليست مهمة مناطة بالحكومة ومؤسساتها.. انها مهمة وطنية لا بد أن يسهم فيها كل مواطن. ولعل أبسط اسهام هو أن «يتنازل» عن امتيازات العصر النفطي الطافحة بالبطر والمنظرة.. واستعراض العضلات «البنكية» والدواخل المادية!

باختصار، لكي يقتنع ويحترم العالم خطابنا بشأن عيالنا وأهالينا المخطوفين المحبوسين في سجون «المهيب» علينا نحن ـ بداية ـ ألا ننسى أسرانا!!

***

عروس الوطن! (*)

● وأنا في مصر المحروسة، جاءني هاتف من لندن: انها زوجة صديق حميم، مواطنة تقيم في المنفى، منذ ـ وقبل ـ غزو الديرة صوتها ـ عبر التليفون ـ يزغرد بالفرح عند سماعها لصوت العبد لله وعياله وأمهم! وبعد دحرجة العواطف الجياشة على الهواء.. أذكر أنها قالت ـ في معرض بوحها عن معاناتها أثناء الاحتلال ـ لقد شعرت بأني مغتصبة!! هزتني الكلمة من الأعماق وأثارت شجوني وذاكرتي وأحزاني.

أقول هزتني العبارة المأساوية، لأنها ـ في اعتقادي ـ تعبر عن احساس كل مواطنة مسكونة بالوطن.. فبهذا المعنى: كل مواطنة كانت مغتصبة بدون «الحاجة» إلى أن تتعرض إلى فعلة الاغتصاب العربيدة.

(*) نشرت في صحيفة القبس الكويتية.

لقد كانت الديرة ـ كلها ـ مستباحة ومغتصبة . . بينما كان البعض منا «يسترقون السمع لصراخها . . حين تفض بكارتها» ثم يعودون اليوم، .بعد التحرير، لتشويه سمعة المواطنات الشريفات اللواتي اعتدي على أعراضهن عنوة وقسرا ودفاعا عن الوطن .

ويبدو أن هناك نبرة نشاز تحاول الاساءة إلى سمعة وشرف المواطنات، اللواتي تعرضن لمحنة الاغتصاب، فضلا عن محاولة عزلها اجتماعيا، كما المنبوذين أو المصابين بمرض معد، لا سمح الله!

ان هؤلاء المواطنات فخرٌ وشرف للوطن وأهله، لأنهن افتدين الوطن بأعراضهن . . وتعرضن إلى شتى أنواع القمع والتعذيب والممارسات الاجرامية . . لكنهن لم يرضخن للعدو الغاشم، فلم يتمكن من انتزاع معلومة يتيمة تضر بفرسان وفارسات المقاومة الوطنية . وفي هذا السياق، أتذكر صلابة المواطنة السيدة الشابة (. . . . .) وهي تتحدث عن السكينة الربانية التي كانت تكتنفها أثناء تعرضها لوجبات التعذيب . . إلى درجة عدم صدور أنة ألم أو صرخة وجع . . ربما أن القلب واللسان مسكونان بكلام الله سبحانه وتعالى . فقد كانت المواطنة الفارسة صائمة طوال فترة اعتقالها، وعقب تحرير البلاد، وإلى ما شاء الله!

ان هذه المواطنة المرابطة الصابرة المحتسبة واخواتها قد رفعن ـ بأفعالهن البطولية وتضحياتهن المدهشة ـ هامة الوطن والمواطن . وأذكر، بهذه المناسبة، أن المجاهدين الجزائريين ـ بعد تحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسي ـ تسابقوا إلى الاقتران بالمجاهدات الفاضلات اللواتي اعتدي عليهن من قبل أفراد قوات الاحتلال الفرنسي .

زد على ذلك أنهن كن محل فخار واعتزاز وتكريم الشعب والحكومة على حد سواء .

ولعلنا نذكر المجاهدة الجزائرية الشهيرة (جميلة بوحيرد) والاحتفاء الشديد الذي حظيت به في كل مكان حلت به في ديار العروبة والاسلام .

وما دمنا قد جئنا على سيرة تسابق المجاهدين الجزائريين على الاقتران من الصامدات الفاضلات . . فإن العبد لله ـ وأمثاله كثيرون ـ يشرفهم اقتران أحد أنجالهم بواحدة من هؤلاء المواطنات الصامدات . . ولو أنه شخصيا وذات نفسه «فيه حيل» لبادر

بالاقتران باحداهن في التو والحين! وعلى رؤوس الاشهاد جهارا نهارا! على سنة الله ورسوله. لكن العزاء والبركة في العيال!

والمهم: دعونا نتذكر كم شاعر ومدرسة ومرفق سمي باسم المجاهدة «جميلة بوحيرد» في كل حاضرة ومدينة عربية. وكم شارع عندنا في الكويت الحرة سيحمل أسماء «الجميلات الكويتيات»؟!

***

دور المرأة المرابطة داخل البيت وخارجه

● على الرغم من كثرة التغطية الإعلامية الوطنية والعربية ـ بكافة أشكالها ـ التي انهالت على كل من كان له دور في عملية التصدي للاحتلال ومقاومته . . فضلاً عن عملية تحرير البلاد . . فان هناك فئات من المواطنين المرابطين لم تحفل بهم أجهزة الاعلام ، ولم يهتم بهم الصحفيون والاعلاميون لمجرد أنهم جنود مجهولون لا يبغون الشهرة ولا يسعون إلى المجد ، ولا يطمعون في أي عطية أو امتياز مادي ومعنوي .

أعني بالتحديد فئات ربات البيوت اللواتي قمن بالمهام المنزلية التي كان يقوم بها حشد من الشغيلة « من الجنسين » طوال أشهر الاحتلال بدون كلل أو ملل .

ويبدو أن هذا التعتيم الاعلامي ناشىء عن الجهل بالدور الذي قامت به كل زوجة وأم وشابة وطفلة داخل منزل ذويها .

وكلنا يعلم بأن البيت الكويتي ، قبل 2/8/1990 ، يسيّره الشغيلة من ألفه إلى يائه ! وكأن أهل البيت يقطنون فندقاً لا يحركون فيه ساكناً إلا عبر « الروم سيرفس » واصدار الأوامر بواسطة التلفون . ولم تكن هذه الظاهرة قاصرة على الأغنياء وأصحاب الدخول العالية فحسب . . بل إنها حاضرة في أغلب بيوت ذوي الدخول المتوسطة والمحدودة ! إلى درجة أن الكثيرين من المواطنين يصرفون أزيد من نصف رواتبهم على أجور المربية والشغالة والسائق .

وحين أضطر ارهاب وقمع السلطات المحتلة العمالة الوافدة إلى النزوح من

الكويت المحتلة ، فرغت البيوت من العاملين فيها الذين كانوا يقومون بكل الخدمات المنزلية . لكن أهل وأرباب البيوت تمكنوا من معالجة هذا الغياب الجماعي المفاجىء بالاعتماد على النفس . . تماماً مثل الأيام الخوالي ـ قبل اكتشاف النفط ـ حيث وزعت المهام بين أفراد الأسرة . وكان العبء الأكبر في ادارة شؤون البيت وتسييره وانجاز خدماته يقع على أم البنين ـ بل أم الصابرين ـ ربة البيت ومولاته .

ولا يحسب أحد أن مهام ربة البيت كانت تقف عند حد أمور الطبخ والكنس . . الخ ، بل كانت تهرّب الأسلحة وتوزع المنشورات والنقود وتتصدى لعربدة المحتلين « النشامى » بجرأة تغبط عليها .

إن البعض منا يتصور بأن مقاومة المحتلين منوطة بالرجال ومحصورة بحملة السلاح . . وهو تصور ـ في تقديري ـ قاصر . فلولا الدور الهام المجهد الذي قامت به ربة البيت داخل منزلها لما تيسر لأحد من المرابطين القيام بأي فعل ضد الغزاة المحتلين .

ولعلني لا أبالغ إذا قلت بأن ربة البيت لم تعرف طعم النوم ولا الراحة . ويبدو أن « الأخوة الأعداء » كانوا يراهنون على هشاشة وضعف المرأة الكويتية . . لكن تجربتهم القمعية معها أثبتت لهم بأنها مهرة عربية عصية على الترويض والخنوع . فقد اعتقلت وعذبت واعتدي عليها وترملت وثكلت وتعرضت لأشد أنواع القمع والارهاب وحشية ، لكنها ظلت صامدة صابرة محتسبة عالية الهامة ، دون أن ترضخ لبطش المحتلين ووحشيتهم . وقد خضنا في هذا الموضوع باستطراد في الجزء الأول من الكتاب :

إن كل أم وربة بيت كويتية بطلة وشجاعة بدون الحاجة إلى أن تنضمّ إلى المقاومة الوطنية المسلحة . . أو أن تقوم بعملية عسكرية استشهادية . . لأن مفهوم المقاومة ذاته يتجاوز حمل السلاح والقتال .

ولعل الأم ، ربة البيت ، هي أكثر المرابطين تعرضاً للتعب والمعاناة وأغزرهم عطاء وتضحية وفروسية وصبراً وكدحاً . . وكل القيم الايجابية التي عمرت البيت الكويتي ومجتمع الصامدين بعامة .

● وإذا كان هناك ثمة جندي مجهول يستأهل الذكر والاشادة والتكريم ، فانه المرأة

الكويتية ؛ الأم والزوجة وربة البيت وقيّمته ومربية العيال وأمهم بالأصالة (لا بالوكالة) والولّادة التي أعطت الوطن الشهداء والمحاربين . . الذين يتطلعون إلى الاستشهاد ويسعون إليه بالفعل والفدائية والبطولة . . ان أي ثناء وتكريم واشادة لن ينصف المرأة الكويتية ولن يعطيها حقها .

حسبها أنها أم الشهيد والزوجة الأرملة والعروس التي تنتظر عريسها المسجون في معتقلات النظام العراقي المحتل وخادمة القوم وسيدتهم التي تطعمهم وتحدب عليهم وتموت كل يوم من أجل عيالها ومن أجل أبناء الوطن . . وحسبها أيضاً أنها كانت المعطاء في شتى مناحي الخدمة العامة التي تخبرها وتجيدها . . فتراها طباخة ومعلمة وطبيبة وقابلة ومربية وفدائية وفاعلة معطاء . . لا تكف عن الفعل والحركة ولا تكل .

ولعل التعتيم الذي خيم على ربة البيت الكويتية الاعتقاد بأنها صامدة في البيت لا تبرحه . . والجهل بالمهام التي كانت تقوم بها داخل البيت وخارجه .

ولا أبالغ إذا قلت بأن غالبية الصامدات يستأهلن تكريس عشرات ومئات الصفحات للحديث عن المهام الجسام التي قمن بها بصلابة أدهشت القريب والغريب . . الصديق والعدو ، على حد سواء !

ويبدو أن الانسان ، في ساعات الشدة والمحن ، تتفجر فيه طاقات وقدرات كامنة لا تظهر على مستوى الفعل ، إلا حين يختار المرء مجابهة التحديات والتصدي لها .

وقد يبدو لك ما سأنوه به ترهات وخرافات وغيبيات تجافي العقل وتنفي المنطق . . وقد تظن أن الوقائع التي سآتي على ذكرها . . « تخاريف شايب » أو شطحات درويش مجذوب . . وما إلى ذلك . . فإذا بدا لك ذلك ـ لا سمح اللّه ـ فلا بأس على العبد للّه . . ولا على القارىء . . وحسبنا هنا القول بأن (ناقل الكفر ليس بكافر) . . وبعض الوقائع لم أسمع بها فحسب . . بل إني شهدتها وعايشتها عن قرب وكثب . . ولك بعد ذلك كله أن تصدق أو لا تصدق !

مرارة المحنة تنفي السكر !

● الكويت من الديار التي يكثر فيها مرضى السكر . . بحيث يمكن الافتراض ـ دون

مجازفة ـ بأن هذا المرض يسكن كل بيت كويتي بمعنى ضرورة وجوده في دم أحد أفراد الأسرة . ومريض السكر ـ كما هو معروف ـ يتبع نظاماً غذائياً خاصاً ويتلقى دواء معيناً كل يوم . وإذا صدف ـ لسبب أو لآخر ـ وخالف هذا النظام اليومي الصارم يتأذى ويتعب وقد ينقطع عن العمل ! بخاصة إذا كان كهلاً كبير السن .

ولأن المحتلين سيطروا على المستشفيات والمجمعات الصحية والعيادات المتخصصة وسلبوا مخزون الأدوية من مخازن وزارة الصحة العامة ومخازن الصيدليات التجارية . . فقد شح دواء علاج السكر وأصبح الحصول عليه صعباً .

فعلى سبيل المثال العم بوعلي ، مواطن سبعيني ، هدّ حيله مرض السكر وتعدد الزوجات الذي لا مبرر له . ولذا تراه قابعاً في منزله لا يبرحه إلا للمسجد . وعلى الرغم من أن منزله يجاوره ، فإنه لا يقدر على الذهاب إليه . . أو إلى أي مكان آخر إلا ممتطياً السيارة .

وذات قعدة وسط الربع في الديوانية ، فوجئنا بأبي علي يفترس الحلوى والتمر بنهم واضح ، بينما محياه يشي بجذل غامر لا يشعر به سوى المحرومين . وأمام نظرات الدهشة وصيحات التحذير التي صدرت عن الحاضرين ، قال بهدوء : خلاص يا جماعة الخير . . راح السكر ولله الحمد . لقد شفيت منه وصرت أطعم النشويات والحلويات بدون خشية ! ولا تسألوني شلون وكيف ومتى ولماذا حدث ما حدث ؟ . . لأني ـ صراحة ـ لا أعرف . . علمي علمكم ! فمنذ الأسبوع الأول من الاحتلال اللعين وجدتني أضرب صفحاً عن النظام والعلاج ونصائح الطبيب وولولة أم العيال . . وآكل كل ما يعنّ لي وما تشتهيه نفسي من حلو الزاد . والمدهش أني حين قمت بالفحوص اللازمة ـ بعد شهر العسل المذكور ـ ظلت نسبة السكر في الدم كما كانت قبل الاحتلال الغاشم حين كنت أحرص على الحمية وتناول العلاج !

وحالة العم بوعلي مع مرض السكر حدثت لكثيرين غيره من الرجال والنساء والأطفال المبتلين بهذا المرض العصري . فقد غاب مرض السكر عن الكثيرين من المرضى طيلة محنة الاحتلال . . وكأن مرارة المحنة ومآسيها العلقمية أذابت السكر ونفته بجرة ألم ومعاناة !

وقد سبق لي الإشارة ، في الجزء الأول من هذا الكتاب ، إلى التطور الإيجابي الصحي الذي طرأ على نزلاء مجمع دار الرعاية الاجتماعية ، على الرغم من غياب المشرفين والمعالجين والأجهزة التقنية الطبية الخاصة بكل فئة من النزلاء والتي يعد توفرها ضرورياً لاستمرار وجودهم وحياتهم اليومية .

ولا يظن أحد بأني أزعم بأن استجابة المرضى والأصحاء كلها منافع صحية ومعنوية . فثمة أناس يمرضون في أوقات المحن والبلايا . . وهناك أمراض جسمية نفسية معروفة في التحليل النفسي والطب النفسي باسم الأمراض الهستيرية . . وهي أمراض جسمية ذات أصل وسبب نفسي . . وعادة ما تصيب المرء في ظروف مشحونة بالخوف والرعب والتوتر ، مثل ظروف العمليات العسكرية والغارات الجوية ـ مثلاً ـ كأن يصاب المقاتل بشلل هستيري لحظة غارة جوية . . أو أي لحظة مناسبة . . ومن ثم يغادره المرض بزوال الأسباب النفسية والمعنوية التي سبقت حدوثه .

ولحسن حظ الصامدين ـ ولله الحمد ـ فإن الأمراض الهستيرية لم تكن شائعة بينهم . . على الرغم من أن أغلبهم لا يقتني سوى بندقية صيد وقنص وربما لم يسمع صوت إطلاق نار سوى في التلفزيون أو في طلعات البر ورحلات القنص !

***

فك تشابك (*)

منذ الأيام الأولى للاحتلال، تعرض الصامدون إلى غارات حرب نفسية مدججة بالاشاعات والأكاذيب والتقولات ولوي الحقائق . . الى آخر عدة وعتاد الحرب النفسية . والمؤسف أن هذه الحرب لم تشن من قبل «الأخوة الأعداء» المحتلين فحسب، بل شنت ـ ومازالت تشن ـ بواسطة بعض المواطنين الذين كانوا خارج الديرة طيلة شهور المحنة!

لقد بدأت المسألة ، عبر نداءات البث المباشر الاذاعية ، ووقتها لم يأخذ الصامدون الشتائم والاتهامات ، التي انهالت عليهم على محمل الجد . . بل انها صارت محل تندر المجالس والدواوين . . سمعتوا فلان ـ لا فض فوه ـ يقول للمذيع على الهواء لم يبق في

(*) نشرت بصحيفة «القبس» الكويتية .

الكويت المحتلة سوى الجواسيس والخونة والعملاء!! وتتواتر هذه النكات السمجة على موجة التندر المر. . هل جاءكم خبر «الحرمة» التي كانت تلعلع بندائها إلى عيالها قائلة: اسمعوا. . اسمعوا زين. . لا تصدقون بأن الصامد سيكون له مزية وامتيازات. . هذا كله خرطي[1]!. . من هنية أنصحكم بمغادرة الديرة في التو والحين! وخلوا الهبات والعطايا والامتيازات للراغبين فيها. . اللي قلبهم ميت وما يخافون!!. . صدق من قال: شر البلية ما يضحك!

هكذا عاش الصامدون ـ طوال فترة الاحتلال ـ وتعرضوا لحرب نفسية شرسة من المحتلين وبعض المواطنين.

ومع تواتر الأيام، وتواصل الحرب النفسية، انقسم الشعب الكويتي إلى فرقتين هما: فرقة الصامدين وفرقة النازحين. . ومن حقك أن ترفض ما ذهبت إليه وتزأر بشعار الأسرة الواحدة.

ولكن انكار هذه المسألة ـ لسبب أو لآخر ـ لن يزيلها من الوجود، فضلا عن أنه لا يساعد على احتواء الفرقة التي حدثت. . ويبدو انها في سبيلها إلى أن تتكرس مع تواتر الأيام الحبلى بالمفاجآت!

لقد قلت، مرارا وتكرارا، بأن الصامدين اختاروا موقف وفعل الصمود، لم يفكروا ـ قطعيا بأي امتيازات ومكاسب أياً كان نوعها. . حسبهم الأجر والثواب الرباني. . أما الأجرة فلا يفكر بها سوى المرتزقة لا المواطنون!

أضف إلى ذلك أن الصامدين لا يمنون على الديرة بالتضحيات التي قدموها، والمعاناة التي كابدوها، ويعذرون الذين نزحوا ـ قسرا أو عنوة وترويعا ـ لأنهم «منهم وفيهم» فهم الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء.

والملاحظ أن النازحين ينتمون إلى نوعين:

الأول: نزح والوطن يسكنه! أي نعم؛ هو غادر الديرة لكنه في الموطن العربي الشقيق لم ينس وطنه المحتل ولا أهله وبني قومه الصامدين داخل الكويت المحتلة. . ولذا عاش محنة الاحتلال وكان في مستوى المحنة. . فعلا وعطاء ومعاناة نفسية وسلوكا.

---

(1) لا معنى له، كلام فارغ.

أما النوع الآخر، فيكمن في الفصيلة التي لم تكن في مستوى المحنة فمارست حياتها في «المضافات» العرباوية الكريمة»، كما السياح حسبها أن تأكل وتشرب من «كيس» الحكومة وتمارس حياتها السياحية، وكأن شيئا لم يكن!

ولأن «الشر يعم والخير يخص»، كما يقول المثل، فإن سلوك وممارسات هذه الفصيلة أساءت لعامة النازحين، بل إلى كافة الكويتيين.

وأخشى القول بأننا ـ معشر الكويتيين ـ صرنا غير مقبولين ـ ان لم أقل مكروهين ـ بجريرة تصرفات شاذة غير سوية قام بها بعضنا في الديار العربية التي حضنتنا طوال شهور محنة الاحتلال.

والبلية أن هذه الفصيلة، ومن لف لفها، لم تكتف بأنها لم تكن في مستوى المحنة.. بل انها ـ بعد التحرير وعودة النازحين إلى الديرة الحرة ـ راحت تنسب إلى نفسها بطولات بدون فعل ولا بطولة.. وحاولت أن تسرق عطاء وتضحيات الآخرين.. وأن تلطخ سمعة الجنود المجهولين المسكونين بالوطن الذين ضحوا من أجله بالنفس والنفيس.

مفهوم تماما أن البشر يتباينون في أوقات المحن والبلايا، وهذه سنة الله سبحانه في خلقه.. لكن ما يحيرني هو أن الفصيلة الشاذة، السالف ذكرها، تحاول أن تسقط احساسها اللاشعوري بالذنب والخطيئة على الآخرين، فبدلا من أن تبلع ريقها وتعترف باساءتها إلى الديرة وقضيتها العادلة ـ ابان الاحتلال ـ تجدها «طايحة» في عباد الله الصامدين والنازحين، على حد سواء. ألا ترون معي بأن هذه الفصيلة بحاجة إلى طبيب نفسي وعناية نفسية مركزة؟!

من يوميات الصامدين
عمل.. حب.. تعاون

(1)

الاثنين : 1990/11/3

●كيفان ـ الكويت المحتلة !

ليس عندي أي شك في أن عناية ورحمة اللّه ، سبحانه وتعالى ، تحيط بالصامدين الصابرين المحتلين . . رغم كل شيء !! فهم صابرون . . صامدون . . مرابطون . .

إن استجابتهم للمحنة أعادتهم إلى الفطرة الربانية التي خبرها آباؤهم وأجدادهم والجيل المخضرم ابان كويت ما قبل النفط !

ولو شئنا وضع سلّم موسيقى (نوتة) لإيقاع الحياة اليومية في مجتمع الصامدين لقلنا انها تضاهي الحياة اليومية الكويتية منذ خمسين عاماً مضت !

تبدأ الحياة اليومية في بيوت الصامدين مع طلة الفجر الأولى . . . حيث يلعلع صوت المؤذن بالنداء الأول لصلاة الفجر . . ساعتها تدب الحياة في بيوت الصامدين. يهرع الجميع للوضوء . . ومن ثم يباشر كل فرد دوره ؛ الأطفال يهرعون صوب حظائر الدجاج لجمع البيض وسط هرجهم وضحكاتهم البريئة ونكاتهم النقية . . وفي وسط الحوش يرقد فرن طيني وارد البصرة ، حيث تتربع بجواره ربة البيت وهي تعد التنور

بالخشب والوقود . . بعدما كانت عجنت الطحين وبهورته بالصيغة المناسبة .

في حظيرة المواشي ثمة شايب وفتاتان يقومون بحلب المعيز والبقر والناقة . . وهذه العملية يقوم بها جميع أهل الحي . . حيث تساعد الجارة جارتها في الحلب والعجن والخبز . . الخ . . لأن المشاركة هي الفعل الذي أنجبته المحنة .

يؤذن المنادي بآذان صلاة الفجر . . حي على الفلاح . . اللّه أكبر . . كم هي كلمة جامعة مانعة تختصر الكون والوجود وما فيهما . . بعد الصلاة يذهب الشباب في كافة المناطق إلى شبرة الخضار والفواكه واللحوم . . الخ . . ومن ثم يقومون ببيعها في دكان بالجمعية بأسعار مناسبة . . تغطي هامشاً بسيطاً من الربح يكتفى به .

في الجمعية التعاونية الاستهلاكية وفروعها ثمة شباب ـ وشياب أيضاً ـ يسيّرون عملية الادارة والتسويق والمحاسبة والانتاج (أفران شعبية ـ مخابز آلية) ، فضلاً عن تقديم الخدمات المعاشية اليومية التي تحتاجها البيوت (كهرباء ـ فيديو ـ تلفزيون ـ ثلاجة ـ تكييف الخ) .

● في الضحى تتحول بعض الأرصفة إلى بسطات شعبية تضم المعروضات التي جلبها الساعة من الصبيان والشبان والعواجز من الجنسين .

إن الأغلبية تلتقط رزقها من كدها وكدحها . .

في سوق شعبي بالخالدية ، رأيت هـ . فرج متبنطل (ببلاسوت)[1] ويعتمر كوفية معقودة جرينبه . . وهو يتفقد الماشية والدواجن . . أخذنا بعضنا بالأحضان . . اعذرونا . . لازم نكسب عيشنا ونسعى صوب الرزق الحلال . . نعم ما فعلت يا أخا الصمود .

عبد اللّه عبد القادر ؛ إنسان مدهش يثير الاعجاب ويستأهل الاشادة ، ويستحق كلمة طيبة في حق سلوكه وفعله .

وهو ـ متعة اللّه بالصحة ـ إنسان لا يكل أو يمل من عمل الخير . إنسان يحب الخير للانسان والحيوان خير من الإنسان والحيوان . . عدو الراحة والاسترخاء محب

---

(1) بدلة الشغل .

للعمل والحركة . . معطاء ، شغوف بالحيوانات على كافة أجناسها وأشكالها وأنواعها . . ومن هنا تجده الوحيد الذي داوم على إطعام حيوانات حديقة الحيوانات طوال مدة الصمود والاحتلال . وكان يمكن للحيوانات أن تنفق جوعاً وعطشاً . لكن المولى سبحانه وتعالى قيّض لها عبد اللّه وفتية معه ليؤدوا أمانة الانسان نحو أخيه الحيوان !

فرنسا عندها بي بي . . عندنا ع تي ، عملها احتساباً وأجراً . . غير طامع بعطية ولا راغب في نجومية اعلامية ومنصب قيادي كامل الدسم !

وفي ضحى كل يوم ينطلق « بوعبد القادر» بشاحنته ليجمع ـ بمعية بعض الأخوة ـ كروش رؤوس الغنم ، فضلاً عن المواشي النافقة والهزيلة وغيرها ليتم حملها إلى حديقة الحيوانات . .

وربما في الوقت نفسه تنطلق عدة سيارات صوب منطقة الصليبخات حيث تقع دار الرعاية الاجتماعية . . وتضم القافلة عدداً من المتطوعين الخيرين الذين يجلبون معهم المساعدات الخاصة بنزلاء الدار . . كما يقومون أنفسهم بخدمة النزلاء ورعايتهم .

إن مجتمع الصامدين تظلله المودة والتراحم والتعاون والتكافل . . وكافة القيم العربية الاسلامية . . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى . . ربما لأنها قاعدة الحياة اليومية للصامدين وما عداها هو الشذوذ .

ونورد هنا بعض الوقائع ، على سبيل المثال لا الحصر ، صامد يشتري خروفاً فيوزع لحمه ويتقاسمه مع جيرانه . . وآخر يوزع عليهم التموين . . وغيره بعفوية وسرية وبدون طنطنة ولا اعلانات . . لأن غاية الفعل هي مرضاة اللّه ، سبحانه وتعالى ، ومن ثم حب الوطن وأهله !

***

(2)

الثلاثاء : 1990/11/20

● سوق الغنم في كيفان

لو زرت القطعة الرابعة في كيفان ، فقد تظن أن سوق الغنم قد انتقل إلى هذه المنطقة ، حيث أقيمت الحظائر التي تضم قطعان الخراف والنعاج والمعيز والبقر والثيران والتيوس والدواجن .

وقد قام أصحابها بفتح ديوانية « أرض أرض » يتحلق فيها الرواد حول الدوة حيث الشاي الحاجم المغلي بالفحم . ويتوافد المواطنون ، صباحاً وعصراً ، للشراء . . بينما يتحلق الأطفال حول الحظيرة للفرجة واطعام الحيوانات بأوراق الشجر وفتافيت الخبز وقشور الرقي والبطيخ .

وصل ثمن الخروف 200 دينار عراقي والبقرة 1500 دينار وهو سعر يقل 50٪ عن ثمنها الأصلي . . يا بلاش !

الخميس : 1990/11/22

عودة أول «وجبة» من الأسرى !

● للمرة الثانية ، التقي بالعائدين من أسر دام 3 أشهر . . عددهم يربو على 300 ، كما عرفت من الذين التقيت بهم . في اللقاء الأول كان حديثهم عن معاناتهم النفسية الصحية والجسدية في المعتقلات يتصف بالعمومية الخالية من التفاصيل . ولم تكن حالتهم الصحية والنفسية تسمح لهم بالحديث عن تجربة الأسر بحرية ومزاج بحيث تبدو كالسوالف التي يذكرها المرء بكافة تفاصيلها وجوانبها .

حين رأيتهم ، للمرة الأولى ، كانت أعوادهم مثل عود الكبريت أو قلم الرصاص في

أحسن الأحوال !

وهؤلاء الأخوة هم أول مجموعة من المواطنين والمقيمين العاملين في الديرة الذين تم اعتقالهم في مركز العبدلي على الحدود العراقية ـ الكويتية . فقد داهمهم العسكر في الساعة الثانية من فجر الخميس 2 أغسطس ، بينما كان بعضهم يؤدي عمله في الجمارك والجوازات والأمن والصحة . . الخ ، بينما البعض الآخر يغط في نومه في استراحة العاملين بالمركز . وقد كان اعتقادهم بأن مداهمتهم واعتقالهم تما بسبب تردي العلاقات بين البلدين « الشقيقين » . فلم يدر بخلدهم أن هذا الاجراء هو المشهد الأول من سيناريو الغزو والاحتلال ! وقد ساورتهم الشكوك حين تم اقتيادهم وهم معصوبي الأعين إلى مكان داخل العراق لا يعرفون اسمه وموقعه . . وان كانوا قد حدسوا بأنه يمكن أن يكون قريباً من البصرة .

خواطر برقية

* بو عبد القادر وبمعيته بعض الأخوة يقومون باطعام الحيوانات كل يوم .

* الأسود تضطر إلى التخلي عن عاداتها وفطرتها المألوفة عنها في عدم أكلها للفطيس . . فتأكل الحيوانات النافقة وكل ما كانت تعافه في الظروف العادية .

* كل الحيوانات القابلة للأكل « اختفت » ولم يبق فيها سوى المفترسة . . والتي لا يؤكل لحمها شرعاً .

* الحيوانات تكابد حصاراً داخلياً وخارجياً . . فهل ثمة امكانية لجلب أغذية لها ، لأسباب حيوانية (إنسانية !) إذ إن مثل هذه الأسباب سمحت بتصدير بعض الأغذية والأدوية لبني الإنسان .

* كثيرون أطلقوا دواجنهم وطيورهم الداجنة وحيواناتهم المنزلية بسبب شح المواد والأطعمة الغذائية الحيوانية . . الأمر الذي جعل من المألوف أن يحط طائر شاهين على سطح بيت أو شجرة في الشارع . . أو أن تسمع تغريد بلابل وغيرها وهي تجوب الديرة بحثاً عن طعام !

* أبو عبد القادر أحال بيته إلى حديقة حيوان ، جمع فيها كلاباً وقططاً وأبقاراً وأغناماً وطيوراً ودواجن الجيران والأصدقاء الغائبين خارج الديرة .

الثلاثاء : 1990/11/26

لو زرت المناطق السكنية ، فقد يروعك أن تجدها قد تحولت إلى أسواق شعبية تضاهي سوق الصفاة في عز أيامه في كويت ما قبل النفط . . فحديقة الروضة ـ مثلاً ـ صارت سوقاً شعبية تجد فيه المعلبات ، الخضار ، الدواجن ، السجاير ، المعسل ، المياه المعدنية ، الملابس ، البامبر ، المكدوس ، الآجار ، المربيات و . . كل ما يخطر ولا يخطر على بالك !

والسوق يحيط بالحديقة ، بشكل دائرة ، حيث تربع الباعة وبضاعتهم على الرصيف الدائري ، ولاحظت أن أغلبية الزبائن هن من النسوة . . حب التسوق والفرجة ومناسبة للقاء صديقات غيبهن الزمن والاحتلال !

في السوق ، لقيت أناساً لم أقابلهم منذ سنوات طويلة . . ويبدو أن الكثيرين يذهبون إلى مثل هذا السوق دون أن يكون في ذهنهم شراء شيء معين . . لكنهم ـ عادة ـ يخرجون من السوق وهم يحملون معهم خلطة عجيبة من المشتريات التي لا تعنّ على البال (مسامير ـ بصل أخضر ـ عنجكك ـ هيل !) .

* * *

(3)

الاربعاء: 1990/11/27

حذار من الفتنة !

ثمة هاجس يستحوذ على مشاعري ويسكن وجداني في كل مكان وزمان أحل فيه منذ تاريخ 1990/8/15 تقريباً . ولعلني لا أبالغ إذا قلت بأنه يقتحم علي منامي وأحلامي بدون « نحنحة » ولا « احم » أو « يا هل اللّه . . يا هل البيوت » !

* والهاجس يكمن في الآثار النفسية والمعنوية والروحية والأخلاقية للحرب النفسية التي يشنها « الاخوة الأعداء » غارات متواصلة لتدمير بنيان ومعمار الصمود والصامدين! وعلى الأقل خلخلته !

وأحسب أن غارات الحرب النفسية ستكون أشد ضراوة بعد انسحابه أو سحبه . . ان شاء اللّه ، سبحانه وتعالى ، سيما وأنهم ـ الأخوة الأعداء ـ لم يتمكنوا من النفاذ إلى نسيج حياة الصامدين ، سعياً إلى تمزيقه بالفتن والبلايا . . وكافة عدة وأسلحة الحرب النفسية .

وكما تعلمون ، فان « الاخوة الأعداء » استباحوا الوطن ، وعربدوا فيه ؛ مستخدمين شتى الممارسات الارهابية والقمعية واللصوصية . . الخ ، ولكن ذلك كله لم يؤد إلى طائل يفت في عضد فعل الصمود والصامدين ، ولم يؤثر ـ سلباً ـ على فعلهم المترع بالتواد والتراحم والتكافل . . الخ .

* وهنا نأتي إلى بيت القصيد ومربط الفرس ـ كما يقولون ـ في الأمثال والأقوال المأثورة . فرب متسائل : إذا كان ما ذهبت إليه ونوهت صحيحاً . . فأين هي المشكلة ؟ ولم هذا الهاجس ؟ وقد يعقب تساؤله بكلمة مطمئنة قائلاً : لا عليك يا رجل . . دعك عنك وسوسة النفس الامارة بالسوء ! واستعن وتعوذ باللّه من همزات وهمسات الشيطان وفتنه ! وقبل أن يغادرك لا ينسى أن ينصحك بشراب منقوع الصبر ـ إثر كل وجبة ـ ، داعياً لك « بالشفاء » ، راجياً لك الأجر والثواب والاحتساب ! فلا تملك ازاء هذا الكلام الطيب سوى أن تودعه قائلاً : جزاك اللّه خيراً . . بينما وجدانك المضطرب بالهاجس اياه يغبطه على مشاعر الاطمئنان والسكينة التي تغمره ! ومن ثم تسأل نفسك بصوت عال : ألا تراك مبالغاً في هواجسك ؟ أم أنك مصاب بالخبال والجنون والقلق المرضي ؟! ووجدتني أقول : ليكن الأمر كذلك ! بل ليته كذلك !! سيما وأن زمننا العربي الرديء المتردي صار « يصم » من يجهر بقولة الحق « بسبة » الجنون والحمق والبهللة !!

ألم يقل العرب « خذوا الحكمة من أفواه المجانين ؟! » ألا تجد الأدب العربي مليئاً بالمواعظ والعبر والحكم والأمثال والأقوال المأثورة المنسوبة لعباد اللّه . . البهاليل . . الذين تجدهم ـ حتى يومنا هذا ـ حاضرين في كل حارة وقرية ومدينة عربية ؟!

وبهذا المعنى ، أرجو أن يكون هاجسي الذي طال التمهيد لاعلانه من بين أدبيات « البهاليل » اياهم !

ومن هنا أصارحكم القول بأن الهاجس الذي يسكنني ولا يغادرني البتة ، يكمن في احساسي بأن الديرة المحتلة حبلى بجنين « فتنة كبرى » لا تبقي ولا تذر ! سيما وأن بعض الوقائع والأقاويل تشي بأن بعض غارات الحرب النفسية نجحت في اقتحام معاقل الصامدين ! وأعرف ـ سلفاً ـ بأن القارىء سيبادرني بالسؤال عن الدليل الذي يؤكد صدق مزاعمي وصحة أوهامي البهلولية ! فأبادر ، أنا الآخر ، قائلاً : بأن الأدلة أكثر من حبيبات الرز التي « استلفها » اخوتنا اياهم من الجمعيات الاستهلاكية ومخازن تجار المواد التموينية ! وحتى لا نروح بعيداً فسوف أكتفي بدليل بيّن واضح ، وصار معروفاً للخاصة والعامة . . للأسف الشديد ! أعني ، صراحة وتحديداً ، بوادر وعلامات الخلاف بين جماعتين اسلاميتين نتيجة ملابسات وسوء فهم . . الخ . . كان يمكن وأده « بالتي هي أحسن » واحتواؤه بالحوار والجدل الملعلع بهدي وكلام المولى سبحانه وتعالى وسنّة رسولنا محمد صلوات اللّه وسلامه عليه . ومعذرة إذا شم قارىء ما ريحة موعظة اقتحمت متن هاجسه عنوة ودون تعمد . . لأن أمثالكم ـ وللّه الحمد ـ ألف الناس منهم الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، ويجد فيهم القدوة الحسنة وشاهد فيهم القيم والتعاليم الإسلامية تدب على الأرض فعلاً وسلوكاً وعطاء وقولاً وحركة .

ومن هنا ، فان عامة الناس في المنطقة لا يخفون خشيتهم من أن يتحول الاختلاف في الرأي إلى خلاف ينتهي إلى فتنة لا سمح اللّه !

إن الغيورين على الإسلام والوطن طربوا أو فرحوا حين وجدوا بأن محنة احتلال الديرة وتحدياتها قد جمعت ووحدت كافة الجماعات والاتجاهات السياسية على اختلاف اجتهادها واختيارها العقيدي ! ولعلهم كانوا يتمنون أن تكون هذه المحنة « فرصة » لاستمرار التعاون والتنسيق إلى ما بعد زوال المحنة وحضور الفرج ، علّه يؤدي إلى وحدة الجماعتين أو على الأقل ، يحافظ ويعزز فعلهما المشترك عبر اللجان الشعبية .

وبصفتي مريداً للجماعتين ، فاني أخشى أن يكون في حضور خلافهما سبباً

لخسارة تضر بهما معاً وعلى حد سواء !

وكنت أنوي الطواف برسالتي لأذيلها بأسماء أخوة لكم تحبونهم في اللّه ، وهم بدورهم يبادلونكم نفس المشاعر . . أقول كنت أنوي تذييل رسالتي بأسماء وتواقيع شخصيات من المنطقة بخاصة ومن الديرة بعامة . لكن قلبي هتف لي في آخر لحظة بقولة لا . . فقد كانت[1] التثنية على ما جاء فيها من قبل أصحاب الأسماء سبباً يؤدي إلى زيادة طين الخلاف بلة . ووجدتني أستجيب إلى « فتوى » قلبي المفعم بالحزن والأسى . والذي يعزيني في خلو الرسالة من أسماء الرجال المتسمين بالحكمة ، المعروفين بغيرتهم على الإسلام والمسلمين . . يكمن في أن هؤلاء ـ وغيرهم ـ يشاركون الكاتب توجسه وخشيته ، ويتمنون عليكم احتواء أي اختلاف أو خلاف وتجاوز الملابسات . . لأن الوطن المحتل بأمس الحاجة إلى دوام عملكم المشترك ، وإلى تضافر جهودكم وتناميها . . . سيما وأن الأيام القادمة تستوجب تعاون وتضافر جهود كافة القوى والجماعات الصامدة .

ومن هنا نتمنى عليكم المبادرة لاحتواء بوادر الشقاق وعلامات الخلاف ، عبر الحوار ، لا الصدام . . مهتدين بهدي المولى سبحانه وتعالى وسنّة رسوله ﷺ . . في سبل وآداب الحوار ورأب صدع الخلاف في الرأي الذي تخبرونه وتعرفونه أكثر من كاتب هذه السطور . .

واللّه الموفق لما فيه خير البلاد والعباد .

* * *

المؤسف . . أن ما حذر منه الكاتب عبر هواجسه المذكورة آنفا في الرسالة . . قد تحقق إثر تحرير الديرة . . كما نرى في نصي الرسالتين المرفقتين المتبادلتين بين اثنين من قياديي الجماعة السلفية وجمعية الاصلاح الاجتماعي «الاخوان المسلمين» .

---

(1) الخطاب موجه إلى هاتين الجماعتين الاسلاميتين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخميس : 1991/8/22

الأخ جاسم العون المحترم

رئيس اللجنة الشعبية في منطقة كيفان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . أما بعد

أبعث إليك هذه الرسالة بمناسبة دعوتكم لاجتماع اللجنة الشعبية يوم الجمعة 1991/8/23 وذلك بعد إنقطاع مثل هذه الاجتماعات لفترة طويلة تقارب النصف عام : . فأنا لا أدري غرض الإجتمَاع المفاجىء هذا وفي هذا الوقت بالذات ولكنني حين سألتك عن موضوع الإجتماع ـ حين إتصلت بي تدعوني للحضور ـ أخبرتني أنه إجتماع ختامي ، لذا فإني أبعث إليك بهذه الرسالة من هذا المنطلق لأبين لك بعض الملاحظات والتساؤلات الهامة التي أتمنى أن أجد لها إيضاحاً مقبولاً منك .

تعلم أخي الكريم أن هذه اللجنة والتي تتكون من 15 عضوا من رجالات المنطقة وشبابها قد تم الدعوة لها وتشكيلها بناء على الإتفاق الذي تم بهذا الشأن في اللجنة السباعية المركزية والتي تكونت في الأسبوع الأول من الإحتلال من الأخوة (1ـ حضرتكم 2ـ محمد الشايع 3ـ محمد الشيباني 4ـ د. عادل الصبيح 5ـ عبد الله العساكر 6ـ صالح المزيني 7ـ عبد الرزاق الفوزان ـ فك الله قيد أسره)، هذا الإتفاق الذي إنطلق من مبدأ توسيع المشاركة في العمل الوطني الذي تقوم به اللجنة ولضم أكبر عدد من الطاقات ورموز ووجهاء المنطقة .

وأذكرك ـ أخي الفاضل ـ أنه في أول إجتماع لهذه اللجنة الموسعة في شهر أغسطس إقترح د. عادل الصبيح تثبيتكم في منصب الرئاسة كما أنه هو الذي في الأصل رشحك لهذه المهمة في اللجنة السباعية وذلك حرصا منه على العمل المشترك والتعاون وإبعادا لروح النزاع والمنافسة خاصة في مثل هذا الظرف ، وبالفعل تمت التزكية لك وكان دافع الجميع العمل دون الإلتفات للمناصب والمسميات أو تحقيق أي مكاسب سياسية خاصة .

وأذكرك أيضا أنه في نفس الجلسة ـ أو الجلسة التي تلتها ـ تم التطرق إلى موضوع

تحديد إسم اللجنة، حيث إقترح وقتها الأخ محمد الشايع أن تسمى اللجنة بلجنة التكافل الإجتماعي وذكر مبرراته لهذا الإسم، ولكن الأخ محمد الشيباني اعترض بشدة وبين أن هذا الإسم هو اسم اختاره الإخوان من جمعية الإصلاح الإجتماعي، وعليه أكد أن اللجنة يجب ألا تسمى بإسم ينسبها إلى جمعية الإصلاح ولا بإسم «التعاون» الذي إختاره السلفيون في الكويت للجانهم حتى لا تنسب اللجنة لهم. وعليه اقترحتم أن تسمى اللجنة بـ«اللجنة الشعبية» كإسم حيادي، وبناء على ذلك وافق الجميع.

هذا ما حصل وأصبح الآن تاريخا، ولكنني أحببت التذكير به كأساس لبعض التساؤلات التي كانت ولاتزال تدور في ذهني منذ أيام الإحتلال وقد ذكرت لك جزءاً منها في اللقاء الذي تم في بيتك قبل الحرب الجوية بيني وبينك والأخ محمد الشايع، ولكنني آثرت عدم إثارة مثل هذه التساؤلات حرصا على استمرار العمل في اللجنة وحتى لا ينكشف أمرها للعراقيين. ولكن أما وقد تحررت الكويت وزال الخطر واقترب ختام اللجنة فإذن يحق لي أن أتساءل وأجد إجابات على تساؤلاتي التالية:

(1) لماذا لم تقم بدورك كرئيس يحافظ على وحدة اللجنة والمجموعات التي في إطارها وذلك حين بدأت تظهر الخلافات وتبرز على السطح في الجمعية التعاونية في الشهر الثاني من الإحتلال، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تفرد المجموعة السلفية في العمل وخروج الآخرين ومن بينهم زملاء لك في اللجنة الشعبية وبعض الأخوة النشطين غير المنتمين لأي مجموعة ولكن يشهد لهم وقفتهم في الجمعية منذ اليوم الأول للإحتلال وآخرين من شباب جمعية الإصلاح.. لقد كان الأحرى بك في مثل هذا الموقف أن تكون الأخ الأكبر الذي يجمع الشمل بدلا من أن تقف موقف المتفرج أو المؤيد لأي مجموعة.

(2) لماذا أخفيتم عنا أمر ترتيبات اللجنة الأمنية واللجنة الصحية المرتب نشاطهما مع بدء العمليات الجوية بالتنسيق مع المسؤول الأمني في المنطقة. هذا التنسيق الذي استغرق حوالي خمس شهور ولم نعلم عنه إلا صدفة من المسؤول الأمني نفسه.

(3) لماذا لم تشركنا معك في توزيع المال ـ الذي كان يصل من الحكومة وبإسم اللجنة الشعبية ـ على أهالي كيفان، علما بإنك إخترت أشخاصا معينين من أعضاء اللجنة

الشعبية وتركت آخرين دون سبب وجيه لتوزيع المال في الوقت الذي استعنت فيه بآخرين من خارج اللجنة من مجموعتك؟

(4) لماذا نسبتم اللجنة الشعبية في كيفان إلى السلفيين بعد التحرير؟ وأين الآخرين؟ علما بأن السلفيين لا يشكلون أكثر من ثلاثة أشخاص من أصل خمسة عشر عضوا في اللجنة.

(5) لماذا لم تدع اللجنة إلى الإجتماع طوال الشهور السابقة في الوقت الذي كنا نرى ونسمع فيه عن أعمال وإعلانات كثيرة تصدر بإسم اللجنة الشعبية دون علمنا وقرارنا؟ فلماذا الإلتفاف على اللجنة؟ ومن الذي كان يدير اللجنة ويتحدث باسمها في هذه الفترة؟ ومن الذي عيّن الأخ محمد الشيباني نائباً لرئيس اللجنة؟

(6) نسمع هذه الأيام عن ما يسمى باللجان الشعبية في الكويت؟ فهل اللجنة الشعبية في كيفان جزء من هذا الكيان؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فمن الذي إتخذ مثل هذا القرار دون مشاورتنا؟

(7) من المعلوم أن هناك لجنة مالية شكلت من قبل اللجنة السباعية المركزية في شهر أغسطس، ولقد تم إقرار تشكيل هذه اللجنة كما هي من قبل اللجنة الشعبية في أول إجتماع لها على أن توافينا اللجنة بتقاريرها في الإجتماعات اللاحقة، وهذه اللجنة يرأسها الأخ محمد الشيباني، ومن المعلوم أيضا أن الأموال كانت تصب في هذه اللجنة من قبل جميع العاملين في الجمعية التعاونية ومحطة البنزين وغيرها من المرافق؟ ولكن للأسف وإلى اليوم لم يعرض علينا أي تقرير من هذه اللجنة الهامة يبين لنا حجم الأموال التي جمعت، وماذا حصل بها؟ وإذا كانت هذه الأموال قد صرفت.. فما هي أوجه الصرف؟ وبأمر من كانت تتم عملية الصرف دون علم اللجنة الشعبية؟ علما بأنني ذكرت لك مثل هذا التساؤل من قبل في اللقاء الذي أشرت له سابقا والذي تم بيني وبينك وبين الأخ محمد الشايع قبل الحرب الجوية.. وقلت لنا حينها أنك لا تعرف شيئا عن هذا الموضوع ووعدت بأنك ستتقصى حقيقته، ولكن للأسف لم نسمع شيئا عن هذا التقصي حتى الآن.

(8) لقد قام أخانا الكبير عبد العزيز العدساني بالتعاون مع الأخ فيصل الوهيب في أوائل

أيام الإحتلال بتوفير العديد من الشاحنات ومولدات الكهرباء والإطفائيات وغيرها من المعدات من شركة الخنيني على أساس أنها أمانة مرجوعة أو معوضة وذلك بموجب عقد قمت أنا بصياغته بالتشاور مع الأخ عبد اللطيف السيف المحامي وقمت أنت بتوقيعه بالنيابة عن اللجنة الشعبية وجمعية كيفان التعاونية. والسؤال الآن هو: ما الذي تم بشأن هذه المعدات؟ ولم تم التصرف بها وتوزيعها من قبل مجموعتكم دون إشراكنا معكم في التوزيع والإستخدام والإستفادة منها؟

خاتمة:

هذه بعض التساؤلات والملاحظات التي تدور في نفسي، والتي أظن أن من حقي كأحد المؤسسين وكأمين سر اللجنة الشعبية من حق الجميع أن يجد ردودا شافية لها. وعليه أظن أنك تدرك لماذا لا يمكنني بدون هذه الإيضاحات والإجابات أن أعتمد أيا من الأعمال التي عملت بإسم اللجنة دون علمها، ولا أن أوقع على بياض بالمصادقة على كيفية التصرف بالأموال والمعدات التي وصلت بإسم اللجنة ولم نطلع أو نشارك في تصريفها واستخدامها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .   أخوك د. وليد عبد المحسن الوهيب
أمين سر اللجنة الشعبية في كيفان
الخميس 22/8/1991

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد . .

«لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم»

الأخ/ وليد الوهيب المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

وبعد . . .

اطلعت على رسالتك المؤرخة في يوم الخميس 25/8/1991م والتي جاءت بناء على دعوتي لك ولإخوانك من الإخوان المسلمين لحضور اجتماع اللجنة الشعبية ـ كيفان.

وقد ترددت كثيرا في الرد على هذه الرسالة لاعتبارات كثيرة :

أولا: أنني ما تعودت مثل هذه المساجلات الكتابية عند حوار أو نقاش، ولا أحبذ مثل هذا الأسلوب بالتعامل .

ثانيا : كنت أتمنى حضورك واخوانك إلى اجتماع اللجنة وطرح كل ما جال في خاطركم من خلال اللجنة خصوصا أن اللجنة تضم خيرة شباب منطقة كيفان ممن ليس لهم أي انتماء حزبي أو تنظيمي .

أما وأني قد سطرت لك هذا الرد فأيضا للإعتبارات التالية :

أولا: حتى لا يقال انني عجزت عن الرد على رسالتك .

ثانيا : طفح الرسالة بسيل من الشبه والشكوك والاتهام الصريح .

ثالثا : حتى لا تستغل الرسالة وما جاء بها مستقبلا واضعا خطين تحت مستقبلا .

والآن أيها الأخ العزيز أستعين بالله تعالى، وأرد على استفساراتك واتهاماتك بالآتي :

أولاً: بدأت أسئلتك بالاتهام الواضح الصريح لي كرئيس للجنة الشعبية بأنني لا أقوم بدور الرئاسة كما ينبغي، وكنت محابيا لجماعة دون الباقي، كذلك تضمن اتهامك بتفرد المجموعة السلفية على العمل داخل الجمعية التعاونية نتيجة لتهاوني .

فأقول: أما ادّعاؤك أن المجموعة السلفية تفردت بالعمل نتيجة لتهاوني وانحيازي فهذا اتهام باطل وقول زور في حقي لأنك وجميع الأخوة الأفاضل أعضاء اللجنة الشعبية بكيفان يعلمون تماما أننا ارتضينا في بداية الأزمة أن يكون مجلس إدارة الجمعية وإدارة السوق التعاوني بإشرافكم أي توجه الاخوان المسلمين، وما ذلك الا سعيا منا لوحدة الصف وإظهار حسن النية . . فتشكل المجلس من الاخوان المسلمين كالتالي :

براك الصبيح	رئيس المجلس
محمد شايع	نائب الرئيس
حضرتك . .	مستشار المجلس
محمد الجماز	مدير السوق

وبعض الأخوة الطيبين . . وبعد شهرين، حينما أحكمت السلطات العراقية

سطوتها على البلاد جاء خطاب تطلب فيه السلطات العراقية أسماء أعضاء مجالس ادارة الجمعيات التعاونية والعاملين فيها، فما كان منكم إلا أن تركتم العمل بالجمعية، ويعلم الله كم سبب لنا ذلك من حرج، فما كان من بعض الشباب سواء السلفي أو غيره إلا أن شمروا عن سواعدهم واستلموا زمام المبادرة لإدارة الجمعية فأنقذوا بذلك الموقف وعرضوا حياتهم للخطر في ظل سطوة الاحتلال.

أما قولك في بداية السؤال أو اتهامك إن صح التعبير أنني كنت محابيا، وأنني لم أقم بدوري كرئيس للجنة كما ينبغي، فاعلم يا أخي ان هذا الاتهام ليس موجها لي شخصيا بقدر ما هو موجه إلى جميع الأخوة أعضاء اللجنة الشعبية بكيفان التي تضم كما أسلفت صفوة أهل المنطقة، وأنه من غير المعقول والمقبول أن ترى هذه الصفوة اعوجاجي بإدارة العمل وتسكت عنه، وهنا لن آتي بأمثلة للدفاع عن نفسي وان كانت كثيرة ولله الحمد لمواقفي أثناء إدارة الجلسات حينما يحتدم النقاش من طرفكم والسلفيين أو من طرفكم وآخرين، ولكن أترك الرد على هذه الفرية للأخ الكريم سليمان صالح الفهد عضو اللجنة الشعبية بكيفان والذي سطر هذه الشهادة للتاريخ والتي أعتز بها في كتابه شاهد على زمان الاحتلال العراقي في الكويت في صفحة (88) حيث قال: وكان الأخ جاسم العون هو الذي يرأس اللجنة واجتماعاتها وأذكر أنه هو الذي قام بالاتصال بنا لاستمزاج رأينا في الانضمام إلى اللجنة، وهذه معلومة لا بد من التنويه بها، لأن الأخ العون كان يمكن أن يكون «فرعون» ويستأثر هو وجماعته من السلفيين بعضوية اللجنة وكان في مقدوره أن يفعل ذلك لأن كيفان موطنه الانتخابي ولأن مريديه فيها كثيرون، لكنه وجماعته اختاروا الشورى أساسا لمعمار اللجنة الشعبية لمنطقة كيفان، والشورى بداهة لا تتحقق الا في حضور التعددية السياسية الممثلة لكل أو لجل الاتجاهات والاجتهادات - انتهى -.

والحمد لله أن هذه الشهادة والدفاع عن اتهامك لي بالباطل جاءت من أحد المستقلين عضو اللجنة الشعبية الأخ سليمان الفهد، ولا أظن يا أخي أن أحداً من أعضاء اللجنة الشعبية المستقلين. الأخ سليمان الفهد، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، ولكن أحب أن أذكرك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿**ان الله يدافع عن الذين آمنوا**﴾.

ثانياً: أثرت موضوع ترتيب اللجنتين الأمنية وتسمية مسؤولها، والصحية وادعيت

أنني أخفيت عنكم ذلك، فأقول:

ان الترتيبات الأمنية وتسمية مسؤول اللجنة الأمنية لمنطقة كيفان لم يكن من اختصاص وترتيب اللجنة الشعبية بكيفان لأنك كما تعلم أن طبيعة عمل اللجنة الشعبية كان مدنيا، انما العمل العسكري كان من اختصاص وترتيب اللجنة الأمنية للبلد، وعدم اطلاعك على اسم المسؤول الأمني ليس عدم ثقة بك لا سمح الله ولكنه العهد الذي أخذ على اللجنة الأمنية المركزية المنبثقة عن الحكومة الكويتية الشرعية بالطائف، وسواء عرفت اسمه أم لم تعرف فهذا لن يقدم أو يؤخر بشيء، كذلك ليس له دخل لا من قريب ولا من بعيد بالعمل المدني للجنة الشعبية بكيفان.

كذلك حينما أبلغت عن اسم المسؤول الأمني لم يكن ذلك الإبلاغ بوصفي رئيساً للجنة الشعبية بكيفان، انما بصفتي عضو اللجنة العليا لإدارة البلاد أثناء الاحتلال والتي كانت موثقة من قبل رئيس الحكومة الكويتية بالطائف الشيخ/ سعد العبد الله الصباح آنذاك... أما اللجنة الصحية وترتيباتها فقد طرحت على اللجنة الشعبية في بداية تكوينها ونوقشت كغيرها من باقي اللجان وتشكلت على النحو الذي ارتضاه أعضاء اللجنة، وقد خصصت العيادة الصحية بداية بمصلى النساء بمسجد سعد ثم مصلى النساء بمسجد العدساني، ولما اشتد التضييق علينا قمنا بفتح العيادة بمنزل السيد/ خالد تيفوني عضو اللجنة الشعبية، جزاه الله عنا خير الجزاء، وهذا الأمر ليس فيه من السرية والخفاء انما ظاهر وواضح كالشمس في كبد السماء.

ثالثاً: أثرت موضوع عدم اشراككم في توزيع المال، أقول أنت وجميع الأخوة الأفاضل أعضاء اللجنة الشعبية تعلمون أن جميع المبالغ كانت تأتي إلى المنطقة عن طريقي بصفتي عضوا بلجنة إدارة البلاد كما ذكرت آنفا، ولو كنت أرغب بالاستئثار أو التفرد لفعلت دون علم أحد، حيث لا يعلم عن هذه المبالغ الا الله سبحانه وتعالى. ولكن من توفيق الله عليّ وفضله وكرمه أنني كنت أبلغ اللجنة الشعبية عن كل فلس يأتي وأضع هذه المبالغ تحت تصرفهم ولله الحمد أن جميع أعضاء اللجنة أحياء موجودون ويشهدون على ذلك، وكنت أضع المبالغ وطريقة توزيعها تحت تصرف اللجنة، وأنت تذكر جيدا أن اللجنة ناقشت طريقة التوزيع عدة مرات، ووضعت عدة خيارات للتوزيع، واستقرت بتكليفي بوضع خطة للتوزيع، وبعدها خولتني بطريقة التوزيع، فليس من

حقك أن تسألني عن الكيفية أو عمن أستعين به لتوزيع المال بعد تخويل اللجنة الموقرة خصوصا أننا كنا نمر بمرحلة تتطلب منا غاية السرية، ثم لماذا هذا الالحاح على المطالبة بتوزيع المال، وهنا أود أن أذكر. والاخوة أعضاء اللجنة يعرفون أنك جئتنا في بداية الغزو وقبل أن تصل الأموال إلى اللجنة عن طريقي، وقلت أن أحد الأخوة عندكم أستلم مبلغاً وخصص للجنة مبلغاً وان لم تخني الذاكرة ثلاثمائة ألف دينار كويتي لتوزيعها بمعرفة اللجنة وقد كلفتك اللجنة بالاتصال بصاحب المال، واستلامه وتسليمه لي للتوزيع. . وإلى يومنا هذا لم نستلم منك شيء، واللجنة تعرف ذلك تماما، حيث انك اعتذرت أن الأخ قام بتوزيع المبلغ بمعرفته. لم نعتب عليك ولا على أخيك هذا المزعوم لأننا قدرنا الظرف القاسي الذي تمر به والطريقة التي اختارها للتوزيع حفاظا على سلامته وبعيدا عن اللجنة.

رابعاً: كنت أتمنى أن تكتفي حول هذا الموضوع بتساؤلك رقم (6) والذي قلت به نسمع هذه الأيام عما يسمى باللجان الشعبية في الكويتية فهل اللجنة الشعبية بكيفيان جزء من هذا الكيان، وإذا كان الجواب بالإيجاب فمن الذي اتخذ مثل هذا القرار دون مشورتنا ـ انتهى السؤال ولكنك كما ترى بسؤالك رقم (4) تبدأ بهجومك الكاسح على أن اللجنة الشعبية بكيفان نسبت إلى السلفيين، لم ولن يقول أحد أن هذه اللجنة تنسب إلى السلفيين الذين أنتمي إليهم، ولم يقل أحد أن هذه اللجنة تنسب إلى الاخوان المسلمين الذين تنتسب إليهم، لأن كلا أفراد الجماعتين المذكورتين يشكلون أقلية، هذا أولاً.

ثانياً: إن أعضاء اللجنة البالغ عددهم خمسة عشر عضوا معظمهم لا ينتمون إلى أي تجمع فكري وهم مستقلون انخرطوا بالعمل من خلال اللجنة بدافع حبهم وخدمتهم لبلدهم.

ثالثاً: نحن أخذنا على أنفسنا عهدا في اللجنة ـ وحينما أقول نحن أعني جميع أعضاء اللجنة ـ أن لا نرفع لافتة حزبية معينة ولا لواء جماعة معينة تستظل اللجنة من خلالها، انما كانت لافتة العمل من أجل الله أولا ثم الكويت، فمن أين بالله عليك أتيت بنسبة اللجنة الشعبية بكيفان للسلفيين، أما السلفيين فلافتتهم في المناطق الأخرى اللجان الشعبية الكويتية وليست اللجان الشعبية بكيفان.

خامساً: شبة عدم دعوة اللجنة الشعبية للانعقاد في الفترة الأخيرة:

أنت تعلم أن اللجنة تشكلت خلال فترة الغزو الغاشم على بلدنا الحبيبة وكان الهدف الخدمة أثناء الاحتلال، أما وقد منَّ الله علينا بنعمة التحرير فإن أعتبر أن الهدف الذي شكلت اللجنة من أجله قد انتهى، وكنت أنوي بعد التحرير دعوة اللجنة لجلسة ختامية نشكر وندعو لإخواننا أعضاء اللجنة والأخوة العاملين ولكن سفري المفاجىء الاضطراري حال دون ذلك، وحين عدت دعوت لجلسة ختامية، ولكن أخونا الكبير الفاضل عبد العزيز العدساني عضو اللجنة الشعبية حينما فاتحته بالاجتماع الختامي، تدارسنا اقتراح قيام اللجنة بحفل تكريم للعاملين، وعليه دعوتكم ورفضتم. أما بخصوص تسمية الأخ محمد الشيباني بنائب رئيس اللجنة، فالأخ محمد الشيباني ليس بحاجة لهذا اللقب يا أخي بعد أن انتهت أعمال اللجنة بانتفاء هدفها كما ذكرت، لو كنا نسعى إلى هذه التسمية لطرحناها في اجتماعات اللجنة، ولا أظن أحدا من أعضاء اللجنة باستثناء أعضاء الاخوان المسلمين طبعاً سيعترض لما عرف على الأخ محمد من تفانيه لعمله، ولا أريد أن أطيل في ذلك حتى لا يعد مدحا وثناء على الأخ محمد الشيباني.

سادساً: انتهى الجواب عنه في بند (4).

سابعاً: تكلمت في البند عن اللجنة المالية والمبالغ التي كان يستلمها الأخ محمد الشيباني من مبيعات الجمعية التعاونية ومحطة البنزين، وكم كنت أتمنى أيها الأخ العزيز أن تجهم نفسك عناء الاتصال بالأخ الشيباني والاستفسار منه عن مصير هذه المبالغ خصوصا أنه ليس ببعيد عنك وأنك تلتقي معه شبه يوميا في المساجد، وحتى تزيح عن كاهلك تلك الظنون والشكوك ولكنك أبيت الا أن تسطرها بصحيفة اتهام ظانا أن الأخ الشيباني قد تصرف بهذه المبالغ عن الوجه الذي لا يرضيك سواء له أو لجماعته.

ولتعلم أن مصدر الأموال كان من جهتين كما ذكرت في صحيفة اتهامك الأولى: الجمعية التعاونية وفروعها، والجهة الثانية: محطة البنزين، أما موارد الجمعية فكانت كلها تصب عند الأخ الشيباني، ولما ضيق الخناق علينا من العدو وزعت هذه الأموال في منازل الأخوة صالح المزيني وناصر المرزوق عضوي اللجنة الشعبية بكيفان بالاضافة إلى الأخوة دعيج العجيل وجمال الحمدان وابراهيم الملا وجاسم بوطالب. بعد ذلك جمعت هذه الأموال مرة أخرى لدى الشيباني ووزعت كالتالي: جزء سدد للتجار ديون على الجمعية، ويوجد بذلك ايصالات سلمت للجمعية وباقي المبلغ سلم جزء كبير منه

للجمعية بموجب ايصالات أيضا، والقسم الآخر مضروب وعراقي، سلم لاتحاد الجمعيات التعاونية بموجب كتاب ووصل بذلك، ولم يبق الا ستة آلاف دينار كويتي دين على بيت التمويل الكويتي بواسطة عضوكم الأخ محمد شايع، وابراءً للذمة، فنحن أبلغنا إدارة الجمعية بهذا الدين. وأما مبالغ مبيعات البنزين فقد استلمها الأخ الشيباني أيضا وتحمل بذلك مخاطر تخزين هذه الأموال كما تحملها اخوانه المذكورين أعلاه وأنت تعلم عقوبة هذه الجريمة في ظل الأيام الحالكة التي كنا نعيشها، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

أما مصير مبيعات محطة البنزين فقد سلم الجزء الأكبر منه للأخ الكريم ربيع العدساني مندوب شركة البترول الوطنية، وبقي مبلغ ألفين وثلاثمائة وخمسن دينار أبلغنا الأخ ربيع أنها تصرف للجنة الشعبية، الا ان مسؤول المحطة الأخ بستكي طالب بالمبلغ لأن العراقيين يلحون عليه، وبالفعل سلم له وكل ذلك وفق وصولات موثقة أرجو أن تكون إجابتي هذه اطمئنانا لقلبك وهدوءا لخاطرك.

ثامناً: تطرقت بسؤالك عن المعدات التي جرى استلامها من شركة الخنيني في بداية الغزو كأمانة تستغل بواسطة اللجنة الشعبية بكيفان، وبالفعل استعملت هذه المعدات لأعمال الجمعية وباقي فروع اللجنة حتى حانت ساعة النهب بواسطة العراقيين، فسرقوا عدد اثنين كليبر سيارة نقل ولوري بداخله ونش. وأنت تعلم أن اللجنة غير مسؤولة عن أي تلف أو سرقة لأي من المعدات بموجب العقد الموقع بيننا وبين شركة الخنيني بند رقم (3)، وأما باقي المعدات وهي سيارة شوكية وسيارة كليبر وحفارة وماكنة كهرباء ديزل فقد تم تسليمها إلى ابن صاحب شركة الخنيني بعد التحرير... انتهى.

هذه يا أخي ردودي على تساؤلاتك واتهامك كما جاء بصحيفتك المسطرة لنا يوم الخميس 25/8/1991م، أما السؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل هذه الشبه والاتهامات التي تعلم يقيناً ومسبقا وقبل أن أجيبك عليها، هي سبب انفصالكم؟ والجواب: لا: - فلتعلم يا أخي أن الدافع الحقيقي وراء إثارة هذه الزوبعة المفتعلة ما هي الا ستارا لتغطية انفصالكم عن اللجنة وحجب الأسباب الحقيقية لهذا الانفصال والانعزال بالعمل تحت مسمى: لجنة التكافل، هذه اللجنة التي لم نسمع عنها الا يوم التحرير 26/2/1991م بالرغم من أن رايتكم الحقيقية واللافتة الرسمية لكم هو اسم «الأخوان المسلمون»، ولكن لعلمكم بحقيقة موقف تنظيمكم العالمي من قضيتنا العادلة - الكويت الحبيبة - أردتم

التستر وراء هذه المسميات الحديثة بعد أن تشوه وتقيح اسم الاخوان المسلمون بالأعمال المخزية والأقوال الشاذة والمواقف الوضيعة والكتابات الرخيصة التي نضحت بها الأقلام، والخطب الجوفاء التي انطلقت من حناجر أئمة وقيادات الاخوان المسلمين في الخارج ضد الشعب الكويتي وقضيته العادلة وموقف القيادة الإخوانية المؤيدة والمناصرة لصدام وزبانيته من احتلاله للكويت ظلما وعدوانا .

هذه هي الحقيقة يا أخي الفاضل التي حاولتم جاهدين اخفائها دون جدوى . وكم كنت أتمنى أن أرى وأسمع اعلانكم مدويا بتمزيق لافتة الاخوان المسلمين إلى الأبد وبلا رجعة، فوالله الذي لا إله إلا هو إن عملكم وجهادكم الذي قمتم ومازلتم تقومون به على هذه الأرض الطيبة ومن أجلها، لا يتناسب ولا يتوافق مع استمراركم في ظل هذا التنظيم الناكر لجميل وخير هذه الأرض التي أثخنت خزائنه ومؤسساته .

هذا يا أخي ما لزم بيانه احقاقاً للحق ومعذرة للربّ . . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

جاسم محمد العون

1991/9/2م

ملاحظة: احقاقاً للحق وإبراءً للذمة نسلم من رسالة الأخ وليد والرد عليه لكل من أعضاء اللجنة الشعبية بكيفان من المستقلين وهم :

1ـ عبد العزيز العدساني
2ـ مشاري الكليب
3ـ خالد تيفوني
4ـ أحمد السمكة
5ـ صالح المزيني
6ـ ناصر المرزوق
7ـ عادل الفوزان
8ـ سليمان الفهد
9ـ د. بدر الشيباني

(4)

الثلاثاء: 3/12/1990

كيفان ـ الكويت المحتلة

جرائم الاحتلال ضد الانسانية

شممت رائحة الموت حين دلفت الى مستشفى الولادة ! ربما لأن حالات اجهاض الحوامل كانت كثيرة في زمن محنة الاحتلال ! ولا حاجة بنا هنا إلى القول بأن الاحتلال قد أجهض الحمل والحلم ووأد قيم الأخوة في اللّه والعروبة والاسلام والجيرة والمصاهرة والعلاقة الحميمة العتيقة الموصولة مع الزبير وأبي الخصيب والعشار والبصرة والغاو والجاحظ وحضيري بوعزيز والحسن البصري . . و . . كل ما يصلنا ويربطنا عضوياً ووجدانياً مع العراق العريق الشقيق الكبير !

وقد لا أبالغ إذا ذكرت بأن 60٪ من الحوامل الصامدات أجهضن حملهن إبان فترة الاحتلال . فكم من أم فقدت جنينها أثر مداهمة جنود الاحتلال لدارها على حين غرة وبدون تنبيه ـ ولا نقول اذن !

وكم من حبلى أجهضت أثر سماعها لأخبار الاغتصاب والاغتيال التعسفي الذي طال الرجال والنساء والشباب والشياب والصبيان والأطفال والحيوانات والمرافق . . و . . كل شيء !

وكم من جنين مات في بطن أمه ، أثر اعتقال أمه ، أو تفتيشها في الشارع ، أو اعتقال ابنها البكر !

إن الاحتلال ينفي الحياة عن الأرض وما ومن عليها ! هذا ما بدا لنا ـ نحن معشر الصامدين ـ من واقع المعاينة والمعاناة والشهادة ! فرأيناه يميت الحيوان البهيمة جوعاً وعطشاً ويبطش بالانسان قتلاً وقمعاً وارهاباً وفزعاً وقلقاً . . حتى إن كل ما في الديرة لم

ينج من بطشه وارهابه وقمعه ! فالجنين الذي يرقد ـ بأمان اللّه ـ في بطن أمه نال نصيبه من « وجبات » العدم والاعدام !

في مستشفى الولادة بالصليبخات قالت الطبيبة هامسة للزوج الذي جاء بمعية زوجته التي أجهضت لتوها : إنا للّه وإنا اليه راجعون . . الحمد للّه على سلامة الوالدة . . وحالة زوجتك هي واحدة من عشرات الحالات التي تحدث يومياً بين الكويتيات ! وربما لا يكون في هذا التقرير عزاء لك . . لكنه أمر لا بد لك من معرفته في سياق قراءة احصائية لضحايا الغزو والاحتلال . . ودلالات رموزها المأساوية ! ومن هنا لا عجب اذا كان جميع المواطنين والمقيمين يكابدون محنة الاحتلال الغادر . . وفق صيغة وحدوية اشتراكية ! ! وحدة الدم والألم والدمع واشتراكية البطش والقمع والارهاب ! !

إن الدمار الذي لحق بمرافق الديرة واقتصادها وحلالها يمكن تعويضه واعادة بنيانه من جديد بأسرع وقت ممكن . . لكن الدمار الذي حل بالنفوس والوجدان يصعب اصلاحه . . ولعله بحاجة الى أجيال وعقود من السنين حتى يمكن أن يبرأ مما حدث له من تشويه وتخريب وتدمير !

بمعنى آخر ؛ أقول بأن الآثار المادية للعدوان والاحتلال يمكن معالجتها . . لكن الآثار النفسية والتربوية والوطنية والاجتماعية والأخلاقية لهذا العدوان ستحتاج الى وقت طويل . . اللّه أعلم بمداه !

***

«هنا الكويت .. يتغنى بها الصامدون

الأغاني الوطنية والمحنة

لا أذكر، طيلة أيام وشهور محنة الاحتلال العراقي الغادر، أني سمعت « راديو » يذيع أغنية ينصت إليها أحد الصامدين .. ولم يحدث مرة أن وجدت أناساً يصيخون السمع الى أغانٍ .. بما فيها تلك التي يسمونها أغاني وطنية .

بصراحة .. لم تكن الأغنية ـ وقتها ـ تشكل حاجة وجدانية يرغب فيها الناس .. سيما وأن أغلب ما تذيعه إذاعاتنا العربية الخليجية لا يحرض على عمل أي فعل ايجابي ! بل لا يحرض على سماعها ! ومن هنا غابت الأغنية عن ايقاع الحياة اليومية للصامدين .. لأنهم لا يملكون مثل هذا الترف !

وحين كنت أسمع نتفاً من ركام الأغاني التي كانت تقتحم مسامعي وأنا أنتظر الأخبار كنت أقول لنفسي : ترى لمن أنتجت هذه الأغاني، وما هي جدواها ودورها ووظيفتها ؟! وساعات أقول لنفسي أيضاً : لعلني غاوي نكد وشاذ وليس على مستوى القاعدة (على رأي أخينا الفنان عادل امام) .

ولكن تواصلي بالناس، وصعلكتي في الديوانيات جعلتني أستيقن بأن الأغاني الوطنية، السائدة إبان فترة الاحتلال بمنأى عن المحنة ومآسيها وهمومها وتحدياتها !

ولذا تجد مجالس الرجال وقعدات النسوة وتجمعات الأطفال والصبيان تستحوذ عليها الأخبار والتعليقات والوقائع الداخلية والاشاعات والأحلام و« السوالف » الحيوية وما الى ذلك . وإذا حدث ـ بالخطأ أو الصدفة ـ لعلعة أغنية من الراديو أو التلفزيون بادر القوم بكتمها في التو والحين . . بدون أن تبدر من أن أحد اشارة اعتراض أو احتجاج ، بل إن مقولة « زين سويت » كانت اللحن المميز الذي تعزفه جوقة القاعدين في كل ديوانية . والمعنى لمن لا يعرف اللهجة الخليجية (نعم ما فعلت حين كتمت صوت الأغنية ووأدتها) .

ولكن القول السالف كله لا يعني أن الأغنية الخارجة من رحم المحنة ومعاناتها مرفوضة ـ لا سمح اللّه ـ وغير حاضرة في أوساط الناس الصامدين .

ومن هنا فإن شريط الكاسيت الذي أنتجه المبدعون الصامدون لقي قبولاً ورواجاً منقطع النظير . . لأن الأغاني التي يحتويها الشريط تنفي الذوق واللون الغنائي السائد في مجال الأغنية الوطنية .

فالأغاني الوطنية التي نزفها الفنانون الصامدون ؛ تعزف على أوتار المحنة ، وتتناغم مع تحدياتها ، وتثير في الوجدان مشاعر تحرض على الفعل والعطاء وكل القيم الايجابية . فالمؤلفون الذين صاغوا كلماتها لم يبدعوها . . بالمناسبة أو استجابة لتكليف « رسمي » ! بل إنها طالعة من القلب ، ومكتوبة بمداد المعاناة ، وخرجت ـ كما الطلقة ـ بمنأى عن « طقوس » الوحي والالهام والخيال . . !!

ومن هنا كانت هذه الأعمال الغنائية الوطنية أناشيد يرددها الأطفال وزغاريد تغرد بها النساء ساعة الكدح والشغل . . وهتافات غضب يزأر بها الرجال والشباب . . الى آخر التنويعات التي يستوعبها الصمود وتفرضها حياة الصمود والمقاومة .

وفي موقع آخر من هذا السياق سيجد القارىء عينات ونماذج من الأغاني التي تغني للوطن والمواطن . . لا أن تغني عليه كما يحدث في جل الأغاني السائدة في الأعياد الوطنية والمناسبات الاحتفالية .

***

شريط (هنا الكويت) والمهمة الوطنية

وعلى الرغم من النجاح الهائل الذي لقيه الشريط الغنائي (هنا الكويت) فإنه ظل بمنأى عن ميكروفونات إذاعات وتلفزيونات الكويت ودول مجلس التعاون . . فلم يذع سوى نتف منه أو بعض منها مرة واحدة يتيمة لم تتكرر . . وكأن هذه المبادرة الكريمة لرفع العتب ليس الا ! والحق أنها كذلك صراحة . . ذلك أن الأغاني المولودة من رحم المحنة ؛ ورأت النور داخل الكويت المحتلة ، لا يمكن أن تضاهي أغاني السوق والمقاولين وأصحاب شركات الانتاج ومطربي المناسبات المفرحة وفناني العلاقات العامة والخاصة !

فكيف ـ والأمر كذلك ـ يمكن أن تفكر وتجرؤ الاذاعات على اذاعة الأغاني المتسللة من الكويت المحتلة . . وهي تضج بالرفض وتتشبث بالأرض ، وتحرض على الصمود والمقاومة ، وترفض النزوح وتستهجنه ، وتزغرد للشهداء . . وتنتظر الشهداء الجايين . . وتزأر بالولاء والانتماء قولاً وفعلاً وسلوكاً . فالفنانون في هذه الأغاني الوطنية يعنون ما يقولون . . بمعنى أن أغنيتهم قول وفعل وموقف واختيار وليس مجرد عواطف « شفوية » تجتر في المناسبات ، وتلاك في الأعراس الوطنية والاحتفالات الرسمية والشعبية .

وبعد التحرير كنت أتوقع إذاعة الأغاني الوطنية التي أبدعها الفنانون الصامدون . . لكن ذلك لم يحدث . . اللهم الا تلك المبادرة الشخصية التي قامت بها زميلة إذاعية حيث أذاعت هي الأخرى مقاطع منها وسط حوار أجرته مع الصبية الصامدة التي أسهمت بصوتها في أداء بعض أغاني الشريط .

والصبية هي مي بنت الأخ (صبيح العيدان) وعمرها لا يتجاوز العاشرة . . لكن عمرها العقلي يسبق ـ ما شاء اللّه عليها ـ عمرها الزمني . أضف إلى ذلك شجاعتها ورباطة جأشها . . ففي الأيام التي كان يتم فيها التسجيل . . كانت احتمالات المداهمة البوليسية متوقعة في أي لحظة . . لكنها كانت تؤدي مهمتها ، دون أن تبدر عنها إشارة أو حركة تشي بالتوتر والقلق والخوف . وكانت تتحمل أيام وليالي تدريبها بصبر مدهش ، لا

يعرف الكلل ولا الملل . فإذا غلبها التعب وداهمها النعاس ، نامت قليلاً رافضة انهاء التدريبات ، بدعوى الاجهاد والتعب وإمكانية تأجيل انجاز اليوم الى الغد .

ولعل أكثر ما لفت نظري اليها هو إدراكها أنها تقوم بمهمة وطنية جهادية ، قد تقودها الى الاعدام . . أو الاعتقال المرعب في سجون عراق صدام . ومع ذلك فإن أجهزة الاعلام الرسمية لم تحفل بالدور الذي قامت به هذه المهرة العرباوية الحرة . ربما لأنها لا تمت الى عالم النجوم والكواكب والمشهورين ! على أية حال . . لا أحسبها طامعة بمجد أو شهرة . . حسبها أن أترابها صرن يرددن هتافها الأخضر الطالع من جوّه القلب وأعماق الوجدان .

إن إيصال هذه الأغاني الى الصامدين يستوجب توفير مئات وآلاف الأشرطة الصوتية . . وألا ّيبقى العمل الفني الغنائي التحريضي حبيس الخزانات ولا يصل الى الصامدين والنازحين . . لكن « بوخالد » كما هو دأبه أشار الى أن في مقدوره تأمين الكمية . ولا تحاول أن تسأله كيف وأين ومتى سيوفرها ؟! حسبك أن تدحرج على مسامعه بغيتك وحاجتك وسوف يؤمنها لك بالسرعة الممكنة . ومن هنا أطلق عليه « الربع » وصف الساحر . . لأن جعبته تضاهي « جراب الحاوي » الذي يحتشد بكل شيء ! كل شيء ؟ نعم . . كل شيء ! ! فلا أذكر أن أحداً طلب منه شيئاً لم يقدر على توفيره !

ولو رأيت « بوخالد » لأول وهلة لحسبته أحد الصعاليك الهامشيين الذين لا طائل منهم . فمرة تراه ملتحياً مرتدياً الزي الوطني . . ومرة ثانية يطل عليك بصلعة الممثل الأمريكي الشهير « يول براينر » حليق شعر الرأس والذقن والشوارب ! وهو لا يفعل ذلك من باب ترف التندر والمزاح . . بل بدافع التنكر والتخفي والتبرقع! لأن سعيه ونشاطه وأفعاله لا بد أن تثير الريبة .

والحق أن العمل الغنائي الوطني التحريضي « هنا الكويت » يستأهل التوثيق والاستماع والاذاعة والاحتفال به . . وبالجنود المجهولين الذين نزفوه ابداعاً في صياغة كلماته وألحانه وأدائه .

ففي حدود معلوماتي ، فإن هذا العمل الغنائي هو الوحيد الذي تمكن المبدعون

الصامدون من تأليفه وتلحينه وتسجيله بأصوات بعض هواة الغناء بمعية كورس كله من الهواة المتطوعين .

إن عملية ولادته قصة بطولية تستحق التوثيق والرواية . . إنها جزء عضوي من تاريخ الصمود والمقاومة . ولهذا السبب حرص العبد للّه على كتابة تقرير صحفي أبان الاحتلال الغادر . وقد أرسلته من داخل الكويت المحتلة عبر الفاكس السري « بوناصر »[1] الى وكالة الأنباء الكويتية . . وسوف يلاحظ القارىء حين يطالع هذا التقرير. أن الكاتب صاغه بصورة تمويهية تشي بأن العمل الفني الغنائي قد أنتج في دولة الامارات العربية المتحدة علّ هذه الصيغة التمويهية تحمي الفنانين الذين أبدعوه من ارهاب وقمع السلطات العراقية المحتلة . ولذا أرجو أن يسمح لي القارىء الكريم رواية قصة هذا العمل بكافة تفاصيلها التي آمل ألا تكون مملة .

***

الشاعر الصامد والمعاناة

حين هتف إلي أحد الاصدقاء في الأيام الأولى من الاحتلال الغادر . . شعرت بأن اتصاله الهاتفي يتجاوز مسألة الاستفسار عن ظروف وملابسات اعتقال ابني البكر! صحيح انه أبدى مشاعر أخوية مترعة بالمواساة والتواصل والرغبة في المساعدة . . لكن إيقاع صوته المليء بالشجن ، بدا لي أنه يخفي سراً يؤرقه ويود البوح به إلي . ولذا بادرته : هل تريد شيئاً ؟! لا عليك من مسألة الاعتقال . . سيما وأنها شملت أغلب الأسر الكويتية . . فهات ما عندك وقل لي ما خبرك ؟ لاذ بالصمت برهة . . شعرت به ـ عبر التلفون ـ يمج سيجارته بشدة وينفث دخانها ، متزامناً مع خروج تنهيدة قهر . . ثم قال متردداً ـ لا خبر . . كل ما في الأمر أني أريد أشوفك . قلت له : هلا بك في أي وقت . قال متسائلاً : هل يضيرك أن أزورك ؟!

---

(1) بوناصر هو: الشيخ صباح ناصر سعود الصباح .

الحق أني اندهشت لصيغة سؤاله . يضيرني بزيارته ؟! لم يقول مثل هذا الكلام ؟ لا بد أن في الأمر « إنّ » وسر ! هكذا سألت نفسي بعد أن تواعدنا على اللقاء .

وقد راعني ، حين لقيته ، اصفرار وجهه ، واحمرار عينيه ، وتدخينه المتواصل بدون انقطاع ! خيراً إن شاء اللّه . . سألته ؟ قال : إن سلطة الاحتلال ما انفكت تطلب منه الظهور في التلفزيون والتحدث في الإذاعة وصياغة القصائد لتأييد الدعاوى التي اتكأ عليها المحتلون لتأييد احتلالهم ! صحيح أني كتبت أغان قومية لصالح الإذاعة والتلفزة العراقية . . لكني لم أمدح « صدام » ولم يطلب مني ذلك ! ولو طلبوه لرفضته ! ولعلهم لم يطلبوا لهذا السبب ! لأنهم يعرفون بأن قلمي معقم ومحصن ضد عدوى المديح !

الحاصل انهم ، الآن ، يحاصرونني بمداهماتهم ، الليلية والنهارية ، يهددونني بالوَيل والثبور ، ويغرونني بالذهب والدينار النفطي والامتيازات المادية العديدة . وفي الأيام الأخيرة كفوا عن إغرائي . . واستمروا في تهديدي بشتى الأساليب الشيطانية ! لعل أكثرها إيلاماً وإساءة لي ؛ يكمن في الإشاعة التي دحرجوها في أوساط أهالي المنطقة والديرة ، بأني « رفيق » في العصابة السرية الإرهابية التي تحتل الكويت ، بدليل أن بيتي مشرّع الأبواب ليل نهار لرجال الأمن والاستخبارات للإيحاء للجيران بأن صاحبنا عميل « مصلّع » مشهور ، ومؤيد علني لغزو البلاد واحتلالها ، وموافق على كل الممارسات الارهابية الاجرامية ؛ التي استباحت الإنسان والأرض والحيوان ؛ والخضرة والحياة والعمران والتربية والصحافة والثقافة والدين والتقاليد العروبية والقيم الإسلامية ، وما إلى ذلك من أصناف العربدة والإستباحة الوحشية الهمجية .

حين أنهى مقولته أو نزيفه السابق . . قلت له : بس ! وجدتها ! أي واللّه لقيتها ! هانت بليتك وجاك الفرج !

افتر ثغر صاحبنا عن ابتسامة « تفاؤل » . . سحب نفساً عميقاً من سيجارته . . وتحول كله إلى آذان صاغية ! قلت له ـ ببساطة ـ اكتب . . انزف معاناتك وهموم الصامدين على الورق ! قول ولعلع ما دمت ما تخاف إلا من الواحد الأحد ! ترجم خشيتك ورجاءك ، تمزقك وكل ما يضطرب في وجدانك من مشاعر وهموم ، خاصة وعامة ، إلى أهازيج و« شيلات »[1] وأناشيد وصرخات . . الخ . ومثلك ـ وأنت الفنان العتيق ـ لا

يحتاج إلى مثل هذه الموعظة الخطابية الثقيلة الظل !

وافترقنا . . وغاب عني أسبوعاً ؛ ومن بعد ، اتصل بي . . وكان صوته هذه المرة عامراً بالثقة ، خالياً من التوتر . . ربما لأنه أطلق العنان لمشاعره ، فصاغها أهازيج وطنية ، تحرّض على الصمود والمقاومة والفعل . . وأناشيد تشيد بدور المرأة والشباب والشياب ! وتزأر بهموم الصامدين واستجابتهم الصحية لتحدي الاحتلال .

والعمل الفني الصادق ينفعل به المتلقي ويتواصل معه بسهولة ويسر .

والسؤال الذي دحرج نفسه بشدة هو : كيف يصل هذا العمل الفني الوطني التحريضي إلى الجمهور الصامد في الكويت المحتلة ؟ بل إلى أهلنا في ديار الشتات والغربة . . وإلى كل اخوتنا العرب والمسلمين في ديار العروبة والاسلام !

***

التأليف والتلحين والغناء في الاحتلال

بسرعة احتشد الربع الفني في ضاحية (. . . . .) ، حيث يقطن الفنان الشاعر . . وتم الاتفاق على تفاصيل انتاج العمل الوطني الغنائي . وزعت الأدوار والمهام وشرع الجميع في انتاج العمل بسرية تامة .

فاعتكف الفنان الموسيقي . . . . في منزل أحد الأخوة ، وبمعيته عوده وثمانيةعشر نصاً غنائياً مترعاً بهموم وأحلام ومعاناة االصامدين. وفي أيام قليلة كان الملحن قد أنهى تلحين كافة النصوص الغنائية . وكان في أحسن حالات الابداعية . . بحيث إن النص الغنائي لحنه بإيقاعات مختلفة ، وتنويعات متناغمة ، وكأن الألحان معدة سلفاً ! ولعل استجابة الملحن السريعة ، وتدفقه الثر بالموسيقى والايقاعات ، يكمن في سرعة تواصله وانفعاله بالكلمات ، واستيعابه لمعانيها ودلالاتها وروحها ، ودورها التعبوي التحريضي . والأمر المثير للدهشة أن مناخ الرعب والإرهاب الذي كان يجثم على كاهل الكويت

---

(1) شيلات جمع شيلة ، والشيلة هي الأهزوجة الشعبية .

المحتلة لم يؤثر سلباً على عطاء الفنانين وروحهم المعنوية . بل إن انشغالهم بهذه المهمة ، خفف من وطأة معاناتهم النفسية ، وشدّ أزرهم وشحنهم بالتفاؤل والأمل .

ولم تمض أيام قليلة حتى تم تسجيل ثمان عشرة أغنية تشكل قوام العمل الغنائي الوطني الموسوم بـ «هنا الكويت» . . وكان يحضر عملية التسجيل الصديق الشاعر يعقوب عبد العزيز الرشيد الذي ساهم في العمل بقصيدة فصيحة متناغمة مع الإيقاع العام للعمل الفني الملعلع بصوت الصامدين الرافض للاحتلال الغادر المتشبث بالأرض والمنزل والديرة . وكان حضور الشاعر لعملية التدريب والتسجيل مغامرة محفوفة بالمخاطر . . لأن مجرد خروجه إلى الشارع وتجوله في الديرة يعرضه لخطر الاعتقال . . وسوف نعرف سبب ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب . . حسبي الآن ، في هذا السياق ، الإشارة إلى أن « أبوالعز » كان يكتفي « بالتنكر » المريح حيث يرتدي « الدشداشة » ويعتمر « الغترة » ويلتف بعباءة صوفية . . لأن الشاعر ـ كما هو معروف ـ من مريدي لبس البدلة الافرنجية منذ زمن طويل . ومن هنا فإن لجوءه إلى الزي الوطني يعد وسيلة تنكرية مكّنته من المرور والتجول دون أن يفطن إلى شخصيته أحد . . ولله الحمد !

وكان « أبو العز » من أشد المشجعين المتحمسين لهذا العمل الفني الوطني . . وكان حريصاً على أن يخرج إلى النور ويصل إلى الناس بغض النظر عن العواقب والتبعات القمعية الارهابية التي قد تصيب بعض أو كل المشتركين فيه . وأذكر أن موقفه هذا قد رجح كفة الرأي القاضي بالمسارعة بنشره وترويجه وإذاعته داخل وخارج الكويت .

وقد تولى مهمة الغناء كل من الرياضي المعروف « مرزوق سعيد » ومهرة فتية في العاشرة من عمرها هي مي بنت الأخ « صبيح العيدان » ، والثالث والرابع هما : عبد اللّه العمير وعادل ملك . وكانت التمرينات « البروفات » على حفظ وأداء الأغاني متواصلة نهاراً وليلاً إلى حين ساعة منع التجول التي كانت تبدأ في الحادية عشرة ليلاً .

وكنا لا نخفي خشيتنا على الأخ « مرزوق سعيد » لأنه وجه رياضي سمح مشهور لدى مريدي كرة القدم ، فضلاً عن أنه كان من المطلوبين .

وقد أسهم الأخ « صبيح العيدان » في صياغة عدة أغاني من هذا العمل الفني . . وبخاصة بعض الأغاني التي أدتها ابنته مي . . مثل تلك التي تتحدث بها على لسان

المرأة الكويتية التي حرمت على نفسها استخدام عدة الزينة والتزويق و« الماكياج » ما دامت الديرة مصفدة بأغلال الاحتلال . وحين تسمعها تنوح بصوت مليء بالشموخ والشجن « نذرن علي ما قرب الحمرة . . ولا العطور ولا البخور . . » لا تملك إلا أن تنفعل بأدائها الصادق . . الطالع من القلب الموجوع المفجوع . . وقد لا تصدق بأن الفارسة « مي صبيح العيدان » صبية خضرة في العاشرة من عمرها فقط . فحين سمعها بعض الأدباء والصحفيين والفنانين في مصر المحروسة لم يصدقوا بأن المؤدية في مثل هذا السن . . ربما لأنها كانت تقول وتؤدي بوعي وإحساس يفوقان عمرها الزمني .

وإذا أتيح لهذا العمل الفني الرواج والانتشار بعد أن يتم تسجيله في استوديو إذاعي بمعية فرقة موسيقية . . فأحسب أن المستمعين سينفعلون به ويطربون له . . والطرب هنا مجازي لأنه ينفي الطرب التخديري إياه . إنه طرب تحريضي ، إن صح التعبير ، طرب يحرض على المقاومة والصمود والمرابطة . . ورفض الاحتلال بشتى أشكال ودرجات الرفض .

***

بوخالد والكاسيت « وحاضرين للطيبين »

كانت المشكلة الأساسية التي تجابه الأخوة الفنانين هو شح وندرة أشرطة التسجيل « الكاسيت » . . فلكي يتسنى للفنانين الصامدين، ترويج الأغاني الوطنية التعبوية التحريضية ، على كافة المناطق السكنية في الكويت المحتلة . . فإن هذه المهمة تحتاج إلى مئات وآلاف الأشرطة . وكيف يمكن تأمين هذه الكمية بينما كافة المحلات مغلقة ، استجابة لفعل وموقف العصيان المدني الرافض للاحتلال؟ هنا قال « وليد خالد المسلم » ببرود يغبط عليه : أيها الربع . . لا تحملوا هم توفير الأشرطة . . أمهلوني سويعات قليلة وستكون الكمية المطلوبة بحوزتكم . ولأنني أعرف « بوخالد » عن كثب فلم أدهش لقولته . فلا أذكر مرة احتجنا فيها إلى شيء ـ أي شيء ـ الا أحضره ! ومن هنا أطلقت عليه اسم الساحر أو الحاوي الذي تجد في جعبته وجرابه كل ما يخطر ولا يخطر

على بالك ! وما دمت قد جئت على سيرة « بوخالد » فإنني أود التنويه بأن هذه السطور القليلة والإشارات العابرة لا تفيه حقه ، ولا تعبر عن التضحيات والمهام التي قام بها إبان فترة الاحتلال الغاشم . . وأثناء تحرير البلاد وتحررها . والحق أنه ـ وأمثاله ـ يستأهلون فصولاً تكرس لتوثيق أعمالهم المترعة بالتضحية والإيثار وفعل الخير والفروسية وإنكار الذات .

الحاصل أنه بعد ساعات من اجتماعنا كانت مئات الأشرطة « الكاسيت » تتكدس في سرداب منزلنا بكيفان . ولا تسأل كيف تمكن من الحصول عليها . . ولا عن تمكنه من حملها والنفاذ بها من نقاط وحواجز التفتيش العراقية المزروعة في كل مائتي متر من أرض الديرة ؟ !

ولو عنَّ لك سؤاله بإلحاح فسوف يجيبك ـ ببساطة ـ قائلاً : اللّه هو الحافظ . . ومن ثم توكلت على الواحد الأحد . . وبس ! وبس هذه لا تشفي الغليل . . ولكنها تخرج من لسانه من باب التواضع . فهو لا يرغب أن يضفي على أي فعل يقوم به أي صفة تشي بقيامه بعمل بطولي عامر بالجسارة والثقة باللّه ، سبحانه ، ومن ثم الثقة بالنفس . . وما إلى ذلك . بل انه يحاول أن يبين لك بأن ما قام به سهل وهين ومريح ولم يكلفه شيئاً البتة . ومن هنا تجد عبارة « حاضرين للطيبين » تدرج على لسان . . قبل وعقب أي طلب تطلبه منه . والطيبون عنده هم كل الصامدين. ومن هنا أيضاً تجد خدماته وتضحياته تتجاوز منطقة « الشعب » ، حيث كان يقطن ويعمل ضمن اللجنة الشعبية لهذه المنطقة . أهتف له : « خوي بوخالد ، ثمة مريضة بالربو في محافظة الجهراء . . و . . » لا يدعني أكمل العبارة ، بل يقاطعني بقولته الشهيرة « حاضرين للطيبين » . وفي ساعات يكون الدواء عند المريضة !

يعرف صدفة بأن بعض الصامدين المتعففين يبيعون الأجهزة الكهربائية المنزلية (الفيديو ، التلفزيون ، الثلاجة . . الخ) فيسارع بالمرور على هؤلاء ليسلمهم المقسوم . . دون أن يفصح عن هويته .

ومعذرة لهذا الاستطراد . . لكن « بوخالد » وأمثاله يستأهل أكثر من هذه السطور القليلة والكلمات العابرة . . ومعذرة لبوخالد وأمثاله إذا كانت كلمات العبد للّه لا تضاهي الأفعال التي قاموا بها .

توزيع أغاني المحنة في ظل الاحتلال

الفنان حمد رجيب وترويج الشريط

حين أنهينا تسجيل العمل ، حرصت على معرفة رأي عمنا الفنان « حمد الرجيب » ولعله أول صامد يسمعه يقول رأيه فيه . وكان رأيه محرضاً على ترويجه . . والعم « بوخالد » لا يجامل في مثل هذه الأمور .

ما زلت أذكر كلماته حين هتفت إليه ـ بعد يوم من وصول الشريط الذي يضم ثمان عشرة أغنية ـ حيث بادرني قبل أن أساله : بأنه عمل فني غنائي ينتمي إلى قبيلة السهل الممتنع . قال لي : لقد سمعت الشريط مراراً . . طربت له وانفعلت به . ومن ثم راح يسأل : من هو الذي شدا بأغنية « عند الحدود » قلت له (بوعبد اللّه . . مرزوق سعيد) ، لاعبنا الوطني والدولي في كرة القدم . قال بدهشة معجونة بالاعجاب (مرزوق ما غيره ؟) أجبت : نعم هو ما غيره ! واستطرد متسائلاً ، ومن كتب القصيدة بالعربية الفصحى التي لحنها الملحن بايقاع « الصوت » قلت : انه « يعقوب الرشيد » ما غيره . . هو الآخر !

سألته بعد أن عرف كل التفاصيل التي يبغيها : ما رأيك في العمل . . هل يستأهل ترويجه في أوساط الصامدين؟ قال ـ بدون تردد ـ يستأهل ونص !

ثم أردف قائلاً : حسبي أن أقول لك بأن هذا العمل الغنائي العفوي المباشر قد

حرضني على أن ألحن كلمات في السياق نفسه . ان كل ما أحتاجه الآن هو الكلمات . . النصوص المعبرة عن حالة الديرة المحتلة وهموم الصامدين.

كان هذا الحديث في أواخر الشهر الثاني عشر من عام 1990 . . وأذكر بأن العم « بوخالد» ختمه بطلب ملحّ يقول : الحقني بالنصوص . . بالكلمات . . وبعد يومين زرته بمعية أخي الصديق الشاعر « يعقوب الرشيد » حيث سلمه عدة قصائد بالعربية الفصحى . . وسلمته أنا عدة نصوص للشاعرتين غنيمة زيد الحرب وسعدية مفرح . وكان رأيه بأن عمل « هنا الكويت » يجب أن يسمعه كل الصامدين ـ بداية ـ ومن ثم لا بد أن يسمعه أهلنا في الخارج .

وهكذا أخذ الفنانون الصامدون برأيه ووجهة نظره . . فبعد أن تم استنساخ مئات النسخ . . كان شريط « هنا الكويت » يلعلع في كل أنحاء الكويت المحتلة .

وقد قام بعملية استنساخه كل من : أحمد الكعكي (سعودي) وأحمد الراشد (كويتي بالفعل لا بالجنسية) ومجموعة طيبة من الشباب الكويتيين ؛ منهم خالد محمد حمود (طالب بالمعهد العالي للموسيقى ـ سنة أخيرة بكالوريوس) .

وقد سهر الشباب ولم يناموا إلا بعد تسجيل عدة مئات من العمل الغنائي الوطني .

وحين أنهوا هذه المهمة لم يكن ثمة مجال لراحة أو نوم . . إذ لا بد من توزيع الشريط وترويجه . وكان السؤال : من يقوم بمهمة توزيعه ؟ جاء الجواب من هند وليلى محمد صالح وموضي المفتاح وسعدية مفرح . . وغيرهن من آنسات وسيدات الكويت الصامدات . . نحن سنقوم بهذه المهمة .

وحين علم شباب كيفان والشامية والفيحاء والخالدية والشعب والجهراء وضاحية صباح السالم . . وغيرها بهذا التوجه بادروا بنسخ وتسجيل الشريط وتوزيعه على كافة المحافظات والمناطق السكنية .

***

أم العباية وتوزيع « هنا الكويت »

في غضون أيام قليلة كان شريط « هنا الكويت » يلعلع بثمان عشرة أغنية في طول الكويت وعرضها . ومهمة توزيع الشريط محفوفة بالمخاطر ، سيما أن نقاط وحواجز التفتيش موجودة في كل شارع وطريق و « سكة سد » وجادة ومنفذ ودوار وكل مكان .

وقد لعبت العباءة هنا دوراً هاماً في اخفاء وتسريب الشريط من منطقة كيفان ، المقر الرئيسي للتوزيع ، إلى المناطق السكنية في شتى المحافظات . وأذكر من أسماء « أم العباية » اللواتي قمن بهذه المهمة كل من : هند وليلى محمد صالح ، أم صالح علي الصقعبي ، أم سعود عبد العزيز الخلف ، أم بشار توفيق الأمير ، أم سعود عبد العزيز المنصور (المخرج المسرحي التلفزيوني) اقبال علي محمد الدعيج ، سعدية مفرج ، موضي المفتاح ، أم خالد أحمد شمس الدين (مكسيكية) ، غنيمة زيد الحرب ، أم طارق حسين علي عبد اللّه المنصور ، أم ناصر بدر الشيباني ، أم أحمد صبيح العيدان ، لولوة محمد أحمد الرشيد « المحامية » ، عايشة اليحيى « الإذاعية » ، شذا دعيج العون ، أم عبد اللّه منصور عبد اللّه المنصور ، أم أحمد علي عبد اللّه إبراهيم الفهد ، أم طاهر ساق اللّه « فلسطينية » ، أم صلاح عبد اللّه المذن ، أم خالد وليد المسلم ، وبنات المرحوم خالد المسلم ، وأم وليد خالد المسلم .

الشريط ـ ببساطة ـ ترجم بجاذبية السهل الممتنع كل هموم ومعاناة وهواجس وأحلام وأفعال الصامدين . (18) ثمان عشرة أغنية وطنية تحريضية دوت في الكويت المحتلة مثل زخات مدفع رشاش مدجج ومعمر بالغضب . . و . . !

سبحان اللّه . . هل يمكن أن يكون نشيد طفلة في العاشرة من عمرها محرضاً على الصمود والمقاومة والفعل . . حسبك هنا أن تسمع « مي صبيح العيدان » تتحدث بلسان المواطنة الكويتية التي طلقت الزينة ونذرت للّه الا تقرب الا بعد أن تتزين الديرة بخضرة الحرية والتحرير .

أما أداء الرياضي المعروف « بوعبد اللّه : مرزوق سعيد » فكان يتسلل إلى الوجدان بسهولة ويسر وانفعال بما يقوله . . ربما لأنه ـ وهو الهاوي ـ يشعر بأنه يغني هذه المرة

للتحريض على أداء فعل وطني . . لا إلى إحداث سلطنة وطرب يعقبها «زفان» والذي منه .

كان « بوعبد اللّه » كثير الحماس لأداء العمل . . ولم يكن يحفل بأن يعرف المحتلون صوته . كان يحضر ساعات التدريب « البروفات » بدقة . . ولم يتخلف عن الحضور البتة ، على الرغم من قدومه إلى مقر التدريب والتسجيل من مكان بعيد . وهكذا كان موقف بقية المتطوعين حيال هذا العمل الغنائي . هكذا كان موقف « عبد اللّه العمير » ، من فرقة التلفزيون ، « عادل ملك » و « مي صبيح العيدان » .

***

ثمان عشرة أغنية أثارت غضب الاحتلال

إن أي كاتب منصف لا يمكنه التوثيق لانفعال المبدعين بمحنة الاحتلال بدون الحديث عن الأغنية الفعل التي أنتجها الفنانون الصامدون.

فقد تحولت الثمان عشرة أغنية إلى سلاح قوي أثار خيفة السلطة المحتلة وقلقها وغضبها . . فراحت ـ كما هي العادة ـ تداهم البيوت وتفتش السيارات وتعتقل من تشاء . . ولكن شريط « هنا الكويت » ظل يلعلع وينتشر داخل الكويت وخارجها . . حيث قام بعض المواطنين النازحين بتهريبه عبر الحدود . . إلى المملكة العربية السعودية ومنها انطلق إلى (أبو ظبي والدوحة ودمشق) وغيرها .

وقد أذيع العمل الغنائي من بعض الاذاعات الخليجية ، لكن الاذاعة الكويتية تناسته وأهملته وكأنه رجس من عمل الشيطان !

ولأول وهلة غضب الفنانون االصامدون لهذا الموقف الشاذ الغريب الصادر عن الإذاعة الكويتية . . لكنهم عذروا الإذاعة فيما بعد . . لأن أغاني الصامدين لا تتناغم مع ايقاع الأغاني « اياها »! لكونها خارجة من رحم محنة الاحتلال وتزأر برفضهم للاحتلال الغادر وبتمسكهم بالأرض وتشبثهم بالديرة . . وتنزف همومهم ومعاناتهم وصمودهم وصبرهم . . وتعبر عن استجاباتهم لتحديات المحنة وتداعياتها . فضلاً عن أنها أغانٍ تحرض على الفعل المدجج بالصمود والمرابطة والتكافل والمقاومة . . وكل الهموم والقيم التي تسكن الوجدان الجمعي للصامدين.

وقد حرصت في نهاية هذا الفصل على نشر كافة النصوص التي يضمها شريط « هنا الكويت » لكونها باتت وثائق تاريخية تعبر عن اعلام الصامدين وانفعال الفنانين بمحنة الاحتلال .

وقد علمت ـ وأنا في الإسكندرية حيث أكتب هذه السطور ـ بأن بعض الاخوة الذين أسهموا في انتاج هذا العمل الفني الغنائي ينوون تسجيله تسجيلاً يليق به بنفس الأصوات الشجاعة التي لعلعت به ابان محنة الاحتلال . . أي من خلال صوت كل من : مرزوق سعيد ، الطفلة مي صبيح العيدان ، عبد اللّه العمير ، عادل ملك . وبطبيعة الحال فان عملية التسجيل لن تتم في استوديوهات اذاعة الكويت للأسباب السالف ذكرها . . وقد يتم تسجيله في القاهرة . . ومن ثم يكرس ريع شريط الكاسيت لأسر الشهداء والمعتقلين والأسرى . وقد علمت كذلك بأن أحد المواطنين الخيرين[1] قد تبرع بتكاليف تسجيل واستنساخ الشريط . . لكي يجنب المنتجين مسألة اللجوء إلى اذاعة الكويت ! !

***

وزارة الاعلام وتوثيق ابداع المرابطين

الأمر المؤسف ، المثير للغرابة والدهشة والعجب ، يكمن في أن هذا العمل لا يذاع في الإذاعة والتلفزيون في الكويت . أعرف سلفاً ـ بحكم خدمتي في الوزارة ـ بأنهم سيتعللون بمسألة عدم صلاحية اذاعة العمل من الناحية الفنية التقنية . لكن هذا المبرر ـ مع صحته ـ ليس مسوغاً لحجبه ووأده . . سيما وأن وزارة الاعلام صرفت عشرات الألوف من الدنانير على أغانٍ لا أحسب أنها ستصل إلى آذان السامعين ، فضلاً عن وجدانهم . .

ومن هنا أتمنى على وزارة الاعلام الإسراع في توثيق هذا العمل الفني النضالي وتسجيله بصورة تليق به . . لأنه جزء عضوي من مسيرة المرابطة والصمود لأهل الكويت .

أقول ذلك لأن هذه المهمة من واجب الوزارة حقها . وإذا تعللت الوزارة ـ كما هو

---

(1) الدكتورة سعاد الصباح .

دأبها في هذه الأيام ـ بعدم توفر السيولة اللازمة فان العديد من المواطنين الخيرين على أتم الاستعداد لتمويل عملية انتاج وتسجيل هذا العمل الغنائي الوطني . ومع التقدير الكامل لكل المبادرات الخيّرة التي تقدمت لتمويل انتاج هذا العمل بالصيغة اللائقة به . . فان العبد للّه يرى بأن وزارة الاعلام . . أو أي جهة حكومية هي التي يجب أن تتكفل بمهمة تسجيله واذاعته وتوثيقه بالصيغة اللائقة به .

أقول ذلك لأن الاستوديوهات الإذاعية الرسمية والخاصة في مصر مشغولة بتسجيل أغانٍ لصالح وزارة الاعلام الكويتية .

ومن هنا ، فان تعلل الوزارة بعدم وجود ميزانية . . وما إلى ذلك من تعليلات ومبررات لم يعد مبلوعاً ولا مقبولاً .

وكان يفترض في القيمين على وزارة الاعلام السعي إلى توثيق ابداع الصامدين الرافض للاحتلال . . المحرض على المقاومة والصمود والمرابطة . . قبل أن تفكر في انتاج أغانٍ يلعلع بها المغنون المحترفون » بمناسبة تحرير البلاد . .

لكن يبدو ـ كما قال العرب قديماً ـ بأن مغني الحي لا يطرب . . ولا كرامة لنبي في وطنه . . إلى آخر التنويعات التي تعزف نفس المعنى .

* * *

مقاطع من أغاني المحنة للفنانين الصامدين

تميت مـــرابط . . تميت كـــويتي
ومـــــا يتـــــرك الكــــويـت
يـــوقفني الجنـــدي المتجبـــر
مـــا أطلـع منك يـــا كـــويت
يستـــدعيني المخفـــر أحضـــر

وما أطلع منك يا كويت
تميت مرابط . . . تميت

***

داير في الديرة الحزنانة
داير والديرة زنزانة
يخاف الحرف يكمل حرف
يخاف الواحد يسهى لسانه
أنا الديرة . . واهي أنا
يموت الورد بليا أغصانه

***

وهذه الأغنية طويلة ، لذا اخترت مقاطع منها لمجرد إعطاء فكرة عن منحى هذه الأعمال الغنائية المدهشة . . وليسمح لي القارىء بتثبيت البيت الأخير منها لبلاغته ودلالته التي لا تحتاج إلى تعليق !

يا غازي الديرة ومتآمر
أنا الثابت وأنت العابر !

وقد اختار الفنانون صياغة أغانيهم بالعامية . . لكنهم لم ينسوا لغة الضاد وبخاصة أن الضرورة الفنية والموضوعية تفرضان الفصحى :

كويت الفداء . . كويت الأمل
سموت بخلد حللت المقل
خلقت السناء فشع السنا
وطوق مجدك حتى زحل !

تخطيت دوماً عوادي العدا
وأعليت مجداً رعاه الأول
سنفديك بالروح لا نرتضي
تدنس أرضك . . مهما حصل
نخوض الغمار لرفع البنود
لنعلي الجباه ونعلي الشعل
كويت الآباء . . كويت الأول
بجابر تسمو وسعد البطل

وقد سبق لي الاشارة إلى أن المواطنين الكويتيين قد استجابوا لغياب العمالة الوافدة بالفعل الإيجابي الذي مكنهم من ملء الفراغ وأداء كافة المهام والخدمات التي كانت تلك العمالة تقوم بها . وفي هذا السياق يتغنى الشاعر والملحن والمؤدي بالاستجابة الإيجابية الفاعلة لتحدي غياب العمالة ، فيقول بلغة السهل الممتنع :

يا ربعي الكويتيين . . .
المسؤولية صارت حلوة الحين
صار الخباز من الديرة
وابن الديرة يخم[1] الديرة
وأصبح معنى لكلمة جيرة
يا هل الديرة مبروكين

وتستمر الأغنية على هذا المنوال ، متغنية بالدور الإيجابي الفاعل لأبناء الديرة على كافة أعمارهم ومناصبهم وثقافتهم ومراتبهم الاجتماعية . . الخ ، فتجد الجميع يعملون ويخدمون ويقومون بكافة الأعمال والمهام بدون غضاضة ولا تعال أو منة !

أما دور المواطنة الكويتية في هذه المحنة ، فقد كرست له تقريراً خاصاً ، لأنه يستأهل ذلك . وأكثر ! ومن هنا خصها المبدعون بهذه الشهادة التي تقول :

---

(1) يخم : يكنس .

نذر عليّ ما اقرب الحمرة
ولا العطور
ولا البخور !
إلا إذا زال الغزو
وانتهى أمره
كويتية . .
واعرف واجبي
والمحنة .
اعرف وشتبي !
ومهما يصير
دوري كبير
وأجمل من الحمرة
ومن ريحتي العطرة
مني وعد . . .
أفدي حياتي للبلد
ونذر عليّ ما اقرب الحمرة !

ولأن هذه الأعمال الغنائية ـ كما أسلفت ـ خارجة من رحم المحنة ومعاناتها ، فمن البدهي أن يتذكر المبدعون اخوتهم الأسرى في سجون النظام العراقي الغاشم :

اسمعني . .
اسمع يا أسير
أنت أبد . . منت الأسير !
أهو الأسير
وأهو الضرير

والظلم لا بد له أخير
اللّه معاك . .
بشدتك . .
وبوحدتك

أما المشاهد المأساوية لحشود النازحين الكويتيين الفارين من بطش وإرهاب عصابات قمع النظام العراقي الظالم المستبد . . فقد انفعلوا بها بشدة سيما وأن محطات التلفزة العربية والأجنبية ظلت تعرضها يومياً وكأنها مسلسل درامي مأساوي مدرج في الدورة البرامجية لكل محطة . . وهاك بعض ما قالوه :

عند الحدود . . .
مقدر أودعهم واعود
أمي . . وأم عيالي
. . هم شمس الوجود
وعيالي . . في دمي
وفي صدري ورود !
كل المعزة بس لهم
في قربهم كل الوجود
وفي بعدهم مالي وجود
عند الحدود . . .
مقدر أخليهم واعود
لا يا وطن لازم أعود
أنت المحبة ولك بكل شيء أجود
لازم أعود
لازم أعود
لازم أعود

ولا تسألني كيف عبّـر الشباب عن صوت الشعب ولسـان حالـه الرافض لـلاحتلال الغاشم وممارسـاته الارهابية الاجراميـة ! يكفي أن تقرأ معي هذه المقاطع وتـزأر بها ، كما فعل الشعب الكويتي والاخوة المقيمين :

جـانـا الـذيب . . جـانـا الـذيب
خـــرب في الــديـــرة تخـــريب
عـض الطيب . . بعـــد الطيـب
شطب ع الـــديـــرة تشطيـب !
جـانـا الـذيـب وجـاب اصـوره
كـــاشخ لابس نـــافخ صــدره !
مـــا يـــدري هـــا الأرض الحـــرة
عنهـــا الشمس مـــا يـــوم تغيب !
جـانـا الـذيب مكشـر حـاقـد
طـالع صـوب الشعب الصـامـد
ردينـا قلنـا اللّـه يسـاعـد
هـالـديـرة وكـل ظنـه يخيب
جـانـا الـذيب سـوى عصـابـة
بـاق وعضض جنـه بغـابـة !
مـا فكّـر . . مـا حط بحسـابـه
على بـالـه الـدنيـا تشـريب !
جـانـا الـذيب بحقـده ونـاره
مـا خـلا بيت وسيـارة
مـن أول نسمـع بـأخبـاره
فنـي فـي وقـت التعـذيـب !
جـانـا الـذيب ودش الجبـرة
مـا خـلا ميـوه ولا خضـره
كل البيـاعـة مـن الخكـرة
فـوضى من بعـد التـرتيب !

وأخيراً ، فإن مسك الختام لهـذه الأعمال الغنائيـة التي لم أعرض إلا لمقاطع من بعضها . . تتجسد في هذه الأهزوجة :

جـابـرنـا واعـدنـا وعـد
جـابـر والبـابـا سعـد
يجيب الصـوغـة بـالتـدبيـر
يجيب الصـوغـة بـاللي يصيـر
حـق الكبيـر . .
حـق الصغيـر . .
وصـوغتنـا تكـون التحـريـر

***

الصوت والفعل .. والأغنية الوطنية

حين عـزمت على دخول الكـويت المحتلة فـوجئت بـالاخوة الـذين يعرفـون بنيتي يحملوني بعض الأطعمة والمواد التموينيـة لكي أوزّعها على أشقائهم هناك . . والمفاجأة ليست هنا بـل في رسالة صـوتية تعبـر عن انفعال بعض الفنـانين الشباب لمحنـة احتلال الكويت[1] . كـانت رسالـة تضم عدة أغـانٍ عفويـة تعبويـة تحريضيـة تختلف ـ شكـلاً وموضوعاً ـ عن الأغـاني الوطنية السائدة والمألـوف سماعها من محطات الإذاعـة والتلفزة العـربية ! لأنهـا تحث على الفعل وتحـرض على المـرابطة والصمـود ، وتهتف بمـواقف الـرفض والاحتجـاج ضـد الاحتـلال العـراقي الغـاشم ، وتتحـدث عن همـوم ومعـانـاة الصـامدين! وذلك من خـلال كلمات بسيطـة مباشـرة عفويـة تضاهي مفـردات قامـوس الانسان العـادي في حياتـه اليومية ! الأمـر الذي يصلهـا بكافـة المستمعين على اختلاف

(1) هذه الصيغة الموحيـة بأن الكاتب تسلل إلى الكويت المحتلة من الخارج اضطـررت إليها تمويها ، لكي لا تعرف السلطة المحتلة بأنني صامد وأكتب وأرسل تقاريري الصحفية من داخل ديرتنا الصامدة ، كما أشرت إلى ذلك في « كلمة لا بد منها » بالجزء الأول من الكتاب .

أعمـارهم وثقـافتهم وأمزجتهم ! ربمـا لأنهـا كلمـات طالعـة من القلب مثل الطلقـة . . ولكونها خالية من العبارات « العنترية » التقليديـة ، المألوفة في الأغاني الوطنية الحماسية السائدة ! أضف إلى ذلك لحنها الهادىء المتناغم مع الكلمات ؛ المؤكد لمعانيها بالأداء الهادىء الصادق ، والإيقاع المتزن البعيد عن التطريب ؛ والخالي من الصراخ والحماس الجاهز الذي تطفح به أغلب أغانينا الوطنية !

إن غالبية الأغاني الوطنية العربية ـ برأيي المتواضع ـ تقتحم الأذن اليمنى لتخرج في التو من الأذن اليسرى . ربما لأنها أغاني « منـاسبات » صيغت بحبر الافتعال الذي يجتر المعاني المفصّلة « بالمناسبة » التي مج الناس سماعها ! ولأنها تضج بالهتاف والحماس الشديدين وكأن حب الوطن والانتماء له لا يتم إلا باستعراض العضلات الصوتية !

ولهـذه الأسباب ـ وغيرها ـــ فإن جل الأغـاني الوطنيـة قصيـرة العمر ولا ينفعل بهـا السامعـون فتمر عليهم مـرور الكرام بدون أن تتـرك أثراً إيجابيـاً البتة ! ومن النـادر أن تجد أحـداً يحفظها ويـردّدها أو حتـى يتذكـر مجرد اسمهـا ! على الـرغم من استمرار وتكـرار إذاعتها طيلة أيام الذكرى الوطنية السعيـدة ! بل إن هذا الالحاح في إذاعتها يزيد من نفور المستمع منها ولا يسهل مسألة وصولها إليه وتأثره بمضمونها ولحنها !

ولعل أبرز عيب في الأغنية الوطنية العربيـة يكمن في أنها تكتب بافتعال لا انفعال ! أي أن المؤلف لا يؤلفها نتيجـة انفعاله بموقف حرضه على الابـداع لكنه « فصلها » امتثالاً لتكليف الإذاعـة المـوسمي ، وسعياً لـلارتـزاق من المنـاسبة الاحتفـاليـة ! دع عنك تلك النوعية المتطفلـة على الفن الغنائي التي تقتحم الميدان من باب « حشـر مع الناس عيد » معتمـداً على مجـاملـــة وحيـاء القيمين على الإذاعـة الـذين يستحـــون من رفض أغـاني المتطفلين بدعوى أنها « وطنية » ، الأمر الذي يضطرهم إلى إذاعتها على علاتها !

وقـد طافت بـذهني كل الخـواطر السـالفـة وتداعت إلـى ذهني طوال طـريقي من الحدود التي تسللـت منها إلى الكويت ، حيـث كنت أنصت إلى الشريط الغنـائي الذي أبدعه فنانون هواة كهدية وجدانية لاخوتهم الصامدين في دولة الكويت المحتلة .

وحين وصلت الكويت فـرح الاخوة بالزاد المعنـوي أكثر من فرحتهم بالـزاد المعوي والمواد التموينية ! الأمر الذي جعل الشريط الغنائي ينتشر بين كافة الناس في غضون أيام

قليلـة . . على الرغم مـن أن غالبيتهم لا يسمعون ــ منـذ بدايـة المحنة ــ سوى الأخبـار والتقـارير والتعليقـات والندوات السيـاسية فقط ! فقـد كفـوا عن سماع الأغاني ــ بكافـة أنواعها ــ ليس لأن مناخ المحنـة لا يسمح بمثل هذا التـرف فحسب ، بل لأنهم يدركـون بأنها ليست في مستوى المحنة وهمومها ومعاناتها . . الخ . وحين أتيح لهم الاستماع إلى النشيد والأغنيـة المحرضـة على موقف المرابطـة وفعل الصمود والمقـاومة . . الخ ، مثل الأغـاني التي أبـدعهـا الهواة وجلبتهـا معي من الخـارج . . انجـذبـوا إليها وسعـدوا بهـا لإحساسهم بـأنها ولدت من رحم المحنـة ولادة عفويـة طبيعية بـدون الحاجـة إلى الولادة القيصرية التي تحتاجها الأغاني السائدة !

من هنا أتمنى على اخـوتنا مـدراء محطات الاذاعة والتلفـزة واستوديـوهات تسجيل الأشرطـة « الكاسيت » ترويج هذه الأغـاني المميزة على كافة المستمعين العـرب ، لأنهـا تستحق ذلك . . سيمـا أنهـا تغني عن عشـرات الأغـاني والبـرامج والخطب والتعليقـات الناريـة التي لا تؤدي إلى طائل أو تأثيـر تعبوي إيجـابي تحريضي ! فنشيد « المـارسيلز » صار النشيد الـوطني للثورة الفرنسية وأغنيـة « اللّه أكبر فوق كيـد المعتدي » رددها الشعب العربـي المصري واخـوته العرب إبـان العدوان الثـلاثي على مصـر عام 1956 وما زالـت الأغنية حاضرة في ذاكرة ووجدان الجماهير . . لنفس الأسباب التي سبق ذكرها .

وطوال الأسبوعين اللـذين أمضيتهما هناك كانت الأعمال الغنائيـة الوطنية تلعلع في مسجـلات السيـارات وداخل البيـوت والـدواوين . . وتـزغـرد بهـا المـواطنـات وهن في المطبخ . . وهن يحضّرن الطعـام . . ويهتف بها الصبيان والأطفال بجـذل وحماس . . وينصت إليهـا الشباب بـوجـد وشجن واضحين ! وأحسب أن دلالـة شيـوع هذه الأغـاني وتـواصل الناس معهـا لا تحتاج إلى الكثيـر من التعليق والتحليل . حسبي القول في هـذا السياق انها عزفت على الوتر الحساس المشدود بهموم ومعاناة ومواقف الصامدين ! فضلاً عن إحساسك ـ كمستمع ـ بأنها خارجة من رحم محنة الاحتلال !

وتجـدر الاشـارة الى أن هـذه الأغـاني الـوطنيــة قـد تم تسجيلهـا ثـانيـة في أحـد استديوهـات القاهرة بنفس الأصوات التـي أدتها وقد تكفلت الانسانـة الخيرة : أم مبارك : الدكتورة سعاد الصباح بمصاريف انتاج الاغاني جزاها الله خيراً .

محنة الاحتلال في وجدان الشعراء

شعر سعدية مفرح

محال

محال أوقف في طوابير الحدود
محال أتحْمّل اهانات الجنود
حتى لو الأرض صارت لي قيود
محال أعبر الحدود
محال استجدي تراخيص العبور
قبل ما ترجع بلادي أو أثور
حتى لو الأرض صارت لي قبور
محال استجدي العبور
محال اقبل الواقع واظل
راضي ، او إني أمِلْ
حتى لو الأرض صارت لي حبل
محال اتعب او أكِلْ
محال اطلع من بلادي إلْكويت
محال لو ما ظل فيها اي بيت
حتى لو الأرض صارت ديناميت
محال اطلع من الكويت

مثل ابراج الكويت

مِثِلْ ابراج الكويت
مِثِلْ نخلةْ بوسط بيت

راح اظل شامخ انا
راح اظل صامد انا

راح اظل عاشق انا

لَجِلْ اسمج يا كويت

مثل جسر الخالدية

مثل شط السالمية

راح احارب للابد

بالعتاد والعدد

ولَجِلْ حرية البلد

راح أحمل بندقية

مثل رملج يا صحاري

مثل مايج يا خباري

فوق ارضي راح اظل

ما اهادن أو أمِلْ

ما أساوم أو أكِلْ

حتى احقق انتصاري

مثل حزنج يا مدينة

مثله أو أكثر حزينه

بس، مو وقته الحزن

هذا بس وقت الوطن

اليوم لازم مو غدا

نحرر بلادي الحنونه

كويتيين

كويتيين ما نرضى تدوس الأرض دبابه
نهاب الله وغير الله لا والله ما نهابه
كويتيين ولا نضيع وطنّا وحنّا طلاّبه

كويتيين من ديرتنا لا والله ما نطلع
بكل اصرار نظل احرار نظل ثوار ما نخضع
برغم النار والاشرار، بعزمنا كويتنا ترجع

كويتيين كلنا اليوم من خيطان الى الجهره
من الجبلة ، من كيفان وفحيحيل والسرة
من الدوحة ومن دسمان ونويصيب ومن بوبيان والنقرة
كويتيين ، كويتيين
نظل دايم كويتيين

اسمع يا عالم

سامع يا ذا العالم ، اسمع
يمكن نِعرىٰ أو ما نشبع
يمكن نُذبح أو نتقطع
يمكن ، يمكن ، كل شي يمكن
لكن ابدا لا ما نخضع

اسمع يا ذا العالم واعلم
يمكن نشرب مر وعلقم

أو نتشرد أو نتألم

يمكن، يمكن، كل شي يمكن

لكن أبداً ما نستسلم

اسمع يا ذا العالم حيل

يمكن نتعرض بالليل

للارهاب وكل الويل

يمكن، يمكن، كل شي يمكن

لكن لازم نصبح سيل

اسمع يا ذا العالم زين

يمكن نصبح معتقلين

يمكن ناكل زفت وطين

يمكن، يمكن، كل شي يمكن

بس نظل كويتيين

لا تحاول

غزوك لنا باطل

وفكرك ترى عاطل

ارجع ولا تماطل

لا، لا، لا، لا تحاول

غزوك سبب عارك

وبتحرقك نارك

وقهرك ملا دارك

لا، لا، لا، لا تحاول

غزوك علينا عيب
من غير شك أو ريب
وانته مثل أي ذيب
لا، لا، لا، لا تحاول

ظلمك ترى معتاد
والشاهده بغداد
ارجع بلاش عناد
لا، لا، لا، لا تحاول

ارجع ترى نهينك
ونعلمك دينك
وندوّر عليك وينك
لا، لا، لا، لا تحاول

أخيرك ترى طالع
من غير شيء خاضع
وجدامنا راكع
لا، لا، لا، لا تحاول

بتلقى جزا ظلمك
وبيحترق دمك
وكلمن يجي يغمك
لا، لا، لا، لا تحاول

بتطلع من السره
وأيضا من الجهره
ويمكن من البصره
لا، لا، لا، لا تحاول

برقية

يا كل شعوب العالم
يا كل شعوب الأرض
من شعبٍ كان مسالمْ
والحب لديهِ فرض
نكتب لكمُ برقيهْ
نشرح فيها القضية
وقضيتنا :
أنَّا كُنّا

نؤمن بالأمة العربية
نؤمن بالوحدة القومية
وبكل بكلِ طيور الحرية

لكن الطعنة ، يا للعارْ،
جاءت من جارٍ غدارْ
تحمل بصمات وحشيهْ ! !

رسالة من طفلة إلى أبيها المعتقل

أبي
أيها المعتقل
أبي ، أيهذا الأمل
إذا كنتَ حيّاً وعني تَسَلْ
فإني بخير

ومازال وجهي الصغير جميلاً
ومازال «بابا» بعينيَّ حلماً جليلاً
ولكنني قد كبرتُ قليلاً

وصرتُ ككل «عيال» الكويت
نقاوم من كل حي وبيت
نحطم أعصاب كل الجنود
نغني لهم في برود :
تعود الكويت تعود

أبي ، في سجون العدو
أيا شامخاً بالغاً في العلوّ
إذا كنت تخشى العدو عليّا
فلا تخشى شيئا
فليس هنالك أشهى
من أن اقاومهم بيديا
وليس هنالك أبهى
إذا جاءوا إليا
من أن أقول لهم
بأنك كنت تقاومهم
وانهمُ اسروك
وانهمُ اعتقلوك
وانهمُ عذبوك
وانهمُ قد نسوني هنا
شوكة في حلقهم
اغني لهم بصحبة كل «عيال» الكويت
نموت ، نموت وتحيا الكويت
نموت ، نموت وتحيا الكويت

الكـــويتُ الحّـــرةُ كـــانت لنـــا — والكـــويتُ الحـــرّة تبقىٰ لنـــا
هي مـن عمـرِ الـــزّمـانِ أرضنـــا — نفتـــدي الأرضَ الطَّهـــورَ كلُّنـــا
نحنُ شعب الكـويـت عنوان الفـدا — لا نَهـابُ المـــوت أو نخشى الـرّدىٰ
إن دَعـــانـــا الحقُّ لبَّينـــا النّـــدا — الكـــويتُ الحّـــرةُ تبقىٰ لنـــا
قـــد صمـــدنـا وتحـــدَّينـا المحن — واشتـــرينـــا بـــالفـــدا أغلىٰ وطن
ورفعنـــا صـــوتَنـــا فـــوق الفتن — الكـــويتُ الحـــرةُ تبقىٰ لنـــا
قـــدَّرَ اللـــهُ ومـــا قـــدَّرْ فَعَلْ — لا اعتـــراضُ لا قنـــوطُ لا مَلَلْ
بـــالنِّضـــالِ الحـــرِّ وأحـــلام الأمل — الكـــويتُ الحـــرةُ تبقىٰ لنـــا
نهتـــدي بـــاللـــهِ في أرواحِنـــا — نـــرتقي بـــالصَّبـــرِ فـــوقَ جُـــرحِنـــا
فيغنّي المجـــدُ فـــوقَ ســـاحِنـــا — الكـــويتُ الحـــرةُ تبقى لنـــا

الكـــويت في الأزمـــة — يبقـىٰ لهـــا كلمـــه
وشعبهـــا الصّـــامـــد — همّـــه على همّـــه
السّنـــة والشيعـــة — إتجـــدّد البيعـــة
وتـــرابهـــا الغـــالي — بـــالغـــالي مـــا نبيعـــه
الظـــالـــم نـــردّه — عـن مقصـــده وودّه
مـــا يفـــرح بيـــومـــه — دام الشعـب ضـــدّه
مـــا نقبـل بحكمـــه — أو نـــرضـخ لظلمـــه
ونخلّـي القمـــره — فـي ليلتـــه ظلمـــه
لعيـــون مـــوطنّـــه — صمـــودنـــا جِنّـــه
وبحـــاجتـــه حقنـــا — مـــا نبتعـــد عنّـــه
الـــدّيـــره محميّـــه — بـــاللـــه والنيّـــه
والنجـــم لـــي غيّـــب — إبيـــرجع بضيَّـــه

الشاعر: يعقوب ع الرشيد

قانون الجنسية والمستقبل

بدون حرج ولا زعل!

في مصر المحروسة « القر والحش » والهذرة من الهوايات الوطنية العريقة . . ويبدو لي أنها عادة موروثة عن الفراعنة « بدليل » إقامة الفراعنة للتمثال المعماري الهائل لـ « خوفو » الصامت جزاءً وفاقاً على مقته للقر وكراهيته « للحش » والنميمة وحبه للتأمل والاستماع والصمت الأزلي !

ويبدو لي أن السؤال « صنع في مصر » ولذا تجده يتدحرج ـ بسهولة ـ من لسان أي عابر سبيل أو رفيق قعدة مقهى أو لصيق مقعد في « الأتوبيس » أو القطار . . وهكذا .

ومن هنا لم أعجب حين وجدت السؤال عن الجماعة التي تقطن الكويت وهي « بدون جنسية » كويتية . . وبخاصة بعد أن راحت أجهزة الاعلام الغربية والعراقية والمتعاطفة معها تطرح مسألتهم بصيغ طافحة بالإثارة والبلبلة والخلط والتعميم والمبالغة .

وحيثما حللت كان « البدون » حاضرين ! وساعتها تتدفق الأسئلة (يعني ايه بدون ؟ تعال هنا . . ايه حكاية البدون دول ؟ الا قل لي يا حضرة هما البدون دولم نبات شيطاني . . ولا نزلوا عليكو من السما ؟ ! أما انتوا حكايتكو حكاية . . دي ـ لا مؤاخذة ـ

بدون ؟! تصدق باللّه يا حج . . اني لما اتفرجت على فيلم « الحدود » بتاع الجدع الشامي اللي اسمه « دريد لحام » تصدق أني قلت لنفسي ده تخريف . . وحاجة مش ممكن تحصل في الواقع !) .

ولأن العبد للّه لا يفقه في السياسة المحلية ، ولا المستوردة فقد وجد نفسه ـ وسط هذه الأسئلة ـ في حالة حيص بيص لا يغبط عليها .

إن قضية الـ « بدون » ليست مجرد ظاهرة تخص جماعة من البشر المقيمين في الكويت بدون جنسية ، بل إنها في اعتقادي المتواضع تتجاوز حالة فئة بدون الجنسية لتشمل شتى مناحي الحياة في الديرة .

ألست معي بأن بلادنا « بدون » خطة ولا فلسفة في التربية والاقتصاد والسياسة والأمن . . وما الى ذلك ؟!

فلو لم تكن « بدون » هذه غائبة عن قاموس حياتنا السياسية والادارية والقانونية . . الخ ، لما نشأت عندنا مشكلة فئات بدون الجنسية الكويتية . وربما تجد في هذه المقولة تبسيطاً وتسطيحاً « للقضية » . . ليكن ذلك . . فنحن (لاحظ صيغة التفخيم) اعترفنا بداية بجهلنا . . لذا نأمل قراءة المكتوب على علاته . حسبنا أن نخوض في هذه المسألة وفق حدود معرفتنا بها . . وتحليلنا البسيط والمسطح . . إن شئت !

والآن نجد من حق القارىء أن يتسكع معنا في أضابير وملفات الاقامة والجنسية في الكويت الحديثة .

***

بدعة التأسيس والتجنيس!

● في كويت ما قبل النفط لم يكن هناك بطاقة مدنية وهوية جنسية مقننة . . كان الكويتي يحمل شهادة من الحاكم تفيد بأنه من التابعية الكويتية . وكان التنقل والاتجار بين سكان منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية يتم بسهولة ويسر خاليين من تعقيدات

التشرذم العربي الذي أخذ في النمو والازدياد مع عهود الاستقلال وخروج المستعمرين من الأقطار المستعمرة .

وكان المألوف ـ آنذاك ـ أن يحمل المواطنون في هذه المنطقة شهادات بالتبعية الى أكثر من قطر عربي . فكنت ترى الكويتي ـ مثلاً ـ يحمل جواز سفر ـ أو ورقة مرور ـ سعودية أو بحرينية . وكانت الأسرة الواحدة موزعة أقامتها بين السعودية والكويت والزبير والبصرة وقطر . . وغيرها . ولم يكن ينظر الى هذه الظاهرة على أنها تمثل ازدواجية في المواطنة والانتماء الى الوطن الأم .

ومع تفجر آبار النفط ونمو المحاولات الحثيثة للانتقال من صيغة الدولة القبلية الى دولة المؤسسات . . بدأت تتوارى شهادات المرور وجوازات الورقة الواحدة وأخذت تظهر ادارات خاصة للجوازات والسفر والاقامة . ومن ثم أعقبها نشوء دائرة خاصة بالجنسية في أواخر عقد الخمسينات . . والبلية أن هذه الادارات تسببت في ظلم الكثيرين الذين يستحقون الجنسية الكويتية . . ولكن المعايير التي وضعتها لجان الجنسية لم تكن بمنأى عن الهوى والخطأ وغيرهما . الأمر الذي نشأ عنه مفارقات « مواطنية » غريبة بحيث تجد الأسرة الكويتية الواحدة كويتية الجنسية وبدون جنسية . . كأن تجد نصفها كويتياً ونصفها الآخر بدون ! والغريب أن هذه المفارقة تركت بدون حل وحسم لعل الزمن يفعل ذلك . . كما هو دأبنا !

وزاد طين قانون الجنسية بلة بدعة الكويتي بالتأسيس والكويتي بالتجنيس . . حيث خلقت هذه البدعة وضعا عنصرياً يفرق بين مواطني (الأسرة الواحدة) ! فنشأ عن ذلك ما تعارف عليه بالكويتي فئة أولى . . والكويتي فئة ثانية . أضف إلى ذلك حملة الجوازات الكويتية ـ لسبب أو لآخر ـ الذين يعتقد المرء ـ لأول وهلة ـ بأنهم كويتيون . . لكنهم غير كويتيين !

ولم يكن ثمة مبرر لهذه التفرقة . . سوى أنها كانت تصم بلادنا بما يشبه السياسة العنصرية المرفوضة من العالم كله . .

وإذا وضعت هذه الثنائية « الجنسية » في سياق السياسة ـ أو بلا سياسة ـ السكانية لوجدت نفسك أمام قانون للجنسية والجوازات وحيداً فريداً شاذاً لا يضاهيه قانون

للجنسية والجوازات في أي بلد في العالم .

فمع تقادم السنين امتلأ القانون العتيد بالرتق والترقيعات حتى صار مثل دراعة مجذوب درويش لا تعرف لها لوناً ولا أصلاً ! وسياسة الترقيع نتج عنها وجود خلطة من « الجنسيات » الكويتية بدرجات متفاوتة من الامتيازات والحقوق والواجبات والمفارقات والمعوقات والسلبيات والعقد والمشاكل والمآسي . . وما خفي أنكى وألعن !

إن القضية الجوهرية ، في اعتقادي ، تكمن في غياب السياسة السكانية الواضحة الأهداف والغايات . وبهذا المعنى فإن ما يسمى مشكلة « البدون جنسية » تعد نتيجة للسياسة السكانية المزاجية الترقيعية ! لأنه لا أحد في الدنيا بدون جنسية .

إن ظاهرة التسلل الى البلاد خلسة ، عبر دروب غير شرعية معروفة ، وحاضرة في العديد من الدول الغنية المجاورة لدول فقيرة تعيش على الحديدة وعلى باب اللّه ، وتعاني من البطالة وبلايا الفقر . فلعلنا نتذكر الأفلام الروائية الأوروبية والأميركية التي عالجت مسألة تسلل طلاب العمل من المكسيك ـ مثلاً ـ الى الولايات المتحدة الأميركية . . ولم تنشأ هناك ـ بطبيعة الحال ـ ظاهرة البدون جنسية . . لأن في الولايات المتحدة قانوناً للسكان واضح الغايات ، عادل المواصفات والمعايير والشروط للراغبين في الجنسية والدراسة والسياحة والعمل . . وما الى ذلك .

***

الجنسية لمن يستحق

لا حاجة بنا الى القول بأن قانون الجنسية ـ في أميركا ـ قانون حازم حاسم أمام من يخالفه ويخرج عليه . فالذين يتاجرون بتهريب العمال ، عبر الحدود ، ينتظرون العقاب الرادع . . والذين يوظفون العمالة غير الشرعية بأجور ضئيلة مستغلين حاجة العمال الى الشغل يعاقبون بشدة . . بغض النظر عن أي اعتبار !

والذي لا يعرف كيف نشأت مشكلة « البدون » هذه يظن أن جميع المنتسبين الى

هذه الفئة نبت شيطاني بدون أصول ولا جذور ومجهولي الهوية والنشأة . . ويحسب أنهم جميعاً دخلوا البلاد خلسة وبطريقة غير شرعية . . وهذه النظرة خلطت الحابل بالنابل بحيث إن صفة « البدون » صارت تنسحب على المعروف والمتنكر . . بحيث إن العربي الذي وفد الى الديرة منذ خمسين سنة ـ مثلاً ـ وعمل فيها موظفاً أو تاجراً وتزوج داخل حدودها وخلف العيال الذين تربوا وتعلموا في حضنها ويقطنون المناطق السكنية وسط أهالي الديرة وجوارهم ولم تصدر بحقهم طيلة اقامتهم الطويلة نسبياً ما يشين مسيرتهم الحياتية والمهنية والسلوكية . . بل إن بعضهم نال شهادة تزكية و« أنواط » تقدير وتقارير مشرفة طوال حياتهم الوظيفية . إن هذه النوعية من الأخوة الوافدين منذ مدة طويلة لا يمكن وضعهم وخلطهم في سلة واحدة مع فئات « البدون » الذين تسللوا الى الديرة في السنوات الأخيرة بطرق وأساليب ليست خافية على الجهات المختصة .

والحق ، أن سياسة الحكومة تجاه الوافدين المقيمين منذ عدة عقود غير مبررة . . وأكاد أقول عبثية . . لأن أبناء هؤلاء الوافدين القدامى ولدوا هنا وتمتعوا بكل مميزات المواطن . . فتعلموا في مدارس الكويت ومعاهدها . . والعديد منهم أكمل دراسته الجامعية في جامعة الكويت وغيرها . .

وصار منهم المهندس والطبيب والمدرّس والمحامي والصحفي والضابط في الجيش أو البوليس . . الخ . ولا يمكن لأي أحد أن يميزهم عن المواطن لهجة وروحاً وهوية وولاء وانتماء .

وحتى لا نروح بعيداً ونبدو كمن يلقي الكلام على عواهنه . . يكفي أن نحيل المراقب المنصف الى موقف المقيمين القدامى إبان محنة الاحتلال الغادر .

فعلى سبيل المثال ، فإن هذه الفئة التي تقيم في المساكن الشعبية ـ أو الشعبيات ـ كما يسمونها في محافظة الجهراء . . أثبتت ولاءً وانتماءً وقدمت تضحيات وعطاء لا يقل عن المواطن بالتأسيس حسب توصيف قانون الجنسية . فقد كان منهم الشهداء والأسرى والعسكريين ورجال المقاومة والمختفين عن عيون السلطة الأمنية المحتلة لأنهم مطلوبون بحكم طبيعة المهن التي يعملون فيها .

ولعلهم أكثر الصامدين معاناة وعرضة للموت والسلب والاعتقال . . الخ ، لكنهم

ثبتوا وصبروا وصمدوا ولم يرضخوا للتهديد أو يسقطوا في مستنقع الاغراء الطافح بالخيانة والغدر ، وهذا الموقف الذي اختاروه لم ينشأ من فراغ . . بل هو نتيجة منطقية لاختيارهم واحساسهم بأنهم كويتيون بالاختيار . أي نعم ، هم لا ينكرون وطنهم الأم الذي وفدوا منه . . لكن الأجيال الجديدة منهم والتي ولدت وتربت وتعلمت . . ومن ثم انخرطت في السلك الوظيفي بشتى تخصصاته . أقول بأن هذه الأجيال خرجت من رحم الكويت تكوتت بالعاطفة والانتماء والعطاء والفعل . ولم يعد يربطها بالوطن الأم سوى أحاديث الذكريات التي يجترها الأجداد بين حين وآخر .

إن جميع الكويتيين ـ بمعنى من المعاني ـ (وافدون) من موطن الأجداد ، وهذا يفسر كيف أن العديد من الأسر الكويتية ما تزال حاضرة حتى الآن في العديد من الديار العربية الخليجية . . بحيث تجد نصف الأسرة الكويتية من مواطني السعودية أو البحرين أو قطر . . الخ . . مثلاً .

ومن هنا فإن الكثيرين من الكويتيين بالولادة والانتماء ، الذين فشلوا في الحصول على الجنسية ، اضطروا الى النكوص الى موطن الأجداد . والحق أنهم لم يخسروا شيئاً ، لأنهم تجنسوا هناك بدون العقد إياها . وليس سراً بأن المئات من الجامعيين ذوي التخصصات المختلفة ، اضطروا الى مغادرة الكويت ، بعد أن أعيتهم الحيلة وضاقت بهم السبل . وبهذا المعنى خسرت ديرتنا عشرات الأطباء والمهندسين وشتى أصحاب التخصصات بفعل عبقرية قانون الجنسية « الطيب الذكر » ما غيره !

ولا تسأل ، في هذا السياق ، لم سمح لهم بالولادة على أرض الكويت ، واكتساب أغلب المزايا والحقوق التي يتمتع بها المواطنون ؟ فهل تعرف بلداً في العالم تصرف على المولود فيها من ساعة ولادته الى حين تخرجه في الجامعة . . ومن ثم تفرط فيه بسهولة ولا مبالاة ؟ ! وكأنه لم يولد ويعالج ـ مجاناً ـ في مستشفياتها . . ويتعلم ـ مجاناً أيضاً ـ في كافة المراحل الدراسية ؟

وبالمناسبة ، أعرف طبيباً ماهراً اضطر الى التخلي عن وظيفته ، وموطن ولادته ومسقط رأسه ، وملعب طفولته وصباه ؛ لأن حضرة قانون الجنسية « المنزل » لم يتنازل ، فيمنحه شهادة الجنسية الأولى « بالتأسيس » لأن والده سقط في الامتحان الشفوي الذي

كانت تعقده لجان الجنسية ! يستاهل ! والحق عليه ، فقد كان حرياً به أن يسهر الليالي ليحفظ المعلومات الفولكلورية المفحمة . . التي يكرم الانسان أمامها أو يهان . . حسب حظه ، وقوة حافظته واجادته الحديث « باللغة » الكويتية ، ومعرفته لرموز الحياة الكويتية وطقوسها . . الخ . . قبل النفط !

ومن هنا تباينت « نتائج » الأسرة الواحدة في « امتحان » شهادة الجنسية الكويتية ! فالبعض صار مواطن درجة أولى . . والبعض الآخر حصل على شهادة الجنسية ذات الدرجة الثانية . . كما هي معروفة حركياً في الأوساط الشعبية ! والبعض الثالث سقط في امتحان الجنسية . . لأنه لم « يذاكر » كيف يعتمر « الغترة » وفق طريقة البحارة ! أو لأنه فشل في نطق بعض الأسماء وفق « اللغة » الكويتية القح ! وما إلى ذلك من الأسئلة « المفحمة » التي صارت معيناً للتفكه والتندر بين أوساط الكويتيين ذاتهم الى يومنا هذا !

والعبد للّه لا يطالب منح الجنسية لكل من هب ودب . . كل ما في الأمر أنه يتمنى سحب الجنسية واسقاطها عن قانون الجنسية ذاته . . لأنه ـ صراحة ـ من عجائب الدنيا الشاذة . . فضلاً عن أنه يسيء الى البلاد ويظلم العباد ، بدون مبرر ووجه حق . بل إنه صار سبة ووصمة عار توصم به الديرة من قبل المنظمات والدول والمحافل المعنية بحقوق الانسان . ولعلنا لم ننس بعد كيف أنه كان الموضوع الأثير للصحفيين طوال فترة محنة الاحتلال الغاشم . . الى درجة أن أجهزة الإعلام والدعاية المحتلة لم تكف عن نشره كغسيل قذر لدولة تزعم أن معمارها الحديث قوامه المؤسسات الدستورية والتشريعات العادلة .

وقد حاول « الأخوة الأعداء » الصيد في الماء العكر لقانون الجنسية ؛ لأن غرابته وشذوذه ونتائجه المأساوية تشكل سلاحاً خطيراً لمحاربة مجتمع « الأسرة الواحدة » وكويت العرب التي كانت معروفة بين أهاليها في عقد الخمسينات بلقب « الكويت . . بلاد العرب » الى درجة أن هذا الشعار كان يطرز دفاتر التلاميذ ومظاريف المكاتيب وأوراق الرسائل الشخصية والمكاتبات الادارية الرسمية وغيرها .

إن القضية السكانية ، في الكويت ، لا يجوز التعامل معها بخفة ومزاجية ومعايير شخصية غير موضوعية . . ولا بد من حسمها وفق المصالح الحقيقية للبلد ، بمنأى عن

العقد العرقية والترقيعات الآنية التي تزيد طين المشكلة بلة وخطورة .

لقد أثبتت محنة الاحتلال الغاشم بأن المواطنة والانتماء للكويت ليست منوطة بشهادة جنسية « درجة أولى » بل إنها فعل وسلوك وواجبات وعطاء وتضحيات . فمحك المواطنة ليس « الشهادة » بل الاستشهاد . . !

***

خلط الحابل بالنابل لماذا؟! إلى متى؟!(*)

اعرف ـ سلفاً وبداية ـ بأن القضية التي سأعرض لها شديدة الحساسية والحرج، وربما بعد طرحها من الممنوعات والمحرمات غير المرغوب الخوض فيها! والحق ان هذا التحفظ التقليدي لا معنى له. مادامت القضية مطروحة بشدة سلوكاً وممارسات واجراءات يتمخض عنها يومياً مآس عبثية لاانسانية، قد تشين الديرة، وتسيء إلى صيتها وسمعها الزينة، التي كسبتها بمواقفها وأفعالها الخيرة وما إلى ذلك .

ان المسألة وما فيها تكمن في ان هناك اتجاهاً وسياسة لحماية الديرة من الذين يشكلون خطراً على أمنها . . . وهو اتجاه ضروري ومشروع، ولا غبار عليه البته . لكن (وآخ من لكن هذه) يبدو اننا في غمرة غيرتنا، واحتشادنا وحماسنا لحماية الديرة، خلطنا النابل بالحابل . . . ! فصرنا نجازف بتعميم وصمة الخطأ والخطيئة على الفئة والجماعة كلها . . . مع أن المخطئين والخطائين يمكن معرفتهم، وفرزهم بدون عناء .

ان العبد لله يعتقد بأن تصدينا لمشكلة ما يسمى «بدون» جنسية، فيه خلط وتجاوز لا مبرر لهما بكل المقاييس والاعتبارات .

(*) كان يفترض نشر هذه المقالة في صحيفة القبس الكويتية لكن رقيب و«مكتوبجي» وزارة الإعلام وأدها بمقبرة الرقابة جهاراً نهاراً!!

وقد افهم تماماً الاجراءات المتبعة لعزل الصالح من الطالح. . . لكن الذي لا أفهمه هو أن يكون «البدون» الذين أثبتوا بالعطاء والتضحية ابان الاحتلال وقبله وبعده. محل شك وريبة وتردد في منحهم الجنسية الكويتية!

فقد كنت ـ وأمثالي ـ أظن بأن هؤلاء «الكويتيين» بالفعل والسلوك، ليسوا بحاجة إلى تزكية وواسطة، من أي مواطن أيا كان مركزه وسلطته. . . الخ! لأن فعل هؤلاء «الكوايتة» يزكيهم ويغنيهم عن شهادة أي شاهد!

والحق ان هذه النوعية الطيبة من «البدون» ليست ـ صراحة ـ بحاجة إلى هوية المواطنة الكويتية، وبطاقة وشهادة الجنسية. . . لأنها كويتية بالفعل والموقف والسلوك والانتماء. : وغير ذلك من القيم والأفعال المجسدة لسلوك وفعل المواطن الصالح، المغرم صبابة بديرته، المترجم هذه الصبابة إلى فعل وعطاء لا حد لهما!

من هنا نقول: بأنه لا يجوز التعامل مع قضية «البدون» بمنطق خلط الحابل بالنابل. . لأنه منحنى ظالم وغير عادل فضلاً عن تأثيره السلبي على هذه الفئة المظلومة بجريرة فعلة قلة شاذة.

لقد كنا نقول لهذه الفئة الطيبة من الكويتيين بالفعل ـ أثناء الاحتلال الغاشم ـ بأن ساعة تجنيسكم آتية لا ريب فيها. ! لأن الديرة التي غدر بها بليل، لا يمكن أن تنسى من رابط مع أهلها، وشاركهم العذاب والقمع، والارهاب والاعتقال، وشتى أصناف المعاناة، أيمكن لديرتنا الطيبة ظلم هذه الجماعة الطيبة، التي ضحت من أجل الكويت، بالنفس والنفيس، فخرج من رحمها المعطاء: الشهيد، والأسير، والمقاتل، والمجاهد، والمعتقل، والمفقود، تماماً تماماً. . . مثل أي أسرة كويتية «بالتأسيس»!

ان الأنباء المتواترة عن المعاملة التي يعامل بها «الكويتيون بالفعل» تدلل على حضور سياسة خلط الحابل بالنابل فعلى سبيل المثال عجوز مريض، عمرها 65 سنة محتجزة بالمطار منذ ثلاثة أيام. . . بينما زوجها وعيالها داخل الديرة. . وسبب احتجازها يكمن في عملية الخلط السالفة والسيئة الذكر.

ومنذ أسبوع منعت «كويتية» صامدة من دخول أحد الوزارات. . . لأنها «بدون» جنسية. . ولأن البواب «عبد المأمور» وينفذ التعليمات وليس من شأنه الفرز. . . حسبه أن

يطبق «القانون» الأعمى وبس ولا يحفل إذا كانت الممنوعة حضرت بناء على دعوة من الوزارة ذاتها! ما علينا . . . ولعل عزاء أخواتنا في الله وفي المواطنة . يكمن في انهم كانوا ـ ابان الاحتلال الغاشم ـ كوايتة قولاً وفعلاً . . وقد كان في مقدورهم الاستفادة من حالتهم كأناس بدون جنسية . . . على الأقل لاتقاء شر المحتلين . . . لكنهم اختاروا أن يكونوا كويتيين! فقد بدلوا بطاقاتهم المدنية بأخرى تشير الى أنهم كويتيون الأمر الذي عرض العديد منهم إلى الاعتقال وتبعاته الرهيبة . ولا أغالي إذا قلت بأن هذه الفئة منهم عانت الويلات بسبب موقفها وفعلها واختيارها المشرف . . . فهل يجوز استمرار معاناتها بعد تحرير الديرة؟!

***



(1)

محنة الاعلام .. واعلام المحنة ![*]

أعرف سلفاً بأن السؤال محرج وحساس ويتردد البعض في طرحه علناً وجهاراً ونهاراً ، عبر وسائل الاتصال والاعلام ، خشية حدوث فتنة تقوّض معمار الوحدة الوطنية التي تبوتقت في مرجل محنة العراقي .

والسؤال هو : ما هي الأسباب والمبررات والضغوط والدوافع التي حرّضت الآلاف من المواطنين والمقيمين على النزوح الجماعي طوال الشهرين اللذين أعقبا الاحتلال العراقي الغادر على الكويت ؟ !

إن نظرة متأملة في المناخ النفسي والمعنوي السائد في أجواء الكويت المحتلة تشي بأن سلطة الاستخبارات باشرت حملاتها وغاراتها النفسية ، منذ اليوم الأول للغزو ، وقد كثفت غارات الحرب النفسية المكرسة لإشاعة البلبلة والرعب والخوف والقلق ، سعياً إلى تحريض النازحين على القيام بعملية « الهروب الكبير » في التو والحال .

ولعل الموقف السلبي من عملية النزوح والتصدي الاعلامي المتواضع ، كانا من أهم الأسباب التي ساعدت على انجاح الغارات النفسية ونفاذ تأثيرها إلى الضمائر

(*) محنة الاعلام . . واعلام المحنة ، كان عنوان افتتاحية العدد الأخير من صحيفة 26 فبراير الذي لم ير النور.

والعقول والوجدان ! سيما إذا علمنا بأن الغارات النفسية المدمرة كانت رديفة وسابقة لعمليات الاعدام الفوري ، والاستباحة الشرسة للأعراض والممتلكات العامة والخاصة ، والمداهمات والاعتقالات التعسفية ، والارهاب والقمع الذي لا يحفل بتعاليم سماوية ، ولا أعراف وتقاليد وقوانين دولية !

وحين نقول بأن عصابات واستخبارات العدو المحتل قد نجحت (بفضل الموقف السلبي من ظاهرة النزوح وبسبب التصدي الاعلامي السلبي) فإننا لا نتجنى على الحقيقة ! فقد لاذت الحكومة بالصمت تجاه ظاهرة النزوح الكبير من الوطن المحتل . وقد فسر الكثيرون من النازحين هذا الصمت على أنه « مباركة » للنزوح من البلد ! أو على الأقل فهمت منه ، أن السلطات الوطنية المختصة ، تقف موقف الحياد السلبي تجاه هذه الظاهرة ! فعلى مدى الشهور الثلاثة ، التي تم فيها النزوح ، كانت إذاعتنا « السرية » تلعلع بالأغاني العنترية الحماسية ، التي تتغنى بالأرض والديرة ! وكان المذيعون يلوكون كلاماً تقريرياً إنشائياً خطابياً عن المقاومة ومحاربة المعتدين . . الخ .

وفي الوقت نفسه ، فإن خدمة البث الإذاعي المباشر تثبط الهمم ، وتحرض المستمعين ـ داخل الكويت على المغادرة والهروب ، وذلك من خلال اطلاق العنان للمواطنين النازحين ، ليقولوا ـ عبر البث المباشر ـ ما يعنّ لهم من الأخبار والمعلومات والتوجيهات دون رقيب أو حسيب !

ومن هنا يمكن لنا القول ـ دون تجن ـ بأن برامج البث المباشر ، المكرسة لرسائل ونداءات المواطنين في الخارج ، قد قدمت خدمة معلوماتية مخابراتية ، لاستخبارات العدو المحتل !

***

إذاعتنا والخدمة المعلوماتية للمحتلين؟!

● ومن خلال الخدمات المعلوماتية لنداءات البث المباشر ، دوهمت منازل ، وصودرت أموال وأسلحة ، واعتقل العشرات من المواطنين والمواطنات ، وعرف العدو المحتل الكثير من الأسرار والمعلومات ؛ وزادت قوافل النازحين وتكالبت على الحدود !

والحق اننا لا نلوم اخوتنا وأهلنا الذين هجوا من البلاد وغادروا منازلهم . . لأنهم

وجدوا أنفسهم بين المطرقة والسندان . . مطرقة الحرب النفسية المروعة والممارسات الاجرامية التي تسبقها وتعقبها ، وسندان الصمت الاعلامي الغريب تجاه ظاهرة النزوح !

والأنكى من ذلك كله يكمن في أن الاذاعة الكويتية واخواتها الخليجيات[1] ، لم يكتفوا بما ذكرته آنفاً ، بل انهم راحوا يثبطون همم المرابطين الصامدين ، ويحرضونهم على النزوح عبر « الاجتهادات » الاذاعية التي خرجت من ألسنة بعض النازحين . . والمذيعين !

ولعلنا نتذكر ـ بتندر مر ـ عينة عشوائية من هذه الاجتهادات للذكرى على الأقل . . كأن نستدعي إلى الذاكرة صوت تلك المواطنة التي راحت تولول ـ عبر البث المباشر ـ قائلة : وينكم ما طلعتوا ليما الحين ؟ لازم تطلعون من الديرة بسرعة . . ليش قاعدين ؟ لا يقصون عليكم ويضحكون على لحاكم بقولة « مرابطين وصامدين » ترى كل هذا حجي « خرطي »[2] وما منه فايدة ! ويعقبها نداء آخر يلعلع بنفس النغمة بتنويعة أنكى وألعن (اسمعوني زين . . احنا خايفين عليكم . لازم تسافروا الحين حالاً . . إن شاء اللّه مصدقين ان الحكومة راح تعطيكم امتيازات وعطايا ؟! صدقوني هذا مو صحيح ! كلها إشاعات يطلقونها الحفاي « الرابطين » في الديرة . وحتى لو كان هذا الكلام صحيح لازم تغادرون . . لأنكم في خطر وشقا ! ويش اللّه حادكم[3] ؟! فيه أحد عاقل يترك الراحة والأمان والعيشة الهنية في السعودية والامارات والقاهرة . . الخ . . ويقعد حبيس المنزل ، وسط موجة القتل والاغتصاب والاعتقال والممارسات الارهابية الاجرامية ؟ فضلاً عن شح الزاد والشراب وغياب الخدمات وحضور البلاوي والأذية ؟

أما « نداءات » الخفة والنفاق ؛ والاسقاط « اللاشعوري » وما إلى ذلك من وسائل وعدة التبرير ؛ التي يصطنع فيها الواحد دوافع نزوحه وهجرته لمنزله ووطنه المحتل . . فخذ عندك مثلاً ذلك النداء الشهير الذي قال فيه المواطن لا فض فوه بأنه (غادر الديرة حفاظاً على عرضه وشرفه) وهذا أمر زين ولا غبار عليه . لكنه حين سأله المذيع

---

(1) باستثناء اذاعتي قطر وسلطنة عمان .

(2) خرطي : كلام فارغ لا معنى له .

(3) حادكم : اضطركم .

لمن تريد أن توجه نداءك ورسالتك في الكويت المحتلة ، قال : (أبغي أسلم على أمي وزوجتي وبناتي وخواتي وخالاتي وعماتي وجدتي و!! زين . . ما قصرت أيها الهمام والحق أنك انسان واصل ! وفي قول آخر . . « واصل حدك » !

ونفس المنحى التبريري ، الذي لا يمت إلى الحقيقة بصلة ، تسمعه ـ والكثيرون سمعوه ـ يقول ـ رداً على سؤال مذيع البث المباشر عن سبب مغادرته ـ بأنه (هج من البلد تاركاً فيها الخونة والجواسيس والعملاء ومن لف لفهم !) .

وأشهد بأن الكثيرين من الصامدين ، كانوا يتندرون على تهريج البث المباشر ، وسقطاته المدوية ، وفضائحه المجلجلة . . بدافع شر البلية ما يضحك !

● وما دمنا فتحنا سيرة الاذاعة الكويتية و« صرعاتها » الاعلامية المدهشة ، فقد يكون من المناسب أن نضع النقاط على الحروف بشأن دور الاعلام الكويتي إبان محنة الاحتلال العراقي الغادر .

بصراحة ، وبدون زعل (كما أتمنى) . . أقول بأن اعلامنا لم يكن في مستوى المحنة ! وإذا كان عامة الناس قد فوجئوا بذلك فإن خاصتهم العارفين بـ« حالة » الإعلام ـ قبل الاحتلال ـ لم يفاجأوا ، وذلك بحكم معرفتهم بالأسباب والمقدمات ، والظروف والهنات ، والأخطاء والخطايا ، والأمراض والسلبيات و . . . وكل ما يعشش في تكايا وزوايا مجمع الاعلام العتيد ! ولذا كان اعتقادهم بأن إدارة هذه الأزمة المأساوية ، التي أقامت العالم تحتاج إلى خبراء ومختصين مبدعين ، لا إلى « هواة » يتكئون على اجتهاداتهم الفردية ، ونيتهم الحسنة ورضاء الوالدين ! ويعتمدون على أن « أي كلام » يدلقونه على الناس ، هو اعلام بالضرورة ! . . وان أي هتاف وضجيج طالع من الحناجر مدجج بالسباب والذي منه ، هو اعلام تعبوي تحريضي مؤثر لابد أن يؤتي أكله ولو بعد حين ! (ربما حين تحج البقر على قرونها) حسب قولة المثل الشعبي .

إن منحى ومنطق وخطاب وتوجه اعلامنا قبل المحنة ، هو نفسه بعد المحنة ! وهذا أمر بدهي ومتوقع ، لأن الذين أداروا الاعلام « التعبوي التوجيهي التحريضي » ضد الاحتلال ، هم أنفسهم الذين ألف منهم المستمع والمشاهد البضاعة الاعلامية إياها !! والتي تطفح بالخفة والاستخفاف اللذين يتبديان في جل البرامج المسلوقة وتلك

المطبوخة على عجالة وغيرهما .

ولو عنّ لك الاستماع إلى برامج الاذاعة والتلفزة ، إبان الأسابيع الأولى من المحنة ، لراعك بأن « البرمجة » ما زالت تراوح في معقلها ومعتقلها ، المعشش بنسيج البيروقراطية وسياسة تقديم أهل الثقة على الخبرة ! فضلاً عن غياب الخطة والرؤية والسياسة الاعلامية ، وغير ذلك من العلل والمعوقات والسلبيات . وإذا استثنينا بعض البرامج القليلة ، المنفعلة بالحدث الزلزال ، المتجاوبة مع معطياته وآثاره وتداعياته المأساوية ، فيمكنك أن تلاحظ ـ بدون عناء ـ أن جل هذه البرامج تضاهي البرامج العادية التي كانت سائدة في أيام العز والسكينة والأمان ! أعني تلك النوعية التي لا تقدم ولا تؤخر ! ولا تضر ولا تنفع ! فقد استمرت البرامج العادية في اللعلعة والحضور ، بنفس شكلها ومحتواها ؛ وطريقة خطابها وتوصيلها إلى المتلقين المستمعين والمشاهدين . الأمر الذي أدى بهم إلى الإنفضاض عنها والكف عن سماعها ومشاهدتها ، ومن ثم التحول إلى محطات الإذاعة والتلفزة الغربية الأوروبية والأميركية . . فضلاً عن إذاعة إسرائيل !

***

مجمع الخالدين !

● إن مجمع وزارة الإعلام ، يحق ، له أن يسرق من مجمع اللغة العربية في القاهرة ، لقب « مجمع الخالدين » لأن القيمين على الاعلام خالدون مزمنون في كراسيهم ومواقعهم ومناصبهم ! ولو كان في مقدورهم التأسي برؤساء دول العالم الثالث لأصدروا فتوى إدارية تمنحهم « شرعية » التربع على الكرسي الحكومي مدى الحياة ! ومن هنا تجد واحدهم لا يغادر كرسيه ، أو يتزحزح عنه إلا حين ينعيه مذيع نشرة الأخبار ، أو يوارى جثمانه مستودع التقاعد القسري في دار الخلود الأزلي !

ونحن ، في هذا السياق ، لا نبغي التعريض بالأشخاص ، بقدر اهتمامنا بالتوجه والسياسة ـ أو اللاسياسة بمعنى أدق ـ اللذين يسوغان استمرار نفس القيمين المزمنين ؛ وعين البرامج الإذاعية المرئية والمسموعة ؛ التي تجترها المحطات طوال السنين الماضية ! ولذا لم يكن في مقدور « العطار » و« الماكيير » إصلاح ما أفسده « الدهر » الإعلامي العتيق !

ذلك لأن الإصلاح الجاد والحقيقي ، يتجاوز عمليات التخدير والترقيع ؛ وجبر الخواطر وإسناد الأمور إلى غير أهلها ! فضلاً عن أنه لا يمكن له أن يتم ويؤتي أكله وثمرته ، وسط مناخ إداري ملبد بـ « التخبيط » ! عوضاً عن التخطيط المتكىء على فلسفة وسياسة وأهداف بيّنة واضحة متناغمة ومتضافرة مع الخطط العامة للتنمية .

ومن هنا نقول بأن الاصلاح المنشود ، والتطور المأمول ، لا يحدث بجرة قرار وزاري انفعالي يقضي بغياب وتغييب أصحاب المعرفة والخبرة والابداع واحلال أصحاب الحظوة والثقة وما إلى ذلك من توجه وضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب !

وقد يكون هذا التوجه « مبلوعاً » ومقبولاً في كويت الخمسينات . . حين كان عدد المتخصصين في مجال الاتصال والاعلام نادراً . أما في كويت التسعينات ، فمن الصعب على المرء هضم ـ فضلاً عن بلع ـ مثل هذا التوجه الشاذ الضار بالمصلحة العامة للوطن .

فليس سراً بأن الكويت اليوم تضم عدداً طيباً من الإعلاميين المتخصصين بشتى فروع الاتصال وتخصصاته .

والملاحظ أن وزارة الاعلام لا تحفل كثيراً باستمرار وجود الخبرات الاعلامية الوطنية التي كان لها الدور الايجابي المعطاء في المسيرة الاعلامية الكويتية . . فتجدها تقبل طلبات الاستقالة ورغبات الاحالة على التقاعد بحماس لا تغبط عليه . وكأن ديرتنا القليلة السكان تضاهي مصر أو سوريا أو المغرب في عدد سكانها وبالتالي في عدد المتعلمين المتخصصين في شتى مناحي المعرفة ! وهكذا شهدت السنوات العشر الأخيرة استقالة وإقالة العديد من الخبرات التي لا بديل لها ويصعب تعويضها الا بعد اهدار المزيد من الوقت والجهد والأموال . وفي هذا السياق ؛ نتساءل لم استقال أو غاب كل من : محمد السنعوسي ، خالد الصديق ، عبد الله المحيلان ، سعد الفرج ، ليلى حسين ، عبد الرحمن عبد الكريم ، سارة الفاضل ، ابراهيم اسماعيل ، أحمد باقر ، كاظم القلاف ، عبد الأمير التركي ، توفيق الأمير ، عبد العزيز المنصور ، ألطاف عيسى السلطان و . . عشرات غيرهم غابوا أو غيبوا ـ لسبب أو لآخر ـ وخرجوا ولم يعودوا ، وربما لن يعودوا ، لأن الأسباب التي أدت الى غيابهم ما زالت قائمة !

وأحسب أنه آن الأوان لفتح ملف السياسة الاعلامية . . سعياً الى معرفة نواحي قصورها وتقصيرها بصراحة . لأن محنة الاحتلال العراقي الغاشم قد كشفت عورة هذه

السياسة . . وفضحت القصور والتقصير اللذين اكتنفا المسيرة الاعلامية الكويتية .

والحق أن أرشيف وزارةالاعلام طافح ـ بل وارم ـ بالدراسات والبحوث والقرارات والتوصيات المكرسة لمعالجة أوجه القصور وسبل التغيير والتطوير نحو الأرفع والأنفع .

بمعنى أن هذه المسيرة ليست بحاجة الى المزيد من الدرس والبحث والقرارات والتوصيات . . بل إنها بحاجة الى ترجمة ركام « المحفوظات » الى فعل ونشاط وحركة وانجاز وابداع . وإذا كان ثمة حاجة الى قرار فإنها تحتاج الى قرار سياسي فقط لا غير . لأن انجازات الوزارة التي تحسب لها قد تمت حين كان على رأسها وزير « سياسي » لا موظف بدرجة وزير . . ! وقد يبدو هذا الكلام من قبيل تحصيل الحاصل . . لأن منصب الوزير هو ـ بالضرورة ـ سياسي وهو فعلاً كذلك . . لكنه على مستوى الفعل ـ للأسف ـ ليس كذلك ! .

ولو أمعنت النظر في انجازات وزارة الاعلام التي ما زالت حاضرة حتى الآن . . فستجدها قد أنجزت في عهد وزير وزير . . لا وزير موظف يشغل نفسه بسفاسف الأمور . . وتجدر الاشارة هنا الى أن جل الانجازات المفيدة للوطن والأمة قد تمت أثناء وجود وزير بحق صاحب قرار . . متفرغ للقضايا الجوهرية ، تاركاً لمساعديه (وكلاء الوزارة والمدراء) حرية اتخاذ القرار في شتى قضايا وهموم العمل .

***

تقرير سري(*)

● لعلكم تتفقون معي بأن الحالة النفسية والمعنوية لعامة المواطنين والمقيمين تستوجب تصدياً سريعاً عاقلاً حكيماً يعتمد على تضافر جهود العارفين والمختصين . . وذوي الخبرات والتجارب في التوجيه المعنوي . . والصحة العامة وعلماء الدين المستنيرين ، وأساتذة علم النفس (بشتى فروعه) والفنانين المبدعين الذين وهبهم اللّه ، سبحانه وتعالى ، هبة الحضور ونعمة الجاذبية الجماهيرية . . الى آخر القدرات البشرية المطلوبة للمرحلة الاعلامية الحالية . أقول ذلك اعتماداً على رصدنا للحالة النفسية للصامدين، خلال الأيام القليلة الماضية ، حيث اتضح لنا بأن الخوف والتوتر وغياب

(*) كتبت بتاريخ 3/2/1991 ، بناء على رغبة اللجنة الاعلامية السرية ، قبل تحرير الكويت .

المعلومات والأخبار الصحيحة وحضور الاشاعات والأكاذيب وتبادل الاتهامات الهدامة . . الخ ، تنذر بحدوث فتنة بين الكويتيين ؛ بدو× حضر ، سنة × شيعة ، مواطنين × مقيمين ؛ المواطنين المتزوجين من العراق (من الجنسين : أي كويتي أم كويتية) ضد عامة المواطنين وبالعكس . أضف الى ذلك الجماعات والأفراد ؛ أصحاب الخصومات السياسية والشخصية والفئات الهامشية التي لم تعان من محنة الاحتلال . . وتلك التي ابتليت بادمان مزمن أو حديث والتي يمكن أن تبيع « الوالدة » وتخون الوطن بثمن رخيص جداً حين تستحوذ عليها ساعة « الخرمة » والحاجة الطاغية الى « الزاد السام » الذي يغل العقل ويميت القلب والوجدان .

من هنا ، رأيت من واجبي صياغة هذه الرسالة ، سيما أن ساعة الصفر قد حلت وتحتاج الى قرار عاجل . . يمكّن كافة المعنيين من احتواء « الفتنة الكبرى » الحبلى بالمفاجآت والأخطار . . الخ .

ويمكن الاستعانة بالتقارير الموضوعية عن واقع الحالة ، من جميع النواحي ، بحيث تمكنهم ـ اخوتنا في هذه الاذاعات ـ من تقديم الاعلام التعبوي القادر ـ باذن اللّه ورعايته ـ على شحن البطارية المعنوية للمرابطين ـ فضلاً عن النازحين ـ بطاقة الصبر والطمأنينة والصمود .

***

قضية عادلة ومحام فاشل!!

● بداية ، لابد من الاعتراف بأن الاعلام العربي الخليجي بعامة والكويتي بخاصة لم يكن في مستوى محنة الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت ! فعلى الرغم من أننا أصحاب قضية عادلة استأثرت باهتمام وتعاطف العالم ، فإن المحامين المدافعين عنها تعاملوا معها بأساليب ومضامين تقليدية بالية ! وكأننا لا نزال نراوح في عقد الخمسينات ، حين كان الاعلام يعتمد على الجعجعة والعنترية والتهويل والسباب . . الخ ، الأمر الذي أدى الى لجوء المستمعين الى الاذاعات العربية الأجنبية ! والذي زاد طين اعلامنا بلة أنه لم يكتف بقصوره وتقصيره لأداء مهامه المطلوبة في ظروف عصيبة (مثل ظروف المحنة) ، بل إنه تحول ـ بحسن نية ! ـ الى اعلام مضاد ضار بالقضية العادلة . . ومفيد « للأخوة الأعداء » ! فعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، نذكر بالكيفية التي تعامل بها

اعلامنا الخليجي مع أخوتنا النازحين . . فبدلاً من أن يكون هؤلاء شهود حق يفضحون ارهاب ولصوصية وبطش . . الخ . . الاحتلال العراقي ، تحولوا ـ بفضل الخفة والجهل التي تعامل بها مع مسألة المواطنين النازحين ـ الى أبواق تلعلع بالأخبار والأسرار المفيدة للنظام العراقي المحتل . وحسبي هنا أن أشير الى اللقاءات والنداءات التي بث أغلبها على الهواء مباشرة ! وما ترتب عن هذا « الاجتهاد » من أضرار وخسائر يخبرهما الجميع . ولا أريد ، في هذه العجالة ، الخوض في التفاصيل . . أولاً لأن المولى سبحانه وتعالى أمرنا بالستر ! وثانياً ، لأن المآخذ والأخطاء والخطايا الاعلامية الخليجية نتيجة لسياسات خاطئة مزمنة !

بعبارة أخرى أقول : إن اخفاق اعلامنا في أن يكون اعلاماً تعبوياً يحرض على الصمود في الوطن ، وعلى مقاومة العدو المحتل ، ويتصدى للدعاوى الباطلة التي برر بها النظام العراقي غزوه واحتلاله وضمه للكويت ، ويجابه الحرب النفسية المدججة بالاشاعات والأكاذيب والشعارات الزائفة . . الخ ، فضلاً عن فضحه للممارسات الاجرامية المأساوية ، ولأفعاله المشينة التي يندى لها جبين الانسانية . . الخ . أقول بأن الاخفاق ـ في اعتقادي ـ يكمن في غياب التخطيط ، وتغييب أصحاب الخبرة وأهل الابداع و« تنصيب » أهل « الثقة » . . الخ ، وما الى ذلك من أسباب باتت معروفة للعامة والخاصة ، على حد سواء !

***

الاناء ينضح بما فيه !

● وقد كان يمكن للتجربة الكويتية الاعلامية أن تكون ـ ولا فخر ـ في مستوى الاذاعات الأوروبية والأميركية (الناطقة بالعربية) لو أنها تحولت الى مؤسسة مترعة بالمعرفة والأخبار والحوار ومتابعة قضايا وهموم المجتمع . . الى آخر ما تحفل به الدورة البرامجية . ولكن التجربة لم يكتب لها تواصل النجاح الذي شهدته في عقدي الستينات والسبعينات ، لأسباب باتت معروفة . . وبعضها سيرد في سياق هذا التقرير .

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا بأن الاعلام الخليجي لم يكن في مستوى محنة الاحتلال التي تكابد ويلاتها ومآسيها الديرة أزيد من ستة شهور . صحيح أنه تحسن قليلاً عن

حالته التي كان عليها إبان الشهر الأول للاحتلال ـ الا أنه ما زال يتعامل مع المحنة وآثارها وتداعياتها وفق اجتهادات فردية تعمل بنفس العقلية والمنطق اللذين كانا سائدين قبل الاحتلال ! وهذا أمر بدهي ومتوقع . . أن منتجي ومقدمي البرامج هم ذاتهم الذين. يخبرهم المستمع والمشاهد وألف منهم البضاعة الاعلامية المعهودة والتي كانت سائدة في الساحة الاعلامية العربية طيلة عقدين كاملين !

بمعنى آخر ، أقول بأن الأعلام الخليجي الذي لعلع وأطل طيلة شهور الاحتلال الماضية لا يمكنه أن يجوّد فعله ونشاطه أكثر مما فعل ! لأن الاناء ينضح بما فيه ! ولأن فاقد الشيء لا يعطيه !

ولذا ، بدا للكاتب ـ ولغيره أيضاً ـ بأن حال اعلامنا مع محنة الاحتلال ، يضاهي فعل المحامي الفاشل لقضية عادلة ناصرها العالم كله ، عبر مؤسساته العربية والاسلامية والدولية ، بينما نجد في السياق نفسه بأن الاعلام العراقي كان بمثابة المحامي الناجح الذكي القادر على خلط الأوراق والحقائق . . وعلى الدفاع عن مزاعمه ، وتغطية سوءة أفعاله ، وتناقض شعاراته مع سلوكه . فعلى الرغم من أن الاعلام العراقي يدافع عن قضية باطلة خاسرة ، فإنه ماهر في الخلط والتدليس والتلفيق والكذب بصيغ لا يدانيه فيها أحد ! فهو بحق مدرسة ـ بل أكاديمية ـ في فنون غسيل أدمغة العامة وتضليلهم ! فرأيناه ـ إبان حربه مع ايران ـ يتفنن في انكار استخدامه للأسلحة الكيميائية . . كما تمكن من اقناع أغلبية المسلمين ـ بل وغيرهم ـ بأن ايران هي التي بدأت قتاله ! فضلاً عن اثارته للنعرات العرقية والمذهبية التي لا مبرر لها !

● ولعل كل قارىء لاحظ الدور الخطير ، الذي قام به الاعلام العراقي ، قبل وعقب وإبان الاحتلال وبعده . ويكفي ـ بهذا الصدد ـ تذكر السيناريوهات التمثيلية الاعلامية لمبررات الغزو والاحتلال والضم ، والسلب والنهب ، وإشاعة الفتن بين المواطنين وبين المقيمين . . وبين الحكومة والشعب ، ليعرف المرء بأن كسب حرب ودحر عدوان ، وتحرير أرض يعتمد على اعلام تعبوي تتضافر لفعله وأنشطته ، جهود الخبراء والمختصين في الصحافة وعلم النفس والمخابرات والأمن العام والدين . . الخ . ولهذا السبب قال نابليون مرة : ان ثلثي النجاح في ميدان الحرب والقتال يعتمدان على الأسلحة المعنوية !

واذا كانت مقولة نابليون صحيحة تماماً في زمنه ، فإنها ـ في هذه الأيام ـ أكثر صحة وصدقاً وفاعلية . . لا سيما بعد التطور التكنولوجي الهائل الذي طرأ على وسائل الاتصال وتقنياته المدهشة .

إن أول ملاحظة لفتت نظر المراقبين بالنسبة للسياسة الاعلامية العراقية تكمن في لجوء النظام العراقي الى التشويش على جل وأغلب الاذاعات العربية ، بما فيها الأجنبية الناطقة بالعربية . ولعل هذا التوجه السلبي واضح الدلالة ، وربما لا يحتاج الى عناء كبير ، لادراك أنه توجه النظام القمعي الشمولي الديكتاتوري ، صاحب الاعلام الموجه ، الآحادي الرأي ، الذي تضيق ميكروفوناته بالرأي الآخر المعارض لرأي النظام ، ولذا عمد الى التشويش على جميع محطات الاذاعة والتلفزة في المنطقة ، ليحرم الناس ـ في العراق والكويت ـ من الاستماع الى آراء وأخبار الآخرين . والمفارقة المأساوية في هذا المنحى هي أن اذاعة اسرائيل كانت من بين الاذاعات القليلة التي لم تتعرض للتشويش المذكور ! ! ربما لأن محرر فلسطين كان ينوي تدميرها بصواريخ الصوت !

إن الاعلام المقنع هو الذي يعتمد على الصدق ، ويتكىء على الأدلة الموثوقة التي لا شبهة فيها . فعلى سبيل المثال ، نسوق حالة « الأسلمة » التي هبطت ـ فجأة ـ على النظام العراقي العلماني ، والتي يطل فيها « الرئيس المهيب ! » بهيئة شيخ الاسلام وأمير المؤمنين ، وبمسوح المسلم التقي الورع الغيور على قيم الاسلام ومقدساته . . ! أقول بأنه يمكن كشف وفضح نفاق وكذب « اسلام النظام العلماني » ـ من خلال تسليط الضوء على أفعاله وممارسته ـ في العراق والكويت ـ والتي تنفي كل القيم الاسلامية وتصادر تعاليمه !

فهل من الإسلام قتل واعتقال آلاف الشباب بشبهة أن نظراتهم فيها شر؟ وتشي بانتمائهم الى المقاومة الوطنية ؟ ! وأي إسلام هذا الذي ينتهك حرمات البيوت المسكونة بالأطفال والنساء والشباب بدعوى التفتيش عن الممنوعات (وهي في عرف الطغاة يصعب حصرها لأنها تزيد يوماً بعد آخر !) وهذه التي يسمونها ممنوعات ؛ تبدأ بتربية اللحية ، وحيازة صورتي سمو أمير البلاد وسمو ولي العهد . . وتشمل : الكاميرا وجهاز التسجيل وأجهزة الطباعة والنسخ والتصوير وعلم البلاد وملصقات العيد الوطني ! ولو

شئت الاستطراد في ذكر ممنوعات النظام العراقي لاحتجت الى صفحات ! حسبي أن أقول بأن القاعدة ـ وفق الديمقراطية على الطريقة الصدامية ـ هي الممنوع ، والاستثناء يكمن في المسموح .

***

صدام يتقيأ حقداً!!

● وفي الكثير من الأحاديث واللقاءات التلفزيونية ، لا يكف « صدام » عن وصم المجتمعات العربية الخليجية النفطية بسوء الخلق والفساد وهشاشة الإيمان . . الخ ، وكأن هذه المجتمعات لا يوجد فيها إنسان شريف مؤمن عفيف . فتسمعه ـ بدون حياء أو احترام ـ يتهم كل سكان المنطقة وأبناء الدول العربية الخليجية بممارسة الفجور والعربدة والفساد . وكأن المنطقة خمارة ومبغى ومحششة ! وما إلى ذلك من بذاءات يعف القلم عن تسطيرها . وهذا المنحى الاعلامي الصادر عن وسائل الإعلام العراقية واضح الدلالة ، لكل ذي بصر وبصيرة ، فهو منحى النظام المستبد ، الذي كشف احتلاله لدولة الكويت ، زيف شعاراته القومية ، وكذب تمسحه بالإسلام وحرصه على المقدسات الإسلامية . فضلاً عن خسارته القاتلة لكل رهاناته التي كان يراهن عليها داخل الكويت ، معتمداً على شعبية « المهيب » ، مقاول وباني « البوابة الشر . قية » العربية إبان حربه العبثية مع جمهورية ايران الإسلامية . وحين جوبه احتلاله للوطن بالموقف الموحد الرافض لاحتلاله ، الصامد ضد ممارساته الإجرامية ، جن جنونه وطاش صوابه ! إذ يبدو أن تقارير مخابراته عن الوضع في الكويت مكتوبة بحبر النفاق ومداد الكذب الذي يرضي الرئيس !

وهذا المنحى ـ للأسف الشديد ـ لا يقتصر على تقارير الاستخبارات العراقية فحسب ، بل ينسحب على كافة النظم الديكتاتورية المماثلة للنظام العراقي ! ومن هنا تجد أن الطغاة لا يتعظون بالنهايات المأساوية التي انتهى إليها كافة طغاة العالم ، لأن المستشارين وكتبة التقارير السرية الموجهة لعراب « المنظمة السرية » التي تحكم وتتحكم بالعراق الشقيق . . لا يصدقونه النصيحة ، فتراهم يكتبون ويقولون ما يرضي غروره وكبرياءه و« نرجسيته » المرضية الشاذة !

إن الصامدين واثقون من أن الاحتلال العسكري الغاشم لأرضنا الغالية زائل . . وليس هناك من يشك بأن انسحابه ـ أو سحبه ـ من الديرة سيتم بمشيئة الله ورعايته . بعبارة أخرى ، أقول بأن الاحتلال الاستيطاني لدولة الكويت زائل بالضرورة ! ليس بفضل الفعل العسكري فحسب ، كما يعتقد المحللون والمنظرون ومن لفّ لفهم ، بل بفضل عنصر غيبي لا يرد في تحليل السادة المختصين . . وأعني بهذا العنصر الغيبي ؛ سنة المولى سبحانه وتعالى الخالدة المتمثلة بآيته السرمدية الحتمية : ﴿ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ، وهي سنة ربانية أكدتها كافة المحن والفتن والبلايا التي مرت بها الشعوب والأمم ، وإذا كان المحللون غير المسلمين يستبعدون هذا العنصر ، لتناقضه مع العقلية العلمانية التي سادت بعد فصل الدين عن الدولة ، فان النظام العراقي استطاع التغرير بعشرات الألوف من العرب والمسلمين ، على الرغم من علمانيته المعروفة ! وإذا كنا على يقين بأن تحرير بلادنا آت لا ريب فيه بفضل الله ، ومن ثم بفضل جيوشنا وعدالة قضيتنا . . الخ . أقول إذا كان الأمر كذلك ، فان المنظمة السرية الارهابية التي تحتل الديرة شرعت قبل اجتياحها واحتلالها للوطن في شن غارات الحرب النفسية المدججة بالفتن ولوي الحقائق وجعجعة الشعارات « الإسلامية » والإنسانية . . إلى آخر شعاراته وتصريحاته التي مجها وملها الجميع .

ومن هنا ، لا يجوز لنا التهاون بالآثار المأساوية المدمرة التي يمكن أن تنشأ عن غارات الحرب النفسية التي تواصلت منذ 1990/8/2 حتى يومنا هذا (1991/2/3) ، سيما وأنها تزداد شراسة والحاحاً ، يوماً بعد يوم ، وساعتها سنندم حين نجد الاحتلال غادر الوطن وسكن في وجدان المواطن والمقيم ! !

***

.. وشهد شاهد من أهله

● وإذا اتسع الصدر لقولنا الصريح ، فاننا نقول ونكرر بالحاح بأن تصدي اعلامنا العربي الخليجي ما زال يتعامل مع محنة وجريمة الاحتلال بصيغ وأساليب « تنفيسية » لا طائل منها . وقد نستثني الاعلام القطري من هذا التصدي المذكور !

فعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، فان البرنامج الأسبوعي الذي يقدمه التلفزيون

القطري « حوار في قضية » يعد ـ في نظري ونظر أغلبية مشاهديه ـ من أنجح البرامج التي تصدت لمحنة الاحتلال بجدية ودراية وصراحة . ففي الحلقة التي استضاف بها البرنامج الأستاذ حسن العلوي ـ المفكر والكاتب السياسي العراقي ـ عرف الرأي العربي ـ من خلال شهادته ـ بأن العراق الشقيق تحكمه منظمة ارهابية سرية مسلحة بكل عدة وعتاد القمع والارهاب . . الخ .

إن قيمة شهادة الأستاذ « العلوي » تكمن في أنها صادرة من واحد من « أهل البيت » ـ أو شاهد من أهلها ـ لعلع بها واحد من رفاق النظام العراقي المستبد ! فقد كان الشاهد من أعضاء الحزب المريدين للرئيس « المهيب » ونظامه المتبرقع بشعارات : « وحدة ـ حرية ـ ديمقراطية » ، أي أنه مثل غيره من المخدوعين بأقواله وشعاراته . أضف إلى ذلك كون الشاهد يدلي بقولة الحق وشهادة واقع المعايشة والممارسة . . والمعاناة ! لأنه ـ نفسه ـ ذاق كم « وجبة » من وجبات المنظمة الارهابية السرية اياها ! ولذا لا يمكن وصم شهادته بالزور . . لا سمح اللّه . . سيما أنه يدعّم شهادته بالأدلة والبراهين الموثقة بالوقائع والأسماء والتواريخ . . الخ ، ومن هنا كانت شهادته ـ بحق ـ جامعة مانعة . . كما يقولون !

وبهذه المناسبة ، أتمنى على وزارة الاعلام الكويتية نشر وتوزيع هذه الشهادة على كافة مؤسسات وشركات أشرطة الفيديو في الأقطار العربية ، وبين الجاليات العربية في أوروبا وأميركا . . الخ ، لتكون في متناول عرب المغرب والمشرق . وحبذا لو ترجمت إلى اللغات الأجنبية لتكون في مكتبة وأرشيف وذاكرة كل عربي ومسلم وإنسان يرفض وجود الطغاة ويتمنى زوالهم !

وفي هذا السياق ، أحسب أن من واجبنا السعي صوب الشهود على جرائم وارهاب « المنظمة السرية » المنتشرين في العديد من العواصم والمدن العربية والأجنبية ، وذلك بالسفر اليهم في مواطن نفيهم القسري ، لتسجيل وتوثيق شهاداتهم ـ بالصوت والصورة ـ ومن ثم بثها ونشرها عبر جميع محطات الاذاعة والتلفزة في الديار العربية والإسلامية بخاصة ، والديار الأجنبية بعامة .

وفي اعتقادي ـ الذي قد يشاركني فيه الكثيرون ـ بأن الاعلام التعبوي الخارج من

رحم المحنة ونتائجها المدمرة ليس بحاجة إلى وصم « صدام » بأي مثلبة أو مسبة أو خطيئة . . لأن ممارساته الإجرامية الارهابية جعلت اسمه المجرد « صدام » رمزاً قبيحاً يختزل كل المثالب والعيوب والخطايا الموجودة في شخصية طغاة التاريخ قاطبة ! حسب اعلامنا ذكر اسم « صدام » ، حاف بدون ادام الردح والسباب وزاد المعلقات العنترية الإذاعية ، والتي قبرت عام 1967 ، التي هزم فيها الصهاينة دول المواجهة العربية ! ومن هنا تجد اخوتنا الذين أطلقوا على مواليدهم اسم صدام . . سارعوا إلى تغييره ، حال اكتشافهم لحقيقته الديكتاتورية الإرهابية وزيف ونفاق شعاراته !

وحسب اعلامنا كذلك تسليط الضوء على تناقض أقوال النظام الصدامي مع أفعاله ؛ وعلى عربدته الإرهابية ضد معارضيه في الخارج والداخل (حلبجة . . مثلاً) واستخدامه الأسلحة المحرمة أثناء حربه مع ايران . فضلاً عن جرائمه المشينة التي قامت بها « كتائب الاعدام » وفرق الارهاب وعصابات السلب والنهب . . داخل الكويت المحتلة طيلة الشهور الماضية .

وأحسب بأني لا أذيع سراً إذا قلت بأن اذاعتنا « السرية » صار لها من اسمها نصيب ! فلم يعد المواطن المرابط يتابعها ويلاحقها لأسباب باتت معروفة للكافة . . لذا سنبلع ريقنا ونلوذ بالصمت ولن نذكر أخطاءها وخطاياها ، امتثالاً وتأسياً بقيمة وأخلاق إذا ابتليتم فاستتروا وسنة اذكروا محاسن موتاكم ! !

ولهذا كله ، فان اذاعات [BBC] ، ومونت كارلو ، وصوت أميركا ، وقطر ، ومصر المحروسة قد استقطبت جل المستمعين هنا ! ولذا فهي بحاجة إلى تغيير جذري يتناسب مع محنة الاحتلال ، لعل ذلك المنحى يعيدها إلى المستمعين !

وهذا القول ، السالف الذكر ، يغفل التحسن النسبي الذي طرأ على بعض ما تبثه . إلا أن اعادة المستمعين إليها ممكنة وليست مستحيلة . . سيما إذا أسندت (إدارياً وبرامجياً) إلى أصحاب الخبرة والمعرفة والوعي من أبناء الديرة والخليج والجزيرة العربية . نقول ذلك لأن الاعلام المطلوب لهذه المرحلة الحرجة لا يمكن أن يتحقق في ظل نفس السياسة (أو اللا سياسة) الإعلامية التي كانت سائدة قبل 1990/8/2 والتي لا تحتاج من الكاتب إلى تعليق لأن حصادها يغني عن ذكر مثالبها وعيوبها !

أما الملاحظات والاقتراحات(*) التي سنأتي على ذكرها الآن ، فانها كما يلي :

1 ـ لوحظ أن الإذاعة ـ وأخواتها ـ تعتمد على الأخبار والتقارير الإخبارية المنسوبة إلى وكالات الأنباء العالمية . فإذا كان هذا مقبولاً حين يكون الحدث في القطب الشمالي ! لكنه ليس كذلك حين يكون الحدث من مراسلي الوكالات والصحف الأجنبية في الخفجي وحفر الباطن والبحرين ، فضلاً عن الكويت المحتلة .

2ـ لوحظ أن اعلامنا ـ للأسباب السالف ذكرها ـ نسي أن سجون ومعتقلات النظام العراقي ، مليئة بآلاف الأسرى والمعتقلين العسكريين والمدنيين ، الأمر الذي شعر معه الأسرى والمعتقلين بالأسى . . لأن الشعب العراقي نفسه لم يكن يعرف بوجودهم الا بعد أن فوجيء بوجود عشرة آلاف كويتي[1] ، منذ حوالي شهر ونصف ، حين جاءوا إلى بغداد والموصل لزيارتهم .

3ـ ثمة معلومات « سرية » وعبارات استفزازية تتسلل عبر أخبار وتقارير اذاعتنا ، بحسن نية لا نغبط عليها ، وقد سبق الإشارة إليها في هذه التقارير . فلذا ، نتمنى عدم تكرارها لأنها أضرّت ، ولا زالت تضر ، بالأهالي والمقيمين .

4ـ لوحظ أن التوجيهات والارشادات المكرسة لتوعية الناس بالسلوك الواجب اتخاذه أثناء الغارات الجوية ، وإبان الاقامة في الملاجىء « السراديب » لا تناسب الموقف الحرج الخطر . ونذكرـ مثلاًـ تلك النصيحة التي يتحدث فيها المذيع عن الأطعمة التي يمكن طبخها داخل السراديب ، إذ راح يتحدث ـ جزاه اللّه خيراً ـ عن كيفية اعداد طبخات وأكلات غائبة ومفقودة وغير متوفرة في منازل الصامدين .

5ـ النداءات التي يرسلها أهلنا النازحون ، يفضل تسجيلها وعدم اذاعتها ، عبر البث المباشر ، كما تفعل اذاعات مونت كارلو وهيئة الإذاعة البريطانية وصوت أميركا والإذاعة المصرية ، سيما أن العديد منها ـ كما نوهنا بذلك مراراًـ أضر بالصامدين وقدم خدمة معلوماتية « تجسسية » مجانية للاستخبارات العسكرية بسهولة وبدون عناء .

(*) شارك في صياغة هذه الملاحظات كل من الزميل الصحفي : ماجد سلطان، وليد خالد المسلم، عبد اللطيف الصبيح .

(1) منتصف نوفمبر 1990 .

6ـ في مقدور الاخوة الاعلاميين المتواجدين هنا تزويدكم بأخبار العمليات العسكرية وكافة ما يجري فيها من أحداث ووقائع . . الخ ، إذ إن اللجنة الاعلامية لديها مراسلين في كل منطقة سكنية .

7ـ إن الحالة المعنوية للجيش الشعبي والنظامي منهارة ، يشوبها التوتر والحذر الوسواسي المرضي « الفوبيا » ، كما يقولون في لغة علم التحليل النفسي ، ولذا يفضل توجيه رسائل إليهم ، شريطة أن يصيغها الاعلاميون والمعنيون بالتوجيه المعنوي والمختصون بالحرب النفسية .

8ـ إذا كان هناك من تعاون مع المحتلين ـ لسبب أو لآخر ـ فلا يجوز تعميم وصمة العمالة على كافة أفراد القبيلة أو الجنسية أو المذهب الذي ينتسب إليه العميل ! « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . ومن هنا يفضل توجيه رسائل ونداءات مكتوبة بعناية وحذر ودراية ، كي لا تسبّب الأذى للأغلبية الشريفة التي رفضت التعاون باصرار وعناد شديدين .

9ـ يلاحظ الجميع ـ وبخاصة في الأسابيع الأولى من الاحتلال ـ كثرة وتناقض تصريحات المسؤولين والتي يبدو أنها خرجت من أفواههم في لحظة انفعال ، الأمر الذي جعل الاعلام العراقي يوظف بعض هذه التصريحات لتأكيد مزاعمه وشعاراته الزائفة ودعاويه الباطلة .

10ـ إن أغلب الأغاني « الوطنية » التي تبثها إذاعتنا تثير الرثاء والضحك الطالع من باب « شر البلية ما يضحك » . . وإذا كانت صالحة وناجحة في المناسبات الوطنية السعيدة ، فلا يعني هذا صلاحيتها لظروف المحنة .

وبالمناسبة ، فإن الأغاني العفوية التي أبدعها الفنانون الصامدون هنا أكثر تأثيراً وفاعلية ، لأنها مصاغة بدم المعاناة ومولودة من رحم المحنة . ونأمل أن نجد وسيلة لإيصالها إليكم . وقد أرسلت نسخة منها إلى الأخ[1] عبد اللطيف البحر ، منذ شهر ونصف تقريباً ، لكن النسخة غير كاملة ، وتسجيلها ليس متقناً مثل النسخ الأخيرة .

11ـ يقوم العديد من الفنانين بإعداد أغانٍ أخرى تناسب الظرف الحالي ، ومرحلة

(1) مدير ديوان سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء .

ما بعد التحرير وعودة الشرعية والأهالي النازحين .

12ـ سيتم تزويدكم ، قريباً ، بعشرات من الرسوم التشكيلية التي قام الأطفال (من سن 4 سنوات إلى سن 14 سنة) لتعبر عن رؤيتهم للاحتلال وممارساته الارهابية وكافة مشاعرهم تجاه محنة الاحتلال بحيث يمكن أن تشكل معرضاً يعبر عن شهادة الأطفال العفوية المترعة بشتى المشاعر السلبية والايجابية تجاه جريمة احتلال بلادهم .

13ـ يحتاج الأطفال والصبيان إلى توجيه معنوي يقوم به الخبراء والمختصون . إذ ظهرت على الكثيرين منهم العديد من المخاوف المرضية والأمراض « السايكوسوماتية » النفسية الجسمانية ، مثل (التهتهة ، الكوابيس الليلية ، الحديث بصوت عال مع والدهم الأسير عبر الهاتف ، بدون شعور بانقطاع الاتصال بين الكويت والعالم . فثمة طفلة عمرها 4 سنوات ـ مثلاً ـ اعتادت الحديث إلى والدها حال استيقاظها من النوم وصارت هذه العادة من طقوس حياتها اليومية .

14 ـ نتمنى عليكم تزويدنا بعينات مختارة من صفحات ورسوم الصحف العربية والأجنبية والأخبار الرسمية والأهلية .

15ـ عند ذكر خبر ـ أي خبر ـ عن الكويت . . وما يجري فيها من عمليات عسكرية ووقائع . . الخ ، يرجى عدم الاشارة إلى اسم المنطقة ، أو صياغة الخبر بأسلوب استفزازي يضر بالأهالي وغيرهم .

16ـ نورد فيما يلي بعض الأمثلة والأدلة على كل ما ذهبنا إليه في هذا التقرير :

* من المسائل الضرورية التي يجب الالتفات إليها طرح المعلومات بشكل صحيح وواضح وصادق وعدم الانجراف بالتهويل والمبالغة ، بحيث لا يتحول الجهاز الاعلامي إلى جهاز إعلاني .

* نفي الإشاعات الضارة من خلال طرح الحقيقة كاملة ، بشكل صحي ، وليس عن طريق إطلاق إشاعة أخرى مضادة .

* غربلة تصريحات مسؤولي الحكومة بحيث لا تشكل خطراً على حياة الصامدين ، مثل :

التصريح عن كون الطيار الكويتي بين أيدي المقاومة الكويتية وأنه تحدث مع المسؤولين ، مما أدى إلى حملة تفتيشية شملت منطقة كبيرة مكنت قوات الاحتلال من إلقاء القبض عليه .

تصريح ، قبل يومين ، بأن حملة التفتيش التي عمت كل مناطق الكويت تقريباً هدفت إلى الوصول إلى أجهزة الاتصال مع الخارج ، والتي لازالت بحوزة الصامدين . ان من شأن هذا التصريح أن يؤدي إلى شن حملة تفتيشية أخرى بحثاً عن هذه الأجهزة والوصول إليها بشكل فعلي . . أو تصريحات كونها خطراً على الحالة النفسية للصامدين ، مثل الإعلان الذي تم توجيهه لطلبة الجامعة الكويتيين أو المقبولين بجامعة الكويت ، بحيث يتوجهون إلى البحرين لإتمام دراستهم والالتحاق بالجامعة . . وهذا أدى إلى ضيق الشباب الصامد الذي لم يفكر إلا بالجهاد والكفاح داخل الكويت ، ولكنه أخذ يتساءل الآن : ما ذنبي أنا ؟

* ملاحظة ومتابعة الاعلام العراقي والأردني واليمني والفلسطيني ومناقشة كل ما يرد فيها من أنباء وتحليلات ومقابلات بشكل عقلاني حكيم ، بحيث يتم كشف الزيف الذي تبثه هذه الوسائل أولاً بأول دون الدخول في مهاترات قميئة تكشف عن الجهل بالحقائق فتؤدي إلى مردود عكسي .

* إعادة بث التحليلات والمقابلات المثمرة التي تبثها إذاعة كردستان الحر (على الموجة القصيرة- مساءً) وكذلك بعض برامج صوت العراق الحر (على الموجة المتوسطة) خصوصاً تلك التي تعد برامج وثائقية وشهادة صاحب الدار عن جنون وسلبيات النظام الصدامي والتي تكشف كل الممارسات التي تمت خلال العقدين الماضيين .

* إعادة بث المفيد من المقابلات والتحليلات التي تقدمها إذاعات كل من : صوت أميركا ، لندن ، صوت العرب من القاهرة ، الشرق الأوسط ، خصوصاً تلك التي تعنى بالتحليل العسكري والنفسي والمعنوي ، ولا تكون إعادة البث بشكل إعادة فقط بل بشكل تحليل ومناقشة وربط الأمور ببعضها بحيث تستقطب الإذاعة المستمعين . . بدلاً من أن يتوه الإنسان بين الموجات الأثيرية .

* زيادة ساعات البث والهروب من التشويش من خلال البث على الموجات المتوسطة والقصيرة والاعلان عن هذه المحطات وتذكير الناس بها كل ساعتين عن طريق اعطاء رقم الموجة بالكيلو هيرتز .

* إفراد مساحات إذاعية للمتخصصين بالتاريخ والجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وتشكيل جهاز متكامل لكشف كل الحقائق بطريقة علمية لا يشوبها لبس التطبيل والتهويل ، أو النفخ والمديح .

* التركيز على شروحات دستور 1962 ، بجميع مواده ، وبالأخص المواد التي تخدم الوقت الحالي ، بحيث يعلم الناس ما لهم وما عليهم والتأكيد على التفاف جميع الفئات حول هذا الدستور ، وموافقة جميع أفراد الأمة على جميع مواده .

* إفراد مساحات دينية في الإذاعة للتأكيد على مسألة التكاتف والتراحم والتكافل والتعاون ، وأن الوحدة الوطنية هي قدرنا وبدونها تضيع كل الحقوق وتختلط كل الأوراق . . والاصرار على المضي في طريق تعميق هذه الروح وتأصيلها دون كلل أو ملل بطريقة علمية نفسية متزنة .

* * *

احتلال مجلة العربي

مهما شطح الخيال بالقارىء العربي، لا أحسب أنه سيتبادر إلى ذهنه أن «مجلة العربي» يمكن أن تغيب عنه، لسبب أو لآخر. فعلى مدى ثلاثين سنة، ألف القارىء العربي حضورها في مطلع كل شهر ولم يحدث البتة أن غابت عنه . . وكأن ثبوت اطلالة أول الشهر وظور «هلاله»، لا يتأكد الا بصدور هذه المجلة وحضورها بين يدي القراء!

ولأننا نعيش في زمان عربي يبز خيال المبدعين، ويفوق حدسهم . . ولأن دراما الحياة السياسية العربية، أكثر مأساوية وعبثا ومفاجآت من الدراما الأدبية . . غابت «العربي» وغيبت بفعل عربي مدجج بالوحشية والارهاب والقمع وكل ما هو قبيح وشاذ وعبثي في النفس البشرية! وكان من البديهي أن يئد «الاخوة الأعداء» المجلة، ويسلبوا ويدمروا مطابعها وأرشيفها، ويحتلوا مقرها لأن التتريين المعاصرين يطمحون إلى تكرار

فعلة التتار في بغداد ويتجاوزونها!

فمجلة العربي، معلم ثقافي، ورمز حضاري للكويت الحديثة حتى انها ـ أي الكويت ـ صارت تعرف بمجلة العربي!

وفي أي مدينة وقرية عربية صار من المألوف أن تسمع من يدحرج على مسامعك ـ حين يعرف أنك من الكويت ـ «أنت من الكويت نحن نخبرها جيدا. . أليست موطن العربي؟!».

ومن هنا لم أستغرب احتلال «نشامى» النظام العراقي مبنى المجلة واستحواذهم على كل ما فيه. وقد حاولت وزارة اعلام النظام العراقي اصدار المجلة من داخل الكويت المحتلة، لكنهم فشلوا في تحقيق هذه المهمة، لأن الاحتلال الوحشي الهمجي لا يضاهي الاحتلال «الحضاري» الحريص على وجود وحضور وعطاء المؤسسات العلمية والثقافية. . وغيرهما. أضف إلى ذلك حرص السلطات المحتلة على نفي كل ما يرمز إلى وجود دولة الكويت وهويتها وعطائها في شتى مناحي المعرفة.

ومن هنا، كنت على يقين بأن مجلة العربي لن تصدر وتصل إلى القارىء ثانية، سوى من الرحم الذي خرجت منه! ولن تكتب لها الحياة، إلا اذا عادت إلى الحضن الذي تربت فيه وعاشت في كنفه. ولذا مر شهر واثنان دون صدورها. ولو افترضنا ـ جدلا ـ صدورها ـ ابان الاحتلال الغاشم ـ فلا أحسب أن القراء العرب سيتواصلون معها ويقبلون عليها. . لأنهم لن يجدوا فيها الزاد الثقافي الذي خبروه وينتظرونه مطلع كل شهر.

ولا أخالهم سيبلعون ـ ولو على مضض ـ صورة الرئيس المهيب الملونة تحتل الغلاف الأول والأخير ـ على حد سواء ـ ولا أظنهم سيهضمون «المعلقات» والمقالات المكرسة للتسبيح بحمد «الرئيس القائد» و«الزعيم الملهم» و«شيخ الاسلام» و«حامي العروبة» و«مقاول بوابة العرب الشر. قية» و«محرر فلسطين والجولان والاسكندرون والأندلس وزنجبار وجزر الواق واق. . و. . كل الديار الاسلامية السليبة!». ونحن لا نتهكم أو نبالغ، بل نسطر واقع الحال لصحف ومجلات نظام «صدام» المكدسة في مخازن المكتبات التجارية دون أن يقتنيها القارىء، على الرغم من فخامة ورقها. . ورخص ثمنها. . واحتشادها بصور الرئيس المهيب، ومقولاته العنترية الغوغائية. . كما

هي العادة الأزلية لصحافة المنظمة الارهابية التي تجثم على كاهل العراقي الشقيق وتحاصره بـ«المقرارات» والشعارات التي يلعلع بها رئيس النظام الارهابي الديكتاتوري وأبواقه، صباح مساء.

أقول لا أخال قارىء العربي سيهضم ويبلع مجلة العربي، فيما لو صدرت بواسطة اعلام السلطة المحتلة.. ولعله سيطالب البائع باسترجاع الفلوس التي دفعها في النسخة المذكورة، لأن قارىء المجلة لن يجد فيها الزاد الثقافي الذي يعهده فيها.. ولعله سيراها طافحة بصور الرئيس المهيب في جل صفحاتها.. ان لم تكن كلها. إذ أن الاسهال الفوتوغرافي لصورته يعد في عرف النظام الصدامي الديكتاتوري، ضرورة وطنية وقومية، لا يجوز حرمان القراء من حضور طلعته البهية! بمناسبة وبدون مناسبة! ولعل في ذلك بعض «العزاء» لاخوتنا القراء الذين افتقدوا العربي طيلة شهور الاحتلال الغاشم!

***

الاعلام الشعبي التحريضي

الحق أنه ليست مجلة العربي وحدها هي التي غيبها «الاخوة الأعداء»، بل ان هذا المنحى انسحب على كافة الكتب والدوريات والصحف والمجلات الكويتية، ولم يشفع للصحافة الكويتية تأييدها لنظام صدام طوال فترة حربه العبثية مع جمهورية ايران الاسلامية.

فابتداء، من بداية الاسبوع الثالث، من الاحتلال العراقي الغادر، لاحظ الصامدون في الكويت المحتلة، ان الشاحنات الأردنية والعراقية، سلبت ـ بداية ـ كل مخزون الورق الخاص بالصحف الكويتية. فصار من «المألوف» لدى المارة هناك مشاهدة الشاحنات الكبيرة، وهي تسلب الورق وتنهب الأثاث والمعدات التقنية، والمكاتب الخاصة بدور الصحف الكويتية. ولم تسلم صحيفة واحدة من عمليات السلب المنظم والتدمير العبثي التتري لكل ما فيها من معدات وعدد تقنية.

وقد حاول النظام الارهابي اغراء ملاك وناشري الصحف بالصدور في ظل الاحتلال نظير استثنائها من السلب والتدمير، لكن الجميع ردوه خاسئا، غير عابئين بالخسارة

المادية الكبيرة التي سيتكبدونها. ومن هنا اضطرت وزارة الاعلام العراقية في الكويت المحتلة، إلى إصدار صحيفة يومية اسمها «النداء». وقد قاطعها القراء الصامدون، ولم يحفلوا بوجودها؛ الأمر الذي اضطرهم إلى توزيعها مجانا وبدون مقابل.. لكن هذا الاغراء لم يجد فتيلا ولم يؤد إلى طائل.. بل ان توزيعها مجانا حرض القراء على مقاطعتها أو استخدام ورقها المسروق لحرق الزبالة!

وبالمقابل، كان الاعلام الشعبي العفوي التعبوي التحريضي، محل اهتمام ومتابعة كافة المرابطين (من المواطنين والمقيمين على حد سواء).. فكانت كل منطقة سكنية، في جميع محافظات دولة الكويت، تصدر صحفا ومنشورات وملصقات تحريضية تعبوية.. وكان الصامدون يحرصون على قراءتها خارج الحدود.. وكانت الصحف السرية، تتسلل عبر الحدود، إلى السعودية والامارات ومصر وسوريا، وكافة الأقطار العربية الشقيقة التي تحتضن النازحين الكويتيين طوال أشهر الاحتلال.

وحتى الصبيان والأطفال، كانت لهم صحافتهم الوطنية التحريضية، حيث كانوا يستخدمون الجدران، لكتابة ما يعن لهم من عبارات رافضة للاحتلال الغاشم، وشعارات وطنية تتفجر بالغضب والرغبة في مقاومة المحتلين ودحرهم. وفي عشية كل يوم كنت تجد الصبيان والأطفال يطرزون الجدران بكتاباتهم العفوية، العامرة بالانتماء والولاء للديرة، وقيادتها الشرعية الدستورية، وما إلى ذلك من عبارات يعبرون، من خلالها، عن موقفهم العنيد ضد الغزاة المحتلين.

وفي صباح كل يوم كنت تشاهد جنود الاحتلال يطوفون الحواري والشوارع لمصادرة «صحافة الحائط» من خلال رشها بالأصباغ.. ولكن بدون جدوى! لأن الصحفيين الصغار يعيدون في العشية كتابة العبارات والشعارات التي صادرها المحتلون. وبينما كانت الصحف العراقية اياها توزع مجانا دون أن تجد من يحفل بقراءتها.. كنت تجد الصحافة الشعبية السرية حاضرة في المساجد والديوّانيات والمنازل.. وكل مكان.

***

حق الاعلام.. ضرورة وطنية انسانية

من المقولات التي يحلو لوزير الاعلام اللعلعة بها وترديدها في كل مناسبة وحين: المقولة التي يذكر فيها بأن الأقلام والإعلام كان لهما دور فاعل ايجابي في مهمة تحرير الكويت. كلام زين... ولا غبار عليه على مستوى القول، وفي إطار لغة التصريحات الرسمية المعهودة! ولا جدال في أن مقولته السابقة حق لأنها ـ ببساطة ـ تعبر عن حقيقة صارت ـ بتقادم الأيام والعصور ـ بديهية بخاصة بعد أن أكدتها ودللت عليها تجارب الأمم والشعوب، التي مرت بمحنة الاحتلال.. فضلا عن الحروب التي خبرتها البشرية، منذ أيام جدنا آدم، عليه السلام، إلى عهد وولاية عمنا بوش!!

ولست الآن بصدد الاشارة إلى أن مقولة الوزير محيرة ومثيرة للبلبلة. حسبي القول بأن هذه المقولة التي يتغنى بها الوزير، لا تستقيم مع الحضور الأزلي المؤبد لحضرة الرقيب العتيد! سيما أن الاعلام أسهم في عملية تحرير الديرة كان حرا، بما فيه الاعلام الخارج من داخل الكويت المحتلة! اعلام الصامدين المتسلل عبر الحدود، بواسطة الفاكس السري، فضلا عن الصحف والمنشورات السرية، وصحافة الجدران التي يحررها ويصوغها صبيان وأطفال الكويت المحتلة.

أي نعم؛ كان هناك ـ في الكويت المحتلة ـ رقابة وقمع واعتقال وتعذيب واعدام ينتظر الكتاب والشعراء والمصورين وكل المساهمين في صياغة ونشر اعلام محنة الاحتلال.. أقول أي نعم كان يوجد ما ذكرته آنفا.. لكن ذلك لم يؤثر على عطاء وتضحيات الاعلاميين والأدباء والمرابطين.

ان العبد لله يثمن مقولة الوزير ويقدرها لكونها تعبر عن الحقيقة. ولذا نأمل أن تكون مقولة حق يراد بها حق!!

أقول ذلك لأن وزير الاعلام قال في ندوته المشتركة مع وزير التربية بأنه يقبل النقد البناء ويرفض النقد الهدام. زين! ولا بأس! فمن حقه أن يصرح ما شاء له التصريح.

ومن حقنا ـ الضمير يعود إلى العبد لله بصيغة التفخيم! ـ القول بأن مقولة النقد البناء وشقيقه الهدام، تحتاج إلى إيضاح وتفسير ومذكرة تفسيرية وتعريفات دقيقة بينة المعنى والدلالة.

ثم تعال هنا وقل لي ـ جزاك الله خيرا ـ من أي أكاديمية وقاموس أخرجت لنا «سالفة» البناء والهدام فانها ـ صراحة غير مبلوعة فضلا عن أنها غير مفهومة!

والملاحظ أن هذه المقولة يلعلع بها العديد من الوزراء والقيمين على المؤسسات الحكومية، كلما دحرج كاتب صحفي أو مفكر وجهة نظره، ورؤيته التحليلية الانتقادية، في قضية وطنية عامة مهمة!

لا حاجة بي إلى تذكير اخواننا في «مجتمع الاعلام» بأن حق الاعلام بات من حقوق الانسان الأساسية، وان غيابه أو تغييبه يشين الديرة وحكومتها ونظامها. حسبنا التذكير بأن حق الاعلام غائب عن نظام الرئيس المهيب! وكأن هذا الغياب هو أحد أسباب الادانة العالمية لذاته ونظامه.

والحق أننا لو بلعنا ـ ولو على مضض ـ مقولة الوزير السالف ذكرها، فلن يكون هناك نقد بناء البتة! إذ أخشى أن تتحول صحفنا وإذاعتنا وتلفزيوننا ومساجدنا ومنتدياتنا إلى منابر «تغرد» بلغة المديح والتزلف ومسح الجوخ و«التغني بأناشيد الانجازات» اياها، كما يفعل اعلام «الاخوة الأعداء» والعياذ بالله!!

***

التوثيق .. ضرورة تاريخية(*)!

● لم أدهش حين أخبرني أحد الاخوة بأن ثلاث محطات تلفزيونية أمريكية قد تسللت بمعية الطلائع الأولى للقوات العربية والدولية التي دخلت إلى الكويت . . لأن الصحفيين الذين يعملون فيها لم يفاجأوا بالانسحاب ! ولا ينتظرون قراراً وزارياً لأداء مهمتهم ! وما إلى ذلك من معوقات وغيرها من الأسباب التي لا مجال ، الآن ، للخوض فيها ! ومن هنا انفرد الصحفيون الأجانب ـ كما هي العادة ـ بالسبق الاخباري والتغطية الاعلامية التوثيقية لحدث تحرير الكويت . . فضلاً عن انفرادهم بتصوير وتغطية آثار الاحتلال الغاشم على الوطن والمواطن والمقيمين الشرفاء الذين شاركونا المحنة وويلاتها !

(*) نشرت في صحيفة 26 فبراير، مارس 91.

ولعل بعض العزاء يتسرب إلى النفس حين يتذكر الواحد أن العديد من الصامدين قد قاموا بتوثيق آثار الاحتلال وممارسات المحتلين الاجرامية بكاميراتهم الفوتوغرافية والتلفزيونية . وأحسب أنهم فعلوا الشيء نفسه بالنسبة إلى وقائع يوم التحرير .

إن التوثيق عادة « استعمارية » غير مألوفة في الديار العربية ! ولذا نجد أن الدارسين والباحثين والمؤلفين والمؤرخين العرب يلجأون إلى أرشيف ومحفوظات دوائر ومؤسسات التوثيق والمعلومات الأوروبية والأميركية لكتابة بحث أو أطروحة أكاديمية وغيرهما !

وليس سراً بأن العديد من الديار العربية لم تنشىء مراكز ومؤسسات للتوثيق إلا في العقدين الماضيين . زد على ذلك ـ إن شئت ـ عادة وأد الوثائق واهمالها التي شاعت في ديارنا العربية الخليجية النفطية ! بدعوى أن المرافق الحكومية الحديثة والمباني السكنية الفخيمة لا يجوز أن « تشوه » بعدة وأدوات الحياة اليومية لخليج بيوت الطين وبيوت الشعر ! ما علينا . . فالمهم الآن هو محاولة انقاذ ما يمكن انقاذه . أعني مسارعة الإعلام الكويتي والخليجي بخاصة لتوثيق الآثار المأساوية التي أحدثها « الضم » على الطريقة « الصدامية » والعياذ باللّه ! كما أننا نتمنى على الاخوة الذين قاموا بتوثيق شهور الاحتلال الغاشم . . وعرس التحرير البهيج الاحتفاظ بكل الوثائق والصور والمعدات والأدوات التي بحوزتهم . . لأنها تمثل شهادات ضد الاحتلال الغادر وتصور وقائع ورموز الحياة اليومية للصامدين والمحتلين على حد سواء .

***

صعود وسقوط «النازية» الصدامية!

● منذ كم ليلة ، شاهدت فيلماً وثائقياً ، مدته ثلاث ساعات تقريباً ، يوثق بالصوت والصورة والحركة والمؤثرات الصوتية الحية التي تنبض بإيقاع الواقع الحي المسجل من نفس المكان والزمان والشخوص والمناخ والتوقيت والأبطال و « الكومبارس » والنجوم والجنود المجهولين ! الفيلم كان عن السيرة السياسية لهتلر ؛ كيف ولماذا صار

وصعد وسقط « الرئيس المهيب » لألمانيا النازية ! نقول ذلك مع الاعتذار الشديد للخواجة (أدولف هتلر) بالطبع ! لأن هتلر نفسه لا يرضَ أن يشبهه أحد بـ« صدام » ويعتبر ذلك سبة ووصمة عار لصحيفة سوابقه التاريخية . وكأني بهتلر يقول ـ في هذا السياق ـ أي نعم : أنا رئيس مستبد وإرهابي ومجرم حرب ؛ لكني لم أقتل أقاربي وأصدقائي الحميمين ورفاق « نضالي » بدم بارد وقلب ميت ووجدان متحجر وضمير مستتر كما القتلة المحترفين من أفراد عصابات « ألمافيا » ما غيرها !

والعبد للّه يعتقد ـ جاداً وصادقاً ـ بأنه من الظلم لهتلر تشبيهه بصدام أو العكس ! فعلى الأقل فإن هتلر قتل اليهود . . ولكن صدام قتل بني قومه في « حلبجة » الكردية العراقية ؟! وطعن جيرانه واخوته في العروبة والاسلام واحتل بلادهم الصغيرة المسالمة واستباحتها عصاباته الارهابية بطرق وأساليب لم يفعلها هتلر في عز طغيانه وإرهابه ! وفي هذا السياق ، أيضاً ، سمعت فلسطينياً مسناً يقطن فلسطين وكان قد جاء بمعية زوجته إلى الكويت لزيارة ولدهما الذي يعيش في الكويت منذ 27 سنة . أقول بأني سمعته يحلف باللّه ثلاثاً بأن الممارسات الإرهابية القمعية الاجرامية التي يقوم بها ضد الكويتيين تفوق وتبز إرهاب الأعداء الصهاينة ضد الفلسطينيين !

ومن هنا تكمن أهمية التوثيق للسيرة الارهابية لـ« صدام » لتكون عبرة ودرساً لكل حاكم ظالم مستبد طاغية يفرض نفسه على الشعب رئيساً مدى الحياة بـ« ديمقراطية » القمع والارهاب و« اشتراكية » التجويع والترويع و« حرية » الهتاف له والتسبيح بصفاته وأسمائه التي لها أول وليس لها آخر !

وإننا ننتظر بشوق ملح مشاهدة الفيلم الوثائقي المصور لنشوء وصعود وسقوط طاغية العراق وهدام العرب وخادم الاستعمار والامبريالية مجاناً لوجه أعداء العروبة والاسلام ، رغم جعجعته الاعلامية عن تحرير فلسطين وجهاده التلفزيوني ضد الصهيونية والامبريالية !!

***

المسلسل الصهيوني الطويل .. والمتفرجون !

● لا أتذكر ـ الآن ـ من قال بأن « التاريخ لا يعيد نفسه » فربما يكون كارل ماركس ، المفكر الصهيوني المعروف ، أو ماركس سبنسر البياع اليهودي الشهير الذي يخبره عشاق التسوق و« الشوبنج » في لندن ! وأياً كان صاحب المقولة ، فان المهم أن قائلها يبدو أنه حين قالها ـ قد أسقط من حسابه الأمة العربية والإسلامية . ليس لأنه يهودي فحسب ، بل لأن تاريخهم ينفي صدق مقولته ويتناقض معها ، فتاريخهم ـ ولله الحمد ـ يعيد نفسه بذات الأسباب والظروف ، ونفس الملابسات والأخطاء والخطايا ! تماماً مثل سيناريو المسلسلات العربية المقررة على المشاهدين العرب طوال كل دورة برامجية !

ذات مرة ، سئل موشيه ديان وزير الحرب الإسرائيلي المعروف كيف تجرأون على نشر الخطة العسكرية لحربكم ضد العرب عام 1967 ؟ هل النشر يمثل بدعة جديدة في التمويه ، أم أنه نوع من أنواع الاستهانة بعدوكم التاريخي ؟! رد ديان ، ببساطة معجونة بالشماتة : لأن العرب لا يقرأون !

منذ ربع قرن ، أعارني الصديق الشاعر العم أحمد مخيمر ، رحمه الله ، كتاباً حرضني على سرعة قراءته ، لأنه بدوره استعاره ـ خلسة ـ من مكتبة الأستاذ عباس العقاد الذي لا يفرّط في أي كتاب تضمه مكتبته الموسوعية . كان ذلك في أواخر عقد الخمسينات (عز أيام ما عرف بالمد القومي العربي) .

بداية ، لفت نظري غرابة عنوان الكتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » فقرأته في العشية ولم أتركه إلا بعد اتمام آخر صفحة فيه . وأذكر ـ يومها ـ أني كدت أطوح به بعيداً ، دلالة على استهانتي بمضمونه واحساسي بأنه كتاب دعائي مليء بالأحلام والأخيلة المتعجرفة !

الحاصل . . إني أعدت الكتاب إلى صاحبه ، حيث بادرني متسائلاً : ما رأيك فيه ؟ قلت ـ متأثراً بغرور الشباب ومناخ المد القومي العربي واعلامه العنتري الحماسي وهتافه الملعلع برمي إسرائيل في البحر ـ قلت انه دعاية صهيونية طافحة بالخيال اللامعقول . . انه يتحدث عن المخطط اليهودي للاستحواذ على العالم والتحكم به عبر

سيناريو ينقسم إلى تسع مراحل ، تبدأ من تاريخ سبي بابل (25 قرناً قبل ميلاد المسيح) ، بينما تنتهي المرحلة الأخيرة من البروتوكولات في العقد الأخير من القرن العشرين ، بالتحديد ـ 1997 ـ وفي فلسطين الكبرى (من الفرات إلى النيل) .

ومن الجدير بالذكر أن بروتوكولات حكماء صهيون تعد خلاصة خطط وقرارات مؤتمر الصهيونية العالمية الذي عقد في بازل عام 1897 . وقد تم اكتشافه بعد مداهمة قوات أمن الدولة القيصري الروسي لمقر المؤتمر السري ـ على حين غرة ـ نتج عنه حريق اضطر معه المؤتمرون إلى الفرار ، تاركين بعض وثائق ودراسات المؤتمر التي كان منها البروتوكولات . وقد صدرت الطبعة الأولى باللغة الانجليزية . ومن ثم تواصلت ترجمته إلى أغلب لغات العالم ! وتتابعت طباعته سنة بعد أخرى . والغريب أن الكتاب تنفذ نسخه حال نشرها وعرضها في المكتبات التجارية في كافة عواصم ومدن العالم . . بما فيها العربية ! وقد ترجم إلى العربية ونشر عدة مرات . وقد قام الأديب محمد خليفة التونسي رحمه اللّه بترجمته عن الفرنسية عام 1958 ، وأعيدت طباعته للمرة الثانية . وعلى ذمة الأستاذ التونسي ، رحمه اللّه وجزاه خيراً ، أن النسختين نفذتا بسرعة مريبة ! لأن الكتاب لا يقرأه سوى خاصة المثقفين الذين يقرأون ويتابعون . . ولا يهتم به عامة القراء !

وكان الصهاينة ، طوال سنوات صدوره ، ينكرون نسبته اليهم ويتهمون من يفعل ذلك باللاسامية ومعادة اليهود !

الحاصل أن الأهداف والمخططات أو البروتوكولات قد تحقق ثمانية منها فعلاً ، بينما لا يزال حكماء بني يعرب يتجادلون في مدى صحتها !

● وقد ذكرت في مطلع هذه الخواطر السؤال الذي وجه إلى ديان عن مبرر نشر خطة حرب الصهاينة ضد العرب عام 1967 المعروفة حركياً في الأوساط الاعلامية العربية . . باسم : النكسة والوكسة المبرقعة لمعنى الهزيمة . ولو أن السؤال نفسه وجه إلى وزراء الدفاع في الديار العربية والإسلامية . . فأحسب بأنهم سيردون قائلين . . بأنهم قرأوا الكتاب حال صدور طبعته العربية ، وربما قرأوا طبعاته باللغات الأجنبية . . ولكن . . ! ولكن ـ هذه المرة ـ من عند الكاتب أقول : ولكن لا داعي لإثارة الفضائح ونكاء الجراح

والمواجع . . الخ ، لأن المولى سبحانه وتعالى قد أمرنا بالستر! وصار الستر ذريعة لغياب حق الاعلام وحجب الحقائق والوقائع والملابسات والأخطاء والخطايا . . الخ . . عن عامة المواطنين !

ومن هنا أصبح من المألوف لدينا ، في دنيا العروبة والإسلام معرفة ما جرى ويجري من أحداث وفتن ومؤامرات وانقلابات وأزمات . . الخ ، بعد أن يموت النظام القائم بالسكتة الانقلابية ويتحول إلى عهد بائد!

فحين يكون الرئيس حاكماً بأمره ، يتربع على كرسي السلطة ، ويتكيء على وسادة الذهب الأصفر أو الأسود ! . . لا تسمع وتقرأ عنه سوى معلقات المديح ؛ وهتافات ومقالات مسح الجوخ المكرسة للتغني بمناقبه الفريدة ، وانجازاته المدهشة ، والألقاب الطاووسية والصفات والأسماء التي لها أول وليس لها آخر ! وكأن فخامة الرئيس من جنس الملائكة ومعدن الرسل المعصومين عن الوقوع في الخطأ والخطيئة !

وحتى لا نروح بعيداً ، في العموميات ، خذ عندك ، مثلاً ، ركام الأغاني والأناشيد والقصائد المتغزلة في مدح مناقب الرئيس القائد ، والرئيس المهيب ، وعبد اللّه المؤمن ، وحامي حمى العروبة والإسلام ، ومقاول وباني البوابة الشر. قية ، الخ . . الخ . . واللهم زد وبارك ! أضف إلى ذلك غياب أي كلمة نقد أو رأي آخر عن النظام العراقي الديكتاتوري في الصحافة العربية ! ولو عنّ لك التجوال في أرشيفها ، فقد يروعك بأن آلاف الأطنان من ورق الصحف المذكورة خالية من كليمة واحدة توحي ـ مجرد إيحاء ـ بأي هنة وهفوة أو عيب وخطأ تخدش النظام ، الكامل الأوصاف ولذا تجد من النادر وجود صحيفة عربية تتجرأ على فضح جرائمه الارهابية وقمعه واستبداده ! فجريمة استخدام السلاح الكيماوي ضد شعبه في مدينة حلبجة الكردية الإسلامية في جمهورية صدام الوحشية ـ مثلاً ـ لم تعرف إلا من خلال بعض الصحف المعارضة ! فضلاً عن الصحافة الأجنبية .

● وفي هذا السياق ، سمعت من أحد الزملاء الذين يعرفون صدام عن كثب ويعد من أصدقائه القدامى . . أنه لاحظ أن تعامل عبد اللّه المؤمن مع معارضيه المنتمين لحزب البعث يتسم بالقمع والتصفية ، على الرغم من أن معارضتهم له لا تتجاوز البوح

بالرأي الآخر في اجتماعات الحزب ! ولما كان زميلنا المذكور يتسم بالأدب والذكاء ، فقد ذكر لصدام ـ حين قابله ـ في معرض حديثه عن تحيز الاعلام الغربي الصهيوني ضد العرب والمسلمين ، بأن خصوم نظامه يشوهون سمعته بنشر المزاعم التي تشاع حول استخدامه لكاتم الصوت ضد كل أصحاب الرأي الآخر ! المهم أن الزميل ظن بأنه قد أقنع صديقه القديم بوجهة نظره التي طرحها من باب الغيرة على سمعة النظام ، وحرصه على استمرار تربعه على كرسي السلطة . . آمناً مطمئناً (مدى حياته) بمنأى عن مخاطر البلاغ رقم واحد إياه ! ويقول صاحبنا بأن الرئيس كان طوال حديث الزميل يمج سيجاره الكوبي وينصت إليه ، دون مقاطعة أو تعقيب ، الأمر الذي جعله يغادره مودعاً وهو مستريح البال . . ولأن زميلنا ليس من مريدي السهر ، فضلاً عن أنه سيسافر في الصباح الباكر ، فقد راح في نومة عميقة من أول الليل . لكن رنين جرس التلفون بغرفته يقتحم طبلة أذنيه . . قفز من فراشه . . نظر إلى ساعته فوجد عقاربها تشير إلى الثانية فجراً . . رفع السماعة . . فيسمع صوت موظف الاستقبال يعتذر على ازعاجه . . ثم أخبره بأن اثنين من كبار العاملين في القصر الجمهوري في الطريق إليه .

بصراحة ، توجس خيفة . . وبسرعة شديدة استعاد إلى ذاكرته ما باح به من ملاحظات للرئيس المهيب . . الحاصل وصل ضيوفه . . اعتذرا على ازعاجه ، لكن صديقه أمرهما بايصال هدية رمزية في هذا الوقت لعلمه بأنه مغادر بعد سويعات قليلة . شكرهما . . فغادراه . . فعاد هو إلى سريره لمواصلة نومته . . لكن الهواجس حالت دون ذلك . تساءل ـ بدهشة وخيفة ـ لِمَ اختيار مثل هذا التوقيت لتقديم الهدية ؟ هل المسألة عفوية ـ بحكم العشرة القديمة ـ أم أنها مقصودة وذات دلالة ؟

● تطلّع إلى الهدية ، فبدا له من حجم العلبة بأنها قد تكون طقم أقلام مذهب . . أو وساماً . . الخ . . فتح العلبة المخملية ، فإذا بها تحوي مسدساً كاتماً للصوت وبمعيته ست طلقات ! طار صوابه محلقاً في أجواء التساؤلات الساعية إلى معرفة دلالة اختيار هذه الهدية . . بسرعة لملم ملابسه لأن الوقت لا يحتمل ترف التأمل والتفكير . وطار إلى المطار ، مفضلاً الانتظار هناك على البقاء وحيداً في غرفته . وقبيل ركوبه فوجيء بزوار الفجر يقودانه إلى صالة كبار الزوار . وفي الطريق راح يبسمل ويحوقل وهو

في حالة نفسية لا يغبط عليها . ولم يسترد هدوءه المعهود إلا حين رمى نفسه على مقعده المخصص له في الطائرة المغادرة إلى بلاده . أقلعت الطائرة ، بينما زواره يلوحون بأيديهم بصورة بدت له أنها تحمل تحية الوداع المريب !

ومن يومها ، ودع بغداد الوداع الأخير . . وكف عن عادة ابداء النصائح الرقيقة لأصدقائه الكثيرين المتربعين على كرسي العرش . . ! ولم ينس بعد ذلك أن يعتذر لسيدنا عمربن الخطاب ويترحّم عليه وهو يستدعي إلى ذاكرته قولته الشهيرة « رحم اللّه من أهدى إليّ عيوبي » !

أما الهدية اياها ، فقد صارت عرفاً تقليدياً لكل صحفي عرف بطول لسانه وصراحة قلمه في قوله الحق !

وكان يمكن أن يستمر نظام صدام حسين بمنأى عن النقد ، بعيداً عن الاعلام الذي يفضح سيئاته وخطاياه ، وكل ممارساته المشينة لعهده ! ولكن جريمة اجتياحه واحتلاله لدولة الكويت ، وعربدة واستباحة عصاباته لها . . الخ . . كانت سبباً محرضاً على فضح عورة النظام ورئيسه الهمام !

ومن يومها ـ 2/8/1990 ـ أمطرت غيوم التعتيم الاعلامي سيلاً من المعلومات والوقائع والأخبار والأسرار المكرسة لقولة الحق المدعمة بالبينات والأدلة ، الموثقة بالدم والدموع والممارسات المأساوية ، التي قامت بها المنظمة السرية التي تحكم العراق الشقيق ، متسترة بقناع حزب عربي قومي ، مسلحاً بشعار : وحدة ـ حرية ـ اشتراكية !

وهكذا عرف الرأي العام العربي والإسلامي بأن العراق تتحكم به منظمة سرية ، عبر شهادات أهل البيت الحزبي البعثي ، الذينْ أجبرهم رأيهم الآخر المعارض لرئيس المنظمة ، على الفرار والنفي القسري واللجوء السياسي إلى العديد من عشرات البلاد العربية والأجنبية على حد سواء !

***

الأستاذ حسن العلوي ومجابهة الأعلام الكاذب

● شهادة الأستاذ حسن العلوي ، المفكر والكاتب السياسي العراقي التي أدلى بها عبر برنامج حوار وقضية من تلفزيون دولة قطر ـ وعرضت مرات عديدة في أغلب محطات التلفزة العربية ـ أقول بأن هذه الشهادة تمثل المجابهة الاعلامية المطلوبة لفضح وتعرية نظام صدام ، بالإعتماد على الوقائع والأدلة ، والممارسات الشاذة المترعة بالارهاب والفتن ولوي الحقائق ، الى آخر ما كان مجهولاً مستتراً عن المنظمة السرية التي تتحكم بالعراق !

ولم يكن الأستاذ العلوي بحاجة الى ركام السباب والمثالب والرذائل ، التي توصم بها هذه المنظمة وعرابها المهيب ، كما يفعل بعض الاعلاميين ! حسبه ـ كما فعل ـ الادلاء بشهادته حول سلوك وممارسات المنظمة تجاه معارضيها داخل وخارج العراق ، فضلاً عن فعلتها في الكويت ـ وقبلها في حربها مع الجمهورية الاسلامية الايرانية . . أقول حسبه التعريف بسلوكها وممارساتها . . لأن التعريف والاعلام ـ في حد ذاته ـ سبة ووصمة تدين وتشين نظام صدام ، وتفضح كذب ونفاق شعاراته العروبية والاسلامية والانسانية . . الخ .

ومن هنا لقيت شهادته الجريئة المتزنة الصادقة (الطالعة من القلب) ، والصادرة عن المعاينة والمعاناة ، قبولاً وإقبالاً منقطع النظير ! الأمر الذي يدفع الكاتب الى القول ـ دون مبالغة أو مجاملة ـ بأنها شهادة جامعة مانعة !

أولاً : لأنها شهادة أحد أبناء النظام (لا المؤسسة اياها !) وعضو قديم في الحزب . . ومارس المسؤولية في مجال تخصصه وقدراته .

وثانياً : لأن الشهادة تتكىء على الوقائع الموثقة بالمعلومات والأسماء والتواريخ و . . كافة البينات والأدلة ، التي تؤكد للسامع بأنه شاهد حق . . شاف كل حاجة ، وعانى هو وأقاربه ورفاقه في المعارضة من ويلات وبلايا المنظمة السرية التي تجثم على كاهل أخوتنا العراقيين منذ تأسيسها حتى الآن !

وثالثاً : لأن الشاهد معارض صحي ايجابي ـ ان صح التعبير ـ يعي بأن المعارضة ليست ترفاً فكرياً ، ولا مراهقة سياسية ، بل معارضة واعية تمثل الوجه الآخر للحكم والسلطة !

فعلى الرغم من أن الشاهد عانى ولحق به الأذى والضرر من الرفاق المتبرقعين بشعارات وأهداف الحزب . . فإنه باح بقولة الحق . . بموضوعية مفعمة بالحزن والأسى ! بدون اللجوء الى عدة الردح والشماتة التي ألفها الناس ومجها السامع ، لأنها لا تؤدي الى طائل ، مهما كانت قوة لعلعتها ومتانة عضلاتها الصوتية !

إن أي مراقب لعملية تنفيذ سيناريو عملية احتلال دولة الكويت ، وما تمخض عنها من مآس وفتن ودمار . . الى آخر حلقات السيناريو المأساوية استيقن الآن بأن هذه العملية الاجرامية قد تم التخطيط لها منذ سنوات طويلة ! فضلاً عن أن آثارها ونتائجها النهائية ستتجاوز مسألة احتلال الكويت لتشمل الأمة الاسلامية قاطبة !

ومنذ الأسابيع الأولى ـ بل الأيام الأولى ـ التي تلت الاحتلال الغاشم ، حذر العديد من الملوك والرؤساء العرب والمسلمين ، فضلاً عن المئات من المفكرين وعلماء الدين ، والاعلاميين والمبدعين والحكماء والباحثين ، والبهاليل « المجانين » و . . و . . وكافة الغيورين على الأمة الاسلامية ، من الأخطار والفتن والتحديات التي تستهدف وجودها ، وتسعى الى تحطيم قوتها وابتلاع ثرواتها ، وشب نيران النعرات القبلية والعرقية والمذهبية ، وكافة أنواع الفتن التي دأب أعداء الاسلام والمسلمين على اشعالها كلما أتيحت لهم الفرصة ! وبمعنى أصح ـ ان شئت الصراحة ـ أقول كلما أتحنا لهم ـ نحن معشر المسلمين ـ فرصة اشعالها ! !

***

شماعة اسمها المؤامرة!

● أقول ذلك بسبب شيوع نظرية المؤامرة واستحواذها على أذهان الكثيرين ـ من الخاصة والعامة ـ لتفسير وتبرير ما جرى ويجري في الديار العربية والاسلامية ! وكأن هذه المؤامرة مسألة حتمية قدرية ، لا يمكن التصدي لها الا بتصريحات ومظاهرات وهتافات ابراء الذمة ورفع العتب ! ولا يمكن مجابهتها الا باعلان الجهاد الاعلامي ؛ وكيل السباب والشتائم لليهودية الصهيونية والأمبريالية العالمية ، ولوم الآخرين وتعليق أسبابها على شماعة ، وشجب المتآمرين على الأعداء التاريخيين والمعاصرين ! وكفى اللّه المؤمنين عناء الجهاد والفعل ؛ القادرين على افشال المؤامرة وأهدافها وتحدياتها الخطيرة .

وأرجو ألا يظن القارىء بأني أنفي وجود المؤامرة . . لا سمح اللّه ! لكني أرفض

تفسير أسباب وجودها ، ومبررات حضورها والتي تعفينا من المسؤولية ، بدعوى أنها مستوردة من خارج حدودنا الجغرافية ، وليست ساكنة في عقولنا وسلوكنا ، وتحتل وجداننا ونفوسنا !

أي نعم ، ثمة مؤامرة قديمة جداً ، وما زالت مستمرة الى يومنا ، وربما تستمر الى حين ساعة القيامة ! ولا أحسب انساناً غيوراً على العروبة والاسلام ، وحريصاً على كينونة ووجود الأمة الاسلامية ، يمكن أن يجادل ويشكك في وجود المؤامرة . . وبخاصة بالنسبة لنا ـ نحن معشر المسلمين ـ الذين عشنا ونعيش في القرن العشرين . . حيث رأينا وعايشنا تحقق العديد من أهداف المؤامرة وعانينا منها ، على كافة الأصعدة ، ومع ذلك لا نزال في غفلتنا وغفوتنا !

وإذا خطر لنا التصدي لمجابهة التحديات التي تستهدف وجودنا ، أعلنا الجهاد الإذاعي الاحتفالي ، وشرعنا في صياغة قرارات وتوصيات لتنفيذه ! وإذا صحونا من غفوتنا ، فإن فعلنا لا يتجاوز الهبّة الحماسية العاطفية الآنية المؤقتة القصيرة النفس ، والتي سرعان ما تعود الى حالتها الأزلية المعهودة ! ومن ثم نطيح في بعضنا جهاداً واحتلالاً ، وفتناً وحروباً أهلية ، ومعارك اعلامية مدججة بأسلحة العمالة والتخوين والردح وما الى ذلك ! ومن ثم نلوذ بالصمت المريب ، ونعود الى رقدتنا الفولكلورية وكأن شيئاً لم يكن !

***

هل يتحقق الحلم الصهيوني عام 1997؟!

● وفي هذا السياق . . يقول ناشر بروتوكولات حكماء صهيون ، عام 1980 ، (منشورات فلسطين المحتلة) يقول الناشر : عندما استأذنا المؤلف (المؤرخ عجاج نويهض) بإصدار الطبعة الثانية رجوناه اعداد مقدمة جديدة ، فقال : ماذا تغير في البرنامج الصهيوني حتى نغير مقدمة الطبعة الأولى ؟ إن بين الطبعتين مسافة زمنية تقرب من الخمس عشرة سنة ، كانت كلها زاخرة بالأحداث التي تقيم الدلائل ، غير القابلة للدحض ، على أن كل ما ورد في البروتوكولات كان من صنع حكماء العدو الصهيوني ، كما تؤكد تصميم العدو على الاستمرار في برنامجه الاجرامي .

وفي المقدمة التي كتبها المؤلف نويهض يذكر (في الصفحة الثالثة) بأن البروتوكولات هي المخطط الذي وضعه رجال المال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية . . ثم الاسلام ! وقد قرر أصحاب البروتوكولات أن يتم تنفيذها في خلال مئة سنة ، قبل عام 1997 ، اذ يعتقد اليهود الصهيونيون أنهم سيستولون على العالم ، ويقيمون ملكاً يهودياً داودياً ، له من الحيلة والوسيلة ما يمكنهم ، وهم أقلية ضئيلة ، من حكم العالم بأسره حكماً أوتوقراطياً ، بحيث لا يجاوز الدين اليهودي التلمودي دين آخر . . لا مسيحية ولا اسلام !

ويشير المؤلف نفسه الى أن ظهور بروتوكولات حكماء صهيون ، سنة 1916، في بلاد الانجليز ، أثر الثورة البلشفية (1917) التي أطاحت بحكم القياصرة . غير أن العرب ـ والكلام ما زال للمؤلف ـ لم يقفوا عليها ، ولم يتسن لهم ذلك الا في منتصف هذا القرن والى حد قليل ، وعلى نطاق محدود (انتهى كلام المؤلف) .

ومن تحصيل الحاصل أن نقرر ـ كما ذكرنا في مقدمة هذه الخواطر ـ حرص الصهاينة على انكار نسبتها اليهم ، وعلى الحيلولة دون وصولها الى القراء في ديار المسلمين . . فضلاً عن عامة القراء في كافة بلاد العالم ! الى درجة أن هنري فورد (الجد) مؤلف كتاب اليهودي العالمي ، حين سئل عن رأيه في البروتوكولات ومدى صحتها . . رد بجواب موارب ، قال فيه : إن التعليق الممكن قوله بهذا الصدد هو أنها تنبأت تماماً بما يجري اليوم (تاريخ سؤاله) وقد تطابقت ، بحذافيرها كافة ، التغييرات والأوضاع العالمية التي حدثت اليوم . . وما تزال كذلك حتى هذه الساعة (مقتبسة بتصرف عن الطبعة للكتاب 1988 ـ مقدمة الناشر ـ دار النفائس ـ بيروت) .

● والحق أن مسلسل التآمر والعدوان والغدر وخيانة العهد والمواثيق الصادر عن اليهود ، يعد أطول مسلسل تآمري ضد الإسلام والمسلمين ! والغريب ليس في العرض المستمر للمسلسل . . بل في المتفرجين عليه ، وكأنهم يشاهدون مسلسلاً تلفزيونياً مسلياً طافحاً بالإثارة ولا يحفلون بما فيه من المآسي والدماء والدموع والشماتة والكوميديا السوداء والمضحكات المبكيات والشخوص المعقدة ذات الوجوه المتعددة و . . كافة عناصر وبهارات المسلسل التلفزيوني التجاري !

● بقي علي أن أقول بأن خواطري ، حول هذا المسلسل ، تداعت الى ذاكرتي ،

بعد جريمة احتلال دولة الكويت من قبل المنظمة السرية التي تسلطت على العراق وحكمته بالقمع والارهاب وغياب حقوق الانسان ، وحضور العيون والجواسيس والمخبرين المكرسين لملاحقة كل مواطن ومقيم في العراق الشقيق ! الى درجة أن الإنسان هناك بات يخشى من عياله وأهله وعشيرته وجيرانه !

وكنت قد ذكرت ، في تقرير سابق ، شهادة فلسطيني مسن . . عايش وعانى من الارهاب الصهيوني ضد سكان فلسطين المحتلة . . فبعد أن شاهد العربدة الابليسية التي استباحت الكويت وعاثت فيها سلباً ونهباً وقتلاً وتدميراً واعتقالات عشوائياً ، لا يحفل بأي أخلاق عربية ، وتعاليم وقيم اسلامية ، وقوانين وتقاليد وأعراف دولية انسانية . أقول بعد أن شاهد ذلك كله ، حلف باللّه ثلاثاً بأن ما فعلته قوات وعصابات المنظمة الارهابية السرية الحاكمة المتحكمة في العراق . . فاق وبز ما قامت به العصابة الارهابية الصهيونية التي تحتل فلسطين المحتلة !

ولعلني لا أذيع سراً ، حين أقول ، بأن الأوساط الصحفية والمنتديات السياسية ، اعتادت اتهام الزعيم الفلاني والرئيس العلاني ، بوصمة العمالة لأي دولة أجنبية ! صدّق أو لا تصدق ؟! ومن حقك أن توافق أو تختلف مع هذا المنحى . . فهذا شأنك . . ولن أجادل فيه لأن التهم تطلق جزافاً بدون بينة تبرهن على صحة هذا الزعم ، لأن الأهم من ذلك كله هو : ممارسات وسياسة النظام الفلاني التي تؤدي ، في النهاية ، الى تحقيق الأهداف الصهيونية . . فالعبرة ـ كما ترى ـ تكمن في نتيجة وآثار سياسة هذا النظام وتجييرها لصالح الصهيونية العالمية . . بغض النظر عن انتماء النظام ورئيسه الى فصيلة التقدميين العلمانيين أو الى عشيرة الرجعيين المؤمنين !

ومهما تكن النتيجة التي سينتهي اليها احتلال المنظمة السرية لدولة الكويت ، فإن المحتلين ـ بوعي أو بدونه ـ قد أسهموا في تنفيذ مخطط سيناريو المسلسل الصهيوني الطويل ، كما أنهم حققوا لاسرائيل ـ في غضون ستة أشهر ـ (التي أعقبت احتلالها للكويت) ما عجزت اسرائيل عن تحقيقه خلال ربع قرن (من نكسة حرب 1967 الى جريمة احتلال الكويت 1990) .

ولا حول ولا قوة الا بالله !

***

الكلمة الرصاصة

طوال الأسبوعين اللذين أعقبا الاحتلال الغاشم ، كنت أتردد على دار القبس ، حيث ألتقي هناك بمجموعة من الزملاء الصحفيين العاملين في صحيفة القبس . .

وفي صبيحة يوم الغزو (1990/8/2) كان هناك أغلب العاملين في الصحيفة وبمعيتهم عدد من الزملاء العاملين في الصحف الكويتية اليومية التي تقع في شارع واحد « شارع الصحافة » وكان الجمع يلتقي بمكتب الزميل فريد حلاوة ، سكرتير تحرير الصحيفة . . وأذكر ، في أول أيام الغزو ، أن الاتصالات كانت تجري بين العاملين في القبس وبين ناشريها حيث جاء الخبر قرابة الساعة الثانية عشرة ظهراً بضرورة مغادرة الزملاء لمبنى الصحيفة لأنها لن تصدر . ويبدو أن ناشري الصحف الكويتية قد اتخذوا قرارا بعدم الصدور طوال فترة الاحتلال . ولذا فإن عدد الخميس الصادر في 1990/8/2 هو آخر عدد يصدر من الصحف اليومية الكويتية . وأحسب أن هذا العدد لم يصل إلى غالبية المشتركين وبقية القراء لأنه لم يتسن لدور الصحف توزيعه . . ففي أثناء زياراتي المتكررة لصحيفتي الوطن والقبس ، لاحظت عدد الخميس رزما مكدسة في المطابع والمخازن وعلى مداخل ادارة التوزيع وبين الأروقة والممرات .

وقد لاحظنا أن قوات الاحتلال لم تقترب من شارع الصحافة ، حيث تقع مباني أغلب الصحف والمجلات الوطنية .وقد ظلت دور الصحف بمنأى عن أي ما يضيرها قرابة العشرين يوما التي أعقبت الاحتلال ، الأمر الذي مكننا من التجمع صبيحة كل يوم في صحيفة القبس ! ومن ثم ينتقل بعضنا إلى مبنى صحيفة الوطن فترة الظهيرة .

وفي اليوم الثاني من الاحتلال ، قامت السلطات المحتلة بقطع الاتصالات الخارجية ، فلم يبق لنا سوى محطة [CNN] الأميركية لتصلنا بأخبار العالم الخارجي . . ولعل وجودها هو أحد أسباب تجمعنا اليومي في القبس . وكان جل الحاضرين من الزملاء العرب . . فبعد اليوم الأول من الغزو لم أر في تجمعنا اليومي سوى الزميل غازي الجاسم من الزملاء الكويتيين . . فالبعض منهم اختار النزوح بمعية أهله . . والبعض الآخر راح يصدر صحفاً ومنشورات سرية وانضم إلى اللجان الاعلامية المنبثقة عن اللجنة الشعبية لكل منطقة ليقوم بدور اعلامي تحريضي يجابه من خلاله الاحتلال الغاشم وتحدياته !

***

الصمود الشعبي

لسان حال حركة المقاومة الشعبيه الكويتيه (حماك)

تصدر تحت الرحمن
١٥ اغسطس ١٩٩٠
العدد الخامس

الإفتتاحيه

درب الحريه مليء بالامل والتضحيات

الغزو البربري للجيش العراقي للاراضي الكويتيه في الثاني من اغسطس الجاري ، اول احتلال اجنبي للكويت في تاريخنا الحديث ، فهذه الدولة الصغيرة والمسالمه ، لم تكن يوما من الايام ارض محتله لأي قوى عسكريه اقليميه او عالميه مع انها كانت محميه بريطانيه منذ يناير عام ١٨٩٩ ، الا انها لم تتحول الى قاعدة عسكريه اجنبية ، ومنذ استقلالها في ١٩ من يونيو ١٩٦١ ، وهي تحافظ على موقف متوازن من الصراع بين الشرق والغرب واحتلت مكانة مرموقه في حركة عدم الانحياز وعملت على ان تكون واحة سلم وامان وفجاة وبدون مقدمات تسقط مؤسسات الدولة وتدوس اقدام الغزاة اراضي الكويت في يوم صيفي غامض، ولكن الشعب الكويتي الذي ترعرع في حضن للدولة الدستوريه وعشق الحريه وقيم التقدم والوطنيه ، رفض من الدقيقه الاولى واستهجن مسرحية صدام في "الثورة والانتفاضه والحكومه المؤقته والوحدة وعودة الفرع الى الاصل" وقرر كل ابناء الكويت وابناء الشعب الكويتي [illegible] مقاومة الاحتلال والعمل على عودة الشرعيه الدستوريه بدعم كامل من الدول العربيه والمنظمات الدولية بمؤسساتها العالميه وخاصة منظمة الأمم المتحدة وهذه المقاومه تتمحور حول :

١- التمسك بالارض والدفاع عن الوطن بكل السبل المتوفره وعدم الهرب من البيوت والمساكن والبقاء على ارض الكويت ،

٢- التجاوب والعمل مع لجان العمل الشعبي السلميه في كل المناطق كل حسب تخصصه ،

٣- الاقتصاد في استهلاك الأكل والمواد الغذائيه وتوزيعها بين العوائل بصورة تناسب كل حسب حاجته وعدد افراده ،

٤- تنويع اساليب المقاومه السريه والعلنيه ضد قوى الاحتلال مثل تظاهرات النساء في الضواحي والاحياء والتطوع في العمل الصحي والانساني ودفع الشباب الانخراط في الخلايات السريه للمقاومه بعد التدريب والالتزام بمفاهيم الربط والضبط والسريه ،

ودرب الحريه طويل ومليء بالتضحيات والآلام وان الكويت المحرره من الغزاة لابد ان يشرق فجرها عما قريب باذن الله

ارفعوا الاعلام على البيوت

فلنرفع أعلام الكويت على بيوتنا جميعا ، فلنقم بفعل ضد الاحتلال ، فليرفرف علم الكويت على بيوتنا عاليا خفاقا ،

ماهي الطيارات التي سرقها الاحتلال

الصمود الشعبي - المطار

أكدت مصادر مطلعة للصمود الشعبي بان عدد الطائرات التي سرقتها قوات الاحتلال من المطار كانت كالتالي :

(٨) باص جوي
(٢) تاكسي جوي
(١) بوينج ٧٢٧
(٢) بوينج ٧٦٧
(٢) جلف ستريم٣

وقد اشارت المصادر بان هذه الطائرات كانت تابعة للخطوط الجوية الكويتيه وقد نقلت جميعها الى بغداد ،

استشهاد طفل امام عيني امه برصاص الاحتلال

استشهد طفل الكويتي ١٣ سنه علي ابراهيم الريحان في منطقة كيفان حيث اطلق عليه جنود الاحتلال النار امام عيني امه والجدير بالذكر بان شقيق الطفل عبدالله ابراهيم الريحان كان قد استشهد ،
رحمهما الله واسكنهما فسيح جناته

لانريد المزيد من الاشاعات والإخبار غير الدقيقه

الصمود الشعبي - خاص

حصلت الجريده على مجموعه من بيانات الصمود الشعبي في الكويت وهو امر محمود ومطلوب ويدل على اننا لازلنا كشعب اقوياء واحياء ومتمسكون بتراب هذا الوطن وحكومته وشرعيته الدستوريه والذي بدونها يصبح هذا الوطن الذي نعرفه ،
الا اننا يجب علينا ان نحذر بشده من التمادي في اطلاق الشائعات تحت تاثير الحماس والرغبه في حماية الوطن ، فالمثل الكويتي يقول الصبح يكذب الليل فلا داعي لان نرفع امالنا بالشائعات ونحن لن يغير لدينا في الامر شيء ان مات صدام او ظل حيا ولكن مايهمنا هو خروج قوى الاحتلال وعودة الحكومة الشرعيه واستتباب الامن والعدل في ارضنا الطيبه ، :
فاحذروا الشائعات حتى التي تاتي من اخواننا واحبائنا في الخارج فاثرها السلبي اكثر من الايجابي

المدنيون العراقيون بداوا باحتلال البيوت الخاليه

بدات جحافل من العراقيين القادمين من مناطق مختلفه من العراق باحتلال المساكن الخاليه من اهلها ، ولذا فاننا نهيب بمواطنينا بعدم مغادرتهم لبيوتهم والتمسك بوطنهم وارضهم بدلا من التشرد .

ساعدوا الجنود العراقيون على تسليم انفسهم

يرغب العديد من جنود الجيش العراقي بتسليم انفسهم حيث يتخلون عن ملابسهم العسكريه ويطلبون ملابس مدنيه للهروب ، فساعدوهم وحاولوا ان تكسبوهم فهؤلاء الجنود مظلومون ،

مامعنى العصيان المدني

تستخدم الشعوب في نضالها اسلوبا مؤثرا للضغط على سلطات الاحتلال وهو الامتناع والاحجام عن القيام او المشاركة باي نشاط انتاجي الا الضروري منه كالخدمات الصحيه والاطفاء وماشابه ،
ويعني ذلك ضمن مايعنيه الامتناع عن الذهاب للعمل واغلاق المحال التجاريه ، لقد نجح العصيان المدني وكان واضحا ان هناك شللا قد سيطر على العديد من اماكن العمل ، فلندعم هذا العصيان ولنلتزم به ،

بسم الله الرحمن الرحيم

وما النصر إلا من عند الله

صدق الله العظيم

جريدة **صرخة** كويتية يومية

قال رسول الله (ص):
يا معشر بني هاشم، لا يجيئني الناس بالاعمال، وتجيئون بالانساب.
(حديث شريف)

العدد الرابع / ٢٥-٨-١٩٩٠

يرجى تصويرها أو نسخها وتوزيعها.

إفتتاحية

مبادرات القادة العرب والمسلمين لحل القضية الفلسطينية جميعها مبادرات "تلفزيونية" اعلامية تطلق لاحتواء روح الجهاد والاستشهاد .. واللعب بعواطف الراغبين في الجهاد والاستشهاد عبر تعبئة اعلامية مرقت العرب وقوضت اركان تضامنهم وجلبت الترسانة العسكرية الغربية الى المنطقه ... الى آخر النتائج الوخيمة التي ترتبت على اجتياح الكويت واستمرار احتلالها.

ان الواحد هنا لا يكتب تحليلا سياسيا رصينا يشابه ما يعرضه حضرات المعلقين عبر الاذاعات الناطقة بالعربية في الشرق والغرب ... بل انه يكتب بلسان الانسان العادي المتمثل في المواطن والمقيم الذى اختار ان يصمد ويدافع عن بيته ووطنه الصغير، يكتب باسم كل الناس، مثله مثل كل كاتب وكاتبة في هذه الصحيفة، مداده نبض الشعب من الكويتيين بالجنسية والانتماء .. والكويتيين بالوجدان والفعل والاختيار.

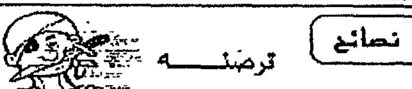
ان الاحتلال كريه وبغيض، ومع ذلك فان له "منافع" تنفذ من باب "رب ضارة نافعة" واول فائدة لا تعدلها فائدة هي: اللجوء الى المولى سبحانه وتعالى والاستنجاد به قبل واثناء وبعد كل صلاة وفي كل مكان وزمان، لان الناس هنا يعتقدون - بحق - ان الله حق وعدل وقوة. ومن هنا فانهم لا يضيعون وقتهم في الحديث عن "المبادرات" التي استهلت على الديره والخليج من صوب! بل يستمعون الى ما يفيد في التعبئة والاحتشاد والصبر والصمود، وما الى ذلك مما يعرفه الجميع. أما الفائده التي اكتشفها "جواهرجي" المحنة بمحك الفعل والانجاز .. فانها تكمن في ينبوع روح التراحم والتكافل والتكاتف .. و.. الى آخر القيم التي تشكل بنيان الشخصية الاسلامية التي نقرأ عنها في كتب السير والتراجم والتاريخ فضلا عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفه.

الحاصل - ياجماعة الخير - ان هذه "الضارة" نافعة .. ومنافعها عديده. وسوف نعرض في الاعداد القادمة .. لان "الصرخة" من الجميع ويهتف بها الكل - المواطن والمقيم - رافضا الاحتلال والحلول "التلفزيونية" المائعة والمكشوفة "زلبط ملبط" ربي كما خلقتني!!!

ولا حول ولا قوة إلا بالله ......

نصائح

ترصّنه



تقوم عصابات مسلحة فلبينية تتكون من ٦-٧ افراد بسطو ونهب عدد من البيوت الكويتية وخاصة التي يعملون أو عملوا بها سابقا، فقد قامت احدى هذه العصابات المنحرفة بالهجوم على بيت في المالديه وسرقة كل ما خف وزنه وغلى ثمنه بعد تشبد راعي البيت المسن وخادماه الهنديان وتهديدهم ونحن بدورنا نحمل السفارة الفلبينية كامل المسؤلية تجاه ذلك وتفتيش رعاياها الذين اسكنتهم في بيت لم يكمل بناءه والذى اصبح بؤرة فساد وانحراف ومنار للريبة ... وجاري الان البحث عنهم بالتعاون مع بعض الفلبينيين الشرفاء لكي ينالوا العقاب اللازم .. كما نحذر المواطنين والمقيمين من هذه الشلة المنحرفة واتخاذ اللازم تجاهها، ويحق القول هنا:

ان انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

« صرخة » صحيفة يومية سرية
1990/8/14

الصحافة الشعبية التعبوية

● صحيح ان صحف ومجلات الكويت غابت عن القراء ابتداء من 1990/8/3 الا أن الصحافة البديلة ظهرت خلال الأسبوع الأول من الاحتلال بصورة صحف ومنشورات وملصقات وكتابات وعبارات تعبوية تحريضية احتوتها جميع جدران المدارس والمرافق العامة وغيرها . . ويجدر بي التنويه بأن صحافة الجدران كان يحررها الصبيان والفتيان ، الذكور والاناث ، على حد سواء . وكان جنود الاحتلال يعمدون إلى مصادرة ما يخطه الفتيان في الصباح . . الذين يقومون بدورهم بمعاودة كتابة ما يعنّ لهم من عبارات وشعارات في العشية وقد اعتقل العديد من الفتيان بسبب هذه الفعلة !

وبعد أسبوع من الاحتلال كانت جميع محافظات ومناطق الكويت المحتلة تصدر مطبوعاتها السرية .

ووسط هذا المناخ الاعلامي ، صدرت الصرخة عن اللجنة الاعلامية الثقافية للجنة منطقة كيفان الشعبية . ففي اليوم الثالث من الاحتلال لقيت الأخ الدكتور بدر الشيباني ، الأستاذ بكلية التربية بجامعة الكويت ، فاقترح عليّ اصدار صحيفة سرية . . وقد لقي اقتراحه هوى في نفسي ، ولم يمر على الاقتراح سوى سويعات قليلة حتى كنا نجتمع في منزله لاصدار العدد الأول من الصرخة الذي صدر بتاريخ 1990/8/14 .

وقد جلب الدكتور بدر الى منزله جهاز كمبيوتر وماكنة التصوير . . وكان يقوم لوحده بطباعة واخراج واستنساخ « صرخة » فضلاً عن اسهامه في تحريرها وقيامه باخراجها .

وقد صدرت صحيفة صرخة ، في البداية ، بأربع صفحات تحوي الكلمة التحريضية والقصيدة التعبوية والأخبار والمعلومات والمقالات والخواطر والمقابلات الصحفية مع بعض الجرحى العراقيين الرافضين لمهمتهم التي أقامت العالم ولم تقعده!

والحق بأن الدور الذي قام به الدكتور الشيباني محفوف بالأخطار . . لأن منزله يضم كل الممنوعات التي حرمت اقتناءها السلطة المحتلة . فقد كان منزله يحتوي على أجهزة كمبيوتر واستنساخ « تصوير » وكاميرات تصوير وآلات طباعة وكميات كبيرة من الورق والأحبار .

وكانت ليلى محمد صالح وسعدية مفرح وغنيمة زيد الحرب ، وموضي المفتاح يمثلون أسرة تحرير صرخة ، أضف إلى ذلك العديد من المندوبين الذين يزودون الصحيفة بالأخبار والمعلومات مثل : لولوة محمد الرشيد (المحامية) وعبد الله عبد القادر تيفوني ومحمد عبد الله الشهاب وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم ساعة الكتابة !

***

كيف توزع الصحيفة؟

● أما مهمة التوزيع ، فقد كان يتولاها نخبة من شباب مناطق كيفان والشويخ والخالدية والشامية والفيحاء ومشرف وبيان والشعب والجهراء والأحمدي ، أتذكر منهم : حسن فلاح الشبعان وأحمد محمد الكعكي (سعودي) وصالح ومشعل الصقعبي وعبد الله المذن(بوصلاح) ووضاح سليمان الفهد وأحمد الراشد واحسان الساير وحسين علي المنصور وغيرهم (من الجنسين) . ولعل توزيع الصحيفة السرية هو أخطر مهمة في عملية اصدارها ، سيما إذا علمنا أن نقاط وحواجز المراقبة والتفتيش مزروعة في كل مكان . ويجدر بي ، في هذا السياق ، الاشادة بالدور الشجاع الذي قامت به المرأة الكويتية في عملية التوزيع المحفوفة بالأخطار . فقد أصدرت السلطة المحتلة فرمانا قراقوشيا يقضي باعتقال كل من يضبط بحوزته مطبوعات وطنية مثل الصرخة ومثيلاتها . وقد اعتقل العديد من الشباب بجريرة اقتناء المنشورات والصحف الشعبية التعبوية التحريضية !

وعلى الرغم من أن شهادتي في الصرخة مجروحة ، فإنه يمكنني احالة القارىء إلى

شهادة الأخوة الأعداء التي تبدت في ردة فعلهم الشرسة ، حيث راحوا يداهمون المنازل ويقلبون عاليها سافلها ، بحثاً عن الممنوعات السالف ذكرها . فضلا عن تفتيشهم للسيارات واعتقالهم لكل من يضبط متلبسا بحيازة الممنوعات الاعلامية والابداعية الرافضة للاحتلال ، المحرضة على مقاومته ودحره .

وقد طاش صواب السلطة الارهابية المحتلة حين وجدت الصحافة الشعبية المناضلة حاضرة في كل مكان تداهمه . . ولا أعرف ما حدث لها حين سمعت بعض الاذاعات العربية والأجنبية تبث أخبار المقاومة الكويتية العسكرية منسوبة إلى الصحف السرية الصادرة من داخل الكويت المحتلة . ذلك أن نسبة هذه الأخبار إلى الصرخة ومثيلاتها يدلل على أن نسخا منها تتسلل ، عبر الحدود ، بمعية النازحين من المواطنين والمقيمين على حد سواء .

الشاب أحمد الراشد قام بتوزيع «صرخة» و «٢٦ فبراير» وشريط هنا الكويت

ولذا ، اعتبرت السلطات العراقية المحتلة الغاشمة حيازة أي مطبوع وطني تحريضي سري جريمة تستوجب الاعتقال والتعذيب والتحقيق والعقاب والقمع الذي يصل إلى حد الاعدام !

● وكما ترون ، فإن ردة فعل المحتلين تجاه صحافة الصمود والمرابطة والمقاومة تشي بأن هذه الصحافة فاعلة ومؤثرة تستوجب المصادرة والاحتواء . . بشتى السبل والوسائل ! ولا أحسب أن الأخوة الاعداء يتخذون هذا الموقف الغاضب الا لشعورهم بأن هذه الصحف والمنشورات السرية تقوم بدور تعبوي نضالي تحريضي لا يقل أثرا وخطورة عن السلاح والمقاومة العسكرية !

وقد راح المحتلون يكثفون من مداهماتهم للبيوت وتفتيشهم للسيارات بحثا عن الأماكن والأشخاص الذين يصدرون هذه المطبوعات الوطنية المناوئة للاحتلال والمحرضة على المرابطة والصمود .

وكانت الصرخة تصدر خمس مرات في الأسبوع . . لتعذر صدورها يومياً بسبب اصرار أخينا د . بدر الشيباني ، على أن يقوم بمهام إخراج ومراجعة وطباعة وتصوير استنساخ كل عدد بنفسه ! وكان يساعده في الكثير من الأحايين ابن اخته الفتى طارق حسين علي المنصور .

وتمكنت الزميلة سعدية مفرح من مقابلة بعض الضباط والجنود العراقيين الجرحى . . وأجرت معهم لقاءات صحفية جريئة ومثمرة . كما تمكنت من لقاء الممرضات الفلبينيات اللواتي تعرضن لعمليات اغتصاب من قبل بعض جنود قوات الاحتلال وأجرت مع أفراد الجماعتين مقابلات صحفية أثارت اهتمام وإعجاب القراء . . واغضبت واستفزت السلطة الإحتلالية الارهابية .

وكانت الأديبة ليلى محمد صالح مستعدة للقيام بأي مهمة ما دامت من أجل الديرة وصالحها . ولذا تراها تقوم بتوزيع الصحيفة وتزودها بالمواد الصحفية التي تصيغها هي أو الآخرون ، وتعمل مخبرة صحفية لا تمل أو تكل من جمع الأخبار الصحيحة الموثقة . وتكتب المقالات المكرسة لدور المرأة في مقاومة الاحتلال .

أما بنت محافظة الأحمدي الحجية موضي المفتاح ، فقد كانت تنافس كونا في بث الأخبار والذي منها ! فضلا عن اسهامها في تحرير بعض مواد أعداد الصحيفة .

وقد أسهم الزي الاسلامي ـ أو الحجاب ان شئت ـ بدور بطولي نضالي دوّخ الاخوة الأعداء وأثار بطشهم وعربدتهم ! فكان الزي خير حجاب لستر الممنوعات المذكورة عن أعين رجال أمن القوات المحتلة .

وقد تفنن الموزعون في ابتداع أساليب التمويه والاخفاء . . فتراهم تارة يضعون نسخ الصحيفة في كيس بلاستيك ثم يحشرونه في كرش خروف أو معدة سمك الهامور أو داخل ثمرة قرع أو بطيخ . . وما إلى ذلك . وكان الاخوة الأعداء بدورهم يتعسفون في التفتيش ومداهمات المنازل والمساجد والديوانيات ، سعيا وراء الخلايا التي تنزف الكلمات التعبوية التحريضية الرافضة للاحتلال الغاشم المتصدية له بالكلمة الطلقة والقلم المدفع !

كان بيت د . الشيباني ، في منطقة كيفان ، عرضة للمداهمة في أي لحظة . . وكانت جميع المحظورات والممنوعات ـ كما أسلفت ـ تتكدس في جنبات وغرف

البيت . وحتى حديقة المنزل الخارجية كانت مزروعة بالأسلحة والقنابل اليدوية وغيرهما . ومع ذلك كله ، فان أغلب اجتماعاتنا وانجازنا لصحيفة الصرخة كانت تتم في هذا البيت الطيب . ولم نغادره الا لماما حين تأتينا معلومة بأن العيون تحاصر وتبحلق وتراقب الداخل والخارج .

والطريف ـ إن كان في الأمر طرافة ـ التنويه هنا بأن الدكتور الشيباني المعرض للإعتقال في بيته بأي لحظة متلبساً بحيازة الممنوعات واصدار جريدة سرية لم يحدث له شيء طوال الشهور الأربعة التي مضت على الأحتلال البغيض . . والتي تم فيها اعتقال المئات واعدام العشرات . لكنه تم القبض عليه في الشارع ، بجوار منزله ، وهو يهرع صوب المسجد لأداء صلاة الجمعة .

وكان صاحبنا يلقم معدة الكمبيوتر ، كل المواد الصحفية المعدة للنشر ، بطريقة تقنية صعبة المنال ، بل مستحيلة المنال على فهم وذكاء أي مفتش ! ولا اعرف كيف . . لأن بوناصر أكاديمياً متخصصاً في الكمبيوتر و يدرسه في الجامعة .

***

« صرخة » تلعلع في الكويت المحتلة

لأسباب أمنية ، فقد كان اجتماعنا اليومي يقتصر على الدكتور بدر وبمعيته العبد للّه ، كاتب السطور ، فقط ! أما بقية أسرة التحرير فقد كان الاجتماع معها على الهواء مباشرة عبر التلفون . . سيما وأن أغلب أسرة التحرير من الزميلات اللواتي يقطنّ في مناطق متباعدة . . والحق أن اجتماعنا لم يكن تقليدياً ، بل انه برنامج تنفيذي مطلوب انجازه أثناء فترة الاجتماع . . ومن هنا كانت تنهال علينا الأخبار والمعلومات والقصائد والافتتاحيات ، عبر الهاتف ، عصرية كل يوم . ومع أن التلفون وسيلة اتصال سهلة ، فانها لم تكن مضمونة بسبب الرقابة على العديد من التلفونات في كل منطقة سكنية في الكويت المحتلة .

والصرخة اسم اختاره الدكتور بدر الشيباني . . ولم يكن ثمة مجال لممارسة ترف الجدل هو الاسم . . لأن ما يعنينا ـ ويعني القراء ـ ما تلعلع به الصرخة وتزأر به وتطلقه من كلمات لها معنى وجدوى ووظيفة . لكن ذلك لم يمنع العبد للّه من أن يتحفظ على اسم

الصرخة بدعوى أنه تقليدي ومدرسي يذكرني بأسماء صحف الحائط التي كنا نصدرها في المراحل الدراسية ؛ الابتدائية والاعدادية والثانوية ابان عقد الخمسينات !

الحاصل أن اسم الصحيفة انتشر واشتهر بين أوساط الصامدين في الكويت المحتلة .

ومع صدور العدد الثاني بتاريخ 1990/8/15 ، صار القراء يتساءلون عن موعد العدد الجديد ، وجاءنا من يطلب حجز أعداد لهم قبل نفاذها ، وعمد بعض القراء إلى تصوير الاعداد التي تصدر ومن ثم يقومون بتوزيعها على الكثيرين من القراء في كل منطقة .

والمؤسف هنا أن الأعداد التي تسللت ، عبر الحدود ، ووصلت إلى بعض ما يسمى بالمراكز الاعلامية الكويتية في بعض العواصم الخليجية والعربية قبرت في الأدراج واستحوذ عليها بعض القيمين على هذه المراكز ، بينما من المفروض عليهم ايصالها إلى الاذاعات ودور الصحف ووكالات الأنباء . ولا أعلم ، حتى هذه الساعة سر هذا التعتيم الشاذ . . وأتمنى أن نسمع من هذه العينة من المسؤولين تفسيراً لهذا الموقف الغريب المريب الشاذ ! ومع ذلك كله ، فان الصحيفة لم تعدم بعض المواطنين والمقيمين الغيورين الذين هربوها وأوصلوها إلى بعض الاذاعات الخليجية والعربية . ولك أن تتصور سرور المتطوعين للعمل في الصحيفة السرية وهم يسمعون اسمها يلعلع في نشرات الأخبار والتلفزيون منسوباً إليها العديد من أخبار المرابطين الصامدين في الكويت المحتلة .

***

سكوت « صرخة »

نوهت ، آنفاً ، بأن توزيع المطبوعات الوطنية التحريضية السرية يعد أخطر مهمة في اعلام الصامدين . . إذ بينما نكتب ـ نحن معشر الكتاب ـ في بيوتنا ومنازل أهالينا وأقاربنا وأصدقائنا وسط حماية من العيون والناظورجية الذين ينبهوننا إلى المداهمة التفتيشية المحتملة ، قبل حدوثها بوقت يكفي للتخلص أو اخفاء الممنوعات التي كانت بين أيدينا وفي حوزتنا . لكن زملاءنا الشباب المكلفين بمهمة توزيع المطبوعة السرية فلهم اللّه ! فقد كان هاجس الاعتقال يسكنهم ويلاحقهم طوال ساعات أدائهم

لمهمتهم . وكان الشباب يؤدون المهمة بروح التطوع المترعة بالحماس والشجاعة والفروسية . . إلى درجة أن اعتقال بعضهم لم يؤثر ـ سلباً ـ في معنوياتهم ، بل شحنهم بطاقة الصبر والعناد والفداء . ولم يطلب منهم التوقف عن أداء هذه العملية الا بعد أن اعتقل الكثيرون منهم . وصدر بحق بعضهم حكم الاعدام !

والمهم أن الصحيفة استمر صدورها قرابة الشهرين . . وقد اضطرت إلى التوقف اثر تزايد عدد من اعتقل منها ، فضلاً عن تكثيف السلطات المحتلة لعملية مداهمات البيوت ، ليلاً ونهاراً ، بسبب وبدونه !

ولم يتم التوقف مباشرة ، بل حدث بصورة متقطعة متباعدة لايهام الاخوة الأعداء بأن صحيفتنا قد توقفت ، فضلاً عن تخفيف احتمالات الخطر التي تنتظر الشباب المكلف بالتوزيع . لكننا اضطررنا ، أخيراً ، إلى ايقاف الصحيفة حين شعرنا بأن المراقبة شديدة ، والمداهمات كثيرة ومتواصلة والاعتقالات تجاوزت التصور والمنطق !

فقد وصل الجنون بالسلطات المحتلة إلى درجة أن عملية المداهمات والاعتقالات كانت تتم بصورة تعسفية لا تحتاج إلى سبب أو ذريعة !

وقد استعانت اللجنة الشعبية لمنطقة كيفان بصحافة واعلام المساجد ، بديلاً عن الصحافة الشعبية المكتوبة . فمن خلال منابر وميكروفونات المساجد كان الصامدون يقرأون الصحيفة السرية وكافة المعلومات والتوجيهات والمواعظ عبر أسماعهم .

ولأن أغلب الناس يؤدون فروض الصلاة في الجوامع ، فقد كان ايصال الخبر والمعلومة والتعليق والإشادة والتوجيه والتحريض ، فقد كان المسجد الجامع خير وسيلة لأداء الدور الاعلامي المطلوب .

وهكذا تحولت الجوامع إلى منابر اعلامية تحرض على فعل المقاومة والصمود والمرابطة والصبر والثقة بالنصر والفتح والتحرير القريب .

ولم يكن الاخوة الأعداء بعيدين عما يقال ويلعلع في المساجد لأن المخبرين ورجال الأمن والاستخبارات وأفراد الطابور الخامس لا يوفرون مكاناً من حضورهم وتواجدهم ومداهماتهم المستمرة المتواصلة . . ليل نهار !

ولذا فقد تعرض العديد من الخطباء إلى المساءلة والتحقيق والاعتقال والتعذيب ! والأنكى من ذلك كله أن البعض منهم قد أعدم بجريرة خطبة أو كلمة طيبة دحرجها على

مسامع الحاضرين بعد الصلاة !

والحق أن المسجد كان محور الفعل والحركة والأنشطة التي كان يقوم بها المتطوعون في شتى مناطق الكويت . وكان الخطاب الاعلامي الخارج من المحراب بمثابة الاذاعة والتلفزة والصحيفة حيث يسمعون من خلاله ما يشفي غليلهم ويثري معرفتهم بالمعلومة الصحيحة والخبر اليقين ويدرأ عنهم خطر الحرب النفسية المدججة بالأكاذيب والتخرصات والاشاعات والوقائع المحرفة المنحرفة . . ويشحن بطاريات معنوياتهم بالأمل والعزيمة وكل القيم المحرضة على الصمود والمقاومة والمرابطة .

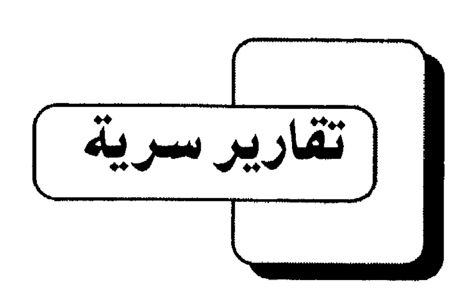
وبهذا المعنى ، فان الاعلام الشعبي التعبوي التحريضي لم يغب البتة عن مجتمع الصامدين في الكويت المحتلة ، طيلة شهور الاحتلال الغاشم .

ومن هنا ، أقول بأن العديد من الخطباء قاموا بدور اعلامي وطني مشرف يستأهل التنويه والاشادة .

ولا يظن أحد بأن المساجد كانت بمنأى عن قمع وارهاب السلطة المحتلة الديكتاتورية . . لأنهم لا يحفلون بحرمة بيوت اللّه ويضيقون بالخطاب الإسلامي الواعي المستنير ، ولا يطيقون سماعه لاعتقادهم بأن كل آية قرآنية كريمة أو حديث نبوي شريف يردان في سياق الخطاب ، معجونة بالتورية والاسقاط وكل ما يمت بصلة إلى محنة الاحتلال الغاشم ، وإلى الكيفية التي استجاب بها السلف الصالح نحوها .

ولذا كان من المألوف مشاهدة المخبرين والجواسيس والبصاصين ورجال الاستخبارات يقفون في الساحة الخارجية للمسجد أو يجلسون متناثرين ، داخل جنباته ، يصيخون السمع لكل شاردة وواردة في حديث الخطيب ، بينما واحدهم مدجج بكامل سلاحه . . وكأنه في ساحة حرب ، لا في حرمة جامع ! وإذا بدا لهم أن الخطيب خرج على النص الذي ألفوا توزيعه على خطباء جوامع العراق ، فانهم لا يتورعون عن اعتقال الخطيب واقتياده مخفوراً إلى المخفر ، ومن ثم السجن !

* * *



تقارير من داخل الكويت المحتلة

● حين اضطرت الصحف الشعبية السرية إلى التوقف ، فان بعض الكتاب الصحفيين لم يتوقفوا عن الكتابة السرية ، حيث يهربون تقاريرهم الصحفية بمعية النازحين ، عبر السعودية أو الأردن ، فضلاً عن لجوء بعضهم إلى استخدام الفاكس السري الذي كان بحوزة بعض القياديين الصامدين في الكويت المحتلة .

فالعبد للّه ـ كاتب السطور ـ مثلاً هو واحد من الذين واصلوا الكتابة طوال شهور الاحتلال ، حيث كان يسلم ما يكتبه من تقارير صحفية إلى الأخ صباح ناصر سعود الصباح ، احد القادة الشباب القيمين على ادارة حركة العصيان المدني والمقاومة الوطنية العسكرية وغيرهما . وكان الأخ الفنان عبد الامام عبد اللّه هو المكلف بحمل كل تقرير أقوم بانجازه إلى الأخ بوناصر الذي كان يرسله إلى وكالة الأنباء الكويتية . ولا أعرف حتى هذه اللحظة ما إذا كانت كونا تقوم ببث كل ما أرسلته إليها من تقارير . . أقول ذلك لأن بعض الاخوة الصحفيين أفادوني بعدم علمهم بأن العبد للّه كان يراسل الوكالة من داخل الكويت المحتلة . ولعل آخر واحد سمعت منه هذه المقولة هو الدكتور محمد الرميحي . وأياً كان الأمر ، فان التقارير المعنية تم نشرها في الجزء الأول من هذا

الكتاب . وكان يمكن لها أن تضيع وتتوه وسط ركام التقارير التي يدبجها يراع الكتاب والمنظرون القابعون في المراكز الاعلامية الفخيمة وفنادق الخمس نجوم !

وفي سياق كتابة التقارير ، من الداخل ، أذكر أن الزميلين الشقيقين سعود وسعدية مفرح قد قاما بكتابة عدة تقارير أرسلت هي الأخرى عبر الفاكس السري . وقد تمكنت الزميلة سعدية مفرح من كتابة تقريرين من داخل العراق نفسها ، حيث انتهزت فرصة زيارتها لشقيقها العسكري الأسير سعد مفرح فقامت بكتابة عدة تقارير من واقع زيارتيها للعراق . . لكن الظروف الأمنية لم تسمح بارسال سوى تقريرين فقط . أما الزميل سعود مفرح ، فقد كانت تقاريره بالانجليزية . . وقد صاغها بصورة يوميات شاهد عيان من مجتمع الصامدين . ويجدر بي التنويه بأن الزميل سعود ، قطري الجنسية كويتي الميلاد والنشأة ، وكان في الدوحة عند حدوث الغزو الآثم ، ثم وبعد شهر من الاحتلال فوجئت به يتصل بي ؛ طالباً مني تكليفه بأي مهمة وطنية ـ بخلاف الكتابة ـ وقد اقتنع بعد لأي ، بأن دور الكلمة لا يقل شأناً عن الطلقة . ولكن كيف لك أن تجعل انساناً بدوياً يبلع مثل هذه المقولة التي دحرجها العبد للّه على مسامعه . والطريف في هذا السياق بأن قبول الكتابة على مضض ليس موقف الزميل سعود فحسب ، بل شاركته فيه الزميلة سعدية ! بل أكاد أقول ان الموقف اختارته قبله . فقد كانت لا تريد أن تحارب بالكلمة والقصيدة ، بل بالمسدس والرشاش والمدفع والدبابة (عند اللزوم) . وأذكر بأنها لم تكف عن طلب السلاح إلا بعد أن هلّ علينا فجر التحرير !

والحق ، ان محنة الاحتلال قد أكدت لنّا بأن الكلمة الخارجة من رحم المعاناة والتي ينزفها قلم عاين وعانى وصمد وقاوم يمكن أن تكون سلاحاً حاداً قاتلاً لا يقل جدوى وتأثيراً على الأسلحة العسكرية الفتاكة . ولو لم يكن الأمر كذلك لما كانت السلطات المحتلة تحفل بصحافة واعلام الصامدين . . ولما حشدت لها العيون والمخبرين ، وداهمت البيوت وطاردت الصحفيين واعتقلت العشرات منهم .

وأعترف بأنه كان يوماً حزيناً . . ذلك الذي اضطررنا فيه إلى التوقف عن اصدار صحيفة صرخة ، سيما بعد أن ألفها القراء وصاروا يترقبون صدورها ويتوجسون إذا غابت أو تأخر صدورها لسبب أو لآخر .

وكان يمكن لصحيفة صرخة أن يطويها النسيان ، لولا جهود الأخ الدكتور بدر الشيباني وحرصه على حفظها داخل معدة جهاز الكمبيوتر بطريقة تقنية يصعب العثور عليها ، كما ذكرت ذلك آنفاً .

وكان بودي الكتابة عن بقية الصحف الشعبية التي كانت تصدر في الكويت المحتلة . . لكنها ساعة الكتابة لم تكن بحوزتي . . وقد سعيت ـ وأنا في مصر المحروسة ـ إلى الحصول على بعض نسخ منها . . فقد كاتبت وهتفت إلى الكثيرين من الزملاء والأصدقاء والمعارف ولكن بدون جدوى ! ربما لأنهم مشغولون بهموم ما بعد التحرير !

والحق ان اعلام المرابطين يستأهل الرصد والتوثيق والبحث والتحليل من قبل الباحثين المختصين ، ويستحق أن يكرس له عدة مباحث ومؤلفات تسبر غور دوره وتأثيره وفاعليته في رفض الاحتلال ومقاومة المحتلين وشد أزر الصامدين وشحن معنوياتهم .

إن الباحث والمؤرخ المنصف لا يمكن له تجاوز الدور الهام الذي قام به اعلام الصامدين ، عبر كافة وسائله وأنواعه .

***

تقارير بالفاكس السري

بقلم : سعديه مفرح

حديث الغلاء

أن تكون في بغداد هذه الأيام . . فهذا لا يعني أبداً أنك ستغني وأنت تتجول في شوارعها كما كنت تفعل دائماً :

بغـداد والشـعراء والصـــور ذهب الزمان وضوعه العطر

لك الله يا فيروز! ! فهذا زمان ولىّ وانتهى ، وبغداد التي تبدت لك في حلل دواوين الشعر العربي ليست هي بغداد صدام حسين ، انك لن تتعرف على هذه المدينة جيداً قبل

أن تنزلق داخل إحدى سيارات التاكسي التي تملأ شوارع بغداد، وتترك أذنيك مشرعتين للسائق البائس التي ستشكي لك بحذر مشوب بسخرية مرةٍعن بغداد الجديدة. . بعد أن يتأكد من شخصيتك وأنك لست واحداً من اياهم!!

ورغم أن معظم سائقي التاكسي العراقيين يتمتعون بحذر فرضته عليهم الظروف المخابراتية الصعبة التي تصطبغ فيها الحياة بشتى مناحيها لديهم، أقول رغم ذلك فان كوني سيدة كويتية كما يبدو ذلك من الملابس الوطنية واللهجة المميزة، جعل من مأمورية منح سائق التاكسي الذي ركبت فيه سهلة للغاية.

لم أكن بحاجة إلى عدتي الصحفية التقليدية. . وما أن سألني الرجل بأسى عن أحوال الكويت هذه الأيام، وشرحت له بعض ما نم به، عن الصامدين في الداخل، من ظروف صعبة للغاية، حتى اندلق كلام الرجل وفاض على حواف القلب يعزف الهم العربي المشترك على أوتار الواقع الرديء الرديء!!

حديث الغلاء:

وبالمناسبة، فإن أول همّ يومي يمكن أن يطفح على سطح الكلام بينك وبين أي مواطن عراقي هو الغلاء الفاحش البغيض (والذي صرنا، نحن الكويتيين الصامدين في الداخل، ننشوي بناره!). .

حدث هذا مع كل من قابلتهم من مواطنين عراقيين في الكويت أو في بغداد. وعندما كنت أحاول أثناء الحديث أن أرد الأزمة إلى ظروف المقاطعة الاقتصادية المفروضة على العراق، عقاباً لها على جريمة غزوها للكويت، ليصر محدثي على أن هذا غير صحيح، وأن الغلاء هو السمة الأساسية التي تسم مناحي حياتهم الاقتصادية طوال السنوات الأخيرة.

قالت لي إحدى السيدات العراقيات إن زوجها يأخذ راتباً من الدولة يعتبر أكبر راتب يمكن أن يحصل عليه مواطن عراقي، فهو يحمل شهادة دكتوراه في علوم البحار، ويعمل استاذاً في جامعة المستنصرية في بغداد، أما ما يحصل عليه من ر اتب فهو 400 دينار عراقي فقط لا غير.

وإذا أردت أن تعرف ماذا تعني400 دينار عراقي في بلد كالعراق هذه الأيام فما

عليك إلا محاولة معرفة أسعار السوق للكثير من المواد والسلع الغذائية والاستهلاكية.

ان كيس الدقيق، على سبيل المثال، وهو المادة الغذائية الأساسية في محافظات العراق كافة، يكلف المستهلك أكثر من 200 دينار عراقي، أما كيس السكر فهو يكلف ما يقرب من 450 ديناراً عراقياً فقط!! هذا في حالة وجود هذه المواد بالطبع.. فهي لا تباع في الوقت الحاضر إلا في السوق السوداء، مما جعل العراقيين يلجأون إلى الكثير من البدائل التي كانت مخصصة كعلف للحيوانات فقط، وذلك تطبيقاً لواحدة من مقولات رئيسهم الملهم **صدام حسين** الذي يبشرهم في إحدى مقابلاته التلفزيونية مع إحدى شبكات التلفزيون الأجنبية والتي أذاعها راديو وتلفزيون بغداد مؤخراً بقوله: انه سيجعل العراقيين يأكلون تراب الأرض دون أن يتزحزح عن الكويت!!

انك حين تجرب ما جربته أنا في أحد فنادق الدرجة الأولى في بغداد؛ من خبز هو خليط من الشعير والرمل الناعم الذي تضطر لازدراده قبل أن يضر بأسنانك، تعرف أن مقولة الرئيس السابقة ليس مجرد مجاز لغوي من **كلمنجي** مغرم بالمجازات اللغوية بقدر ما هي حقيقة. وأي حقيقة!

أما إذا أردت أن تعرف مزيداً من هذه الحقائق الصدامية الطريفة، فاعلم أنه بسبب غلاء هذه المواد الغذائية وغيرها في العراق والتي كانت تسمى في يوم من الأيام **مخزن الحبوب في العالم** وبالتالي فلا ينبغي أن يؤثر عليها قرار المقاطعة لهذه المواد، فالمفروض أنها بلد زراعي منتج لها، أما القول إنه وبسبب غلاء هذه المواد فان أي نوع من أنواع الحلوى أو الكيك في العراق تعتبر جريمة يتعرض مرتكبها للمساءلة القانونية، ومن ثم انزال العقاب به بالسجن أو الغرامة أو بكليهما كما تقول الصيغة القانونية. والمسألة، في الواقع، لا تتجاوز الاطار التاريخي **العربي** كثيراً لهذه النوعية من الحكام الذين لن يكون الخليفة الفاطمي **الحاكم بأمر الله** صاحب الملوخية الشهيرة أضرهم كما يصر على ذلك حاكم العراق.

عمل في الاجازة:

وإذا كانت ظاهرة الغلاء ذاتها، تعتبر أداة الانتحار لدى الفئات الأخرى من الموظفين الذين لا يتجاوز راتب الكثيرين منهم الخمسة والعشرين ديناراً عراقياً، بل ان

راتب العسكري في العراق هو 20 ديناراً فقط!! في حين يصرف هذا العسكري العراقي على مواصلات انتقاله من وحدته العسكرية إلى منطقة سكنه ما يقرب من ثلاثة أضعاف هذا الرقم!! خاصة وأن السياسة **الصدامية** كما عرفت من البعض، تعمل على أن يلتحق كل عسكري عراقي بوحدة عسكرية هي أبعد ما تكون ـ جغرافياً ـ عن مكان اقامته، فالعسكري الذي يقطن منطقة السليمانية أو الموصل أو أربي في شمال العراق، مثلاً، يعين بوحدة عسكرية في البصرة أو أي مدينة جنوبية أخرى، وهكذا في بقية المدن والمواقع العراقية!

ويبدو أن ذلك يحدث بصورة مقصودة تماما. فكثير من الأحيان يحدث أن يكلف نظام صدام أفراد الجيش بتنفيذ عمليات ارهابية ضد المواطنين العراقيين في إحدى المناطق لغرض ما مثلاً (كما حدث في حلبجة)، فيستحسن ـ والحالة هذه ـ ألا ينتمي أحد هؤلاء العسكر لهذه المنطقة؛ منعاً لحدوث أي تعاطف بين الطرفين.

وربما كانت هذه الظاهرة، أعني ظاهرة الغلاء مع قلة الراتب الممنوح للعسكري من حكومة العراق، هي التي جعلت معظم هؤلاء العسكر يعملون في كثير من الأعمال والوظائف النظامية وغير النظامية في أوقات اجازاتهم.

فعلى سبيل المثال، وخلال جولة قصيرة لي في أحد الشوارع الشعبية في حي الكاظمية، وهو واحد من أبرز أحياء بغداد، اكتشفت أن الكثير من الباعة هناك هم من العسكريين أساساً، ويعملون في تلك الوظائف في اجازاتهم القليلة القصيرة جداً!

أحدهم، وكان يعمل ببيع الأواني المنزلية حين اطمأن إلى أنني مواطنة كويتية أخبرني بأنه لم يحصل على اجازة من وحدته العسكرية منذ عملية غزو الكويت، أي منذ أكثر من خمسة شهور. . وحين حصل على الاجازة لم يستطع البقاء فيها مع أهله وأطفاله ولكنه ضحى بها من أجل العمل في المحل. . والمسألة برأيه **ليس مجرد الحصول على بعض الدنانير الاضافية ولكنها للمحافظة على المحل، فالضرائب لنا بالمرصاد حتى في حالة اقفال المحل، هذا بالإضافة إلى الايجار وفواتير الكهرباء!!**

ورغم أن كثيراً من جوانب قضية الغلاء هذه ترتبط ارتباطاً زمنياً، على الأقل، بالعواقب الوخيمة الكثيرة التي ترتبت على غزو العراق للكويت منذ الثاني من أغسطس

الماضي، الا أن عسكرياً واحداً لم يتطرق إلى مسألة الربط هذه بتلك العفوية التي تطرق لها بائع كتب ومجلات بغدادي عجوز؛ مررت عليه في مكتبته الصغيرة في شارع السعدون في قلب العاصمة العراقية. فحين سألته عن الجرائد والمجلات غير العراقية التي تتوافر لديه قال بلهجة بغدادية محببة: **ماكو غير جرايد أردنية وحتى هاي ما تقدرين عليها**. وحين سألته عن السبب قال: **لأن الجريدة الوحدة بتسع دنانير، لأن الدينار العراقي ما يساوي 120 فلسا**.

أما حين سألته ان كنت أستطيع الحصول منه على عدد من جريدة **النداء**، وهي الجريدة التي أصدرتها السلطات العراقية في الكويت بعد الاحتلال، وأخذت تطبعها في مطابع جريدة القبس الكويتية بعد الاستيلاء عليها، قال: **لا. . هاي بس الكم، لأن الجرعة اللي بيها شوية مكثفة!!**

وقبل أن أغادر مكتبته الصغيرة طرقت سمعي زمجرته وهو يلعن هؤلاء الذين **أخذوا الكويت على بالهم يغتنون. . ما يدرون ان الغنى في الله. . !!**

وأحاديث الغلاء، في بغداد وغيرها من المدن العراقية لا ينتهي، ويبدو أن الكثيرين من المواطنين العراقيين على قناعة بأن غزو الكويت والحصار الذي تلاه هما السبب في ذلك، فهم يعيشون في هذه الحالة منذ زمن طويل.

وقد لخصت المسألة كلها بائعة عراقية عندما أبديت لها دهشتي وامتعاضي من ارتفاع ثمن الحذاء النسائي البسيط الذي أردت شراءه، مع أنه صناعة عراقية، حيث قالت هذه البائعة بصوت خفيض وهي تنظر نظرة ذات معنى سافر لصورة صدام المعلقة في واجهة المحل: **والغلاء أيضاً صناعة عراقية!!**

صور. . صور. . صور

ان صورة صدام المعلقة على واجهة محل بيع الأحذية ليست إلا نموذجاً مصغراً جداً لمهرجان الصور الصدامية التي تمثل واحداً من مفاتيح دراسة صدام حسين نفسيا، ان للتواجد المظهري الشكلي والفعلي لم نعهده بهذه الدرجة كما هو لدى صدام حسين.

لقد تذكرت وأنا أرى الصور والتماثيل الكثيرة التي تملأ شوارع بغداد، تذكرت أن أول ما. . . عليه الغزاة الصداميون بعد غزوهم لوطننا الكويت هو اغراقها بمهرجان الصور

هذا. لقد استغربنا نحن الكويتيين، ونحن نراهم يزرعون أرضنا صوراً ومجسمات ولوحات كبيرة للسيد الرئيس ومقولات السيد الرئيس. . وبكل الأوضاع والأشكال التي يمكن أن تخطر على قلب بشر، فصورة بالغترة، وصورة بالبرنيطة وصورة بالشماغ الفلسطيني وأخرى باللبس الفلاحي وأخرى بالكردي وأخرى بأحدث الموديلات الأوروبية وأخرى باللباس العسكري وغيرها كثير وكثير وكثير. . وهكذا امتلأت شوارع وميادين الكويت، وخلال الأسبوع الأول من الاحتلال بصور ولوحات كبيرة موضوعة على نصب تبدو من بعيد وكأنها أضرحة!! وكم كان منظر رجال صدام مضحكاً وهم يدارون ذلك التشويه والتخريب الذي يلحق بالصور كل صباح بالأيدي الصغيرة لأطفال الكويت الصغار الذين كانوا يرشون هذه الصور بالأصباغ ثم يكتبون عليها بخطوطهم الطفولية المتعرجة بعض الشعارات الوطنية.

إن إجبار العراقيين على تعليق صور الرئيس لا يقتصر على مجرد تعليقها في الشوارع والمحلات فقط، وانما يتعدى ذلك إلى الدوائر الحكومية والخاصة والمدارس والنوادي والأسواق والبيوت. . والمساجد!! نعم فحتى المساجد تعلق صور صدام حسين بأمر من المسؤولين، وقد شاهدت بأم عيني رواق مقام الكاظم، رضي الله عنه، وهو أحد العتبات المقدسة في العراق، وقد علقت فيه الصور لصدام، بل كانت كل صورة لا تبعد عن الأخرى أكثر من ثلاثة أمتار!

أما البيوت، فإن تعليق الصور فيها يستحسن في كل غرفة من غرفها، أمر لا مفر منه، خاصة وأن كل بيت عراقي يتوقع دائماً زيارة مفاجئة من زوار الفجر!! والويل لصاحب البيت عندما لا يجدون صورة الرئيس على أحد الجدران، لا سمح الله!! هذا طبعاً بالنسبة للصور الفوتوغرافية. . ونرى الرئيس يتواجد أمام أعين العراقيين أكثر من هذا بكثير من خلال التماثيل والمعارض التشكيلية الخاصة به والتي تقتصر كل اللوحات فيها عليه وحده. . هذا بالإضافة - طبعاً - إلى البرامج الاذاعية والتلفزيونية المخصصة للرئيس. وقد ضحكت كثيراً عندما أخبرني أحدهم بأن الاسم الحركي للرئيس لدى جموع المواطنين هو فتى الشاشة. . وأي فتى!

والحديث عن صور صدام حسين والحياة المظهرية التي يجب أن يحياها ويفرض على الشعب العراقي أن يحياها معه حديث يطول ويطول، مما لا يتسع له المجال في

هذا التقرير الصحفي الذي أكتبه لكم من الكويت المحتلة. . والذي ينبغي علي اختصاره لظروف تتعلق بطريقة تهريبه خارج الكويت بوسيلة معينة!

وبالمناسبة، فإن المقال يفتقر إلى الصور الفوتوغرافية والتي هي في كثير من الأحيان عصب أي مقال توصيفي كهذا، ولكن للظروف الأمنية التي يمر بها أي مواطن في العراق حتم علي عدم القدرة على حمل الكاميرا والتمشي بها في شوارع بغداد المتوجسة!

عموماً، ولمجرد الفضول الصحفي الذي (حن) علي، مررت بمحل للتصوير في منطقة الكرادة في بغداد لشراء بعض الأفلام الفارغة ولسؤاله عن ظروف تحميض الصور بطريقة مستعجلة، إن كان ذلك ممكناً. فقال: إن المحل لا يوجد به أية آلة لطبع أو تحميض الصور. وعندما سألته عن السبب قال: ان ذلك لا يقتصر على هذا المحل فقط، بل هو حال كل استوديوهات التصوير في العراق، فالأفلام لا تحمض ولا تطبع في محلات التصوير بل تجمع في هذه المحلات فقط، ثم ترسل إلى مراكز تجميعية يوجد في كل محافظة واحد منها، حيث تحمض هناك كل الأفلام وتطبع وتراقب، ومن ثم توزع على الزبائن.

وحين استفسرت منه ان كان ذلك ينطبق على الأفلام التي يصورها الزبائن بكاميراتهم الخاصة فقط أم أنه ينطبق حتى على الصور التي تلتقط داخل الاستوديو. . قال: ان ذلك بالفعل ينطبق حتى على الصور التي يلتقطها المصورون المحترفون في الاستوديو للزبائن حتى ولو كانت هذه الصور مجرد بورتريهات شخصية كتلك التي تستخدم في المعاملات الرسمية.

وحين تساءلت أمامه ان كان ذلك هو المعتاد في كل الأحوال في العراق أم أنه حالة طارئة، قال ان هذا الوضع أصبح ساري المفعول بعد عملية غزو الكويت في أوائل أغسطس الماضي، حيث صودرت كل آلات طبع وتحميض الصور الملونة وعلى الأخص، في كل المحلات. وقد قيل لنا انهم بحاجة إلى هذه الآلات لبعض المهمات التي تتعلق بالجانب العسكري دون أن نفهم بالطبع بماذا يحتاجون هذه الآلات في مثل هذه الحالة؟

ويضيف المصور العجوز وهو يحدثني قائلاً، بخفة دمه البغدادية، على كل

حال . . أعطونا بدلاً منها **وصولات** ولا ندري إن كانت تضمن لنا هذه الوصولات حقنا بآلاتنا فعلاً أم أن الغرض منها هو أن نبلها ونشرب ماءها !

معالم صدام السياحية !

عندما تطلب من سائق التاكسي أن يريك بعض معالم بغداد السياحية التي لا تريد أن تتمتع برؤيتها وأنت تمر بمثل ظروفنا الاحتلالية بقدر ما تريد استشفافه من خلال احتكاكك بالمواطنين العراقيين الذين تفترض أن تجد .

أقول عندما تطلب ذلك من السائق فانه لا يتورع ، عندما يتأكد من أنك لا يمكن أن تكون واحداً من «اياهم» من أن يطوف بك بالقرب من بعض المعالم التي يعتقد أنها هي التي ينبغي أن يراها كل زائر للعراق .

حين طلبت ذلك من السائق كان نصيبي أنه مر بي من بعيد على نصب الشهيد في بغداد ، وقبل أن أمني نفسي . . كان يفترض أن أسأله ، كان السائق قد اندفع في حديث غاضب تشم به رائحة الحزن الخفية والتي كانت تنبعث من بين خلافه الآني لتؤطر لك تلك التضحيات الكبيرة التي قدمتها كل أسرة عراقية فقدت أبناً أو أكثر من أبنائها في حرب العراق مع ايران على مدى ثمانية أعوام على شكل شهداء ، ولكن اللعبة التي انغمس فيها العراقيون وربما العرب بشكل أكبر ، تنتهي بجرة قلم من أقلام الرئيس **الملهم** الذي يعود ليجمع قصاصات معاهدة الجزائر مع ايران لعام 1975 ، تلك المعاهدة التي كان صدام قد مزقها ونثرها فوق مياه شط العرب عام 1980 !

كان السائق قد بلغ به العنف في الحديث والخوف من التناول مداهما وهو يقول :

بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ يتراءى لنا صدام وهو يحفر قبور الشهداء وينثر رفاتهم فوق شط العرب ثم يقول لايران . . خذوا الشط بما فيه ! !

لم يكن الأمر بحاجة إلى كثير من الذكاء لأكتشف أن هذا السائق كان قد فقد ابنه الوحيد في الحرب .

حديث يطول !

والحديث عن حزن العراقيين وشجنهم حديث طويل . . يحوي كل صور الرفض والامتعاض والاستهانة وكل ما يحويه القاموس العربي من كلمات مشابهة ، يمكن أن تعبر

عن مشاعر العراقيين التي تبدو هذه الأيام موحدة ومستنفرة كما لم يحدث في تاريخهم. ولكن أيضاً حديث مليء بكل الكلمات المرادفة لمعاني الخوف والرهبة والرعب التي يشعر بها المواطنون العراقيون من النظام الذي يبدو أنه نجح كثيراً في بث تلك المشاعر من خلال تلك الأعداد الهائلة من الأعين المخابراتية المزروعة في كل مكان، تتلصص على كل شيء وفي كل شبر من جغرافية العراق!

وهذا الخوف من المخابرات لدى المواطن العراقي لا يقتصر على فرد دون آخر أو فئة دون أخرى، ولكنها موجودة لدى العرب كما هي لدى الكردي أو التركي أو الآشوري، وهي لدى الشيعي كما هي لدى السني، وهي لدى المسلم كما هي لدى المسيحي، وهي لدى الفلاح البسيط كما هي لدى استاذ الجامعة.. وهي، أخيراً، لدى البعثي وغير البعثي على حد سواء!!

ويبدو أن الله جعلنا، كعالم عربي، نمر بهذه المحنة التي نمر بها الآن لنحس ونشعر، ولو قليلاً، بمشاعر الأسى التي يغص بها العراقيون والتي تجاهلناها طويلاً.. طويلاً ونحن نشنف آذاننا بما يبثه الاعلام الصدامي من سموم وترهات صدقها الجميع.. الجميع! ذلك الاعلام الخبيث الذي يبث كل شيء سوى الحقيقة!

وفي مقال قادم سيكون الحديث مناسباً عن تلك المسألة بشكل أوسع من خلال شهادات عراقية حية كتب عليها أن تظل حبيسة الصدور طوال عشر سنوات قبل أن تصرح بها حنجرة الظروف الحالية.

***

تقارير بالفاكس السري

بقلم سعود مفرح

THURSDAY: JAN. 17, 1991 02:30 AM

I did not sleep this night: I was writing a letter while listening to the B.B.C. At 02:30 AM the radio announcer cut the normal program and said that Baghdad is being hit right now by the allied forces. I woke up my family and made few telephone calls to my relatives and friends to tell them about the news. One

of my cousins whom I woke up the first time went back to sleep because he thought I was joking and I usually I joke with him a lot. I called him again and put the phone speaker on hte radio to make him listen to the sounds of explosions happening in Baghdad; he finally woke up and believed me.

At 04:00 AM, I heard bombs nearby, then we heard the noisy air defence systems shooting at the fighters we saw red dots which are clashin the sky. It continued for about 15-20 minutes; At this time my family was preparing them-selves to go to a nearby **homemade** shelter.

At 01:00 AM I tuned the radio station on Iraq their news did not mention anything about the bombardment of Baghdad bots of people gathered at this palce **shelter**. Men stayed out side the shelter discussing the news and this attack. At 15:00 PM, we heard bombs somewhere west of Jahra; and there is a military camp downthere. Air defence systems were replying the bombs.

FRIDAY: JAN. 18, 1991

During the day we went to the Friday prayers. We could hear discontinues bombings here and there, but they were far from where we live.

At 20:00 PM, we were discussing the war with friends and some peole I don't know, when we heard the fighers (actually the bombs) hitting everywhere around us. It became a red skies for few seconds. We couldn't see or hear the fighters, but the bombs were very close to us and the Iraqi air defence systems were deafening. We knew later (next day from the news) that it was French attack on some bases north of Kuwait city (30 KM north which is im my city Jahra). The news said that there were 12 French Jaguar fighters which hit these places.

The bombardments on those bases continued that night until 03:00 AM when a fighter hit a military camp near to us and we didn't hear and answer back from that base (the Iraqis), we thought that the camp has been destroyed since we saw smoke coming out of it earlier that night.

SATURDAY: JAN. 19, 1991

Before I explain what happend today, I should have written about our life the last two days:

SAFETY:

I think we (Jahra inhabitants) are living in a very dangerous area. This city is surrounded by military camps in every direction. These camps are here before the Iraqis came here. Beside these camps, the Iraqi army is surrounding us, especially at the heights of Melta'a which is about 5 km. north of Jahra. Also,

some buildings were evacuated from its inhabitants and these buildings were supplied with Iraqi air defence equipment.

FOOD SUPPLIES:

There is no food nowadays except what people have saved before Jan. 15th. Nobody, or at least most of us, didn't think there will be a war broken up here. We thought that somehow the crisis will be solved peacefully, therefore, most people didn't save food or some people don't have money to buy it in the first place, since almost nobody is working.

DRIVING CARS:

Before Jan. 15th, we drove our cars everywhere in Kuwait. Cars with the "new" **Irai plates** have the priorities in gas supplies, check points. As of me, I didn't replace my plates, therefore, I couldn't get gas from gas stations, but I could get gas from friends and neighbours who have cars with Iraqi plates. Anyway, Kuwaiti plated cars could be driven anywhere in Kuwait, but after the war our cars would be confiscated by the Iraqi police in the streets.

HOSPITALS:

Hospitals are still opened, but who could go there anyway?. I don't think that anyone goes there unless he/she is really dying, we don't go to hospitals because there is no medicine.

PUBLIC SERVICE:

Water, electrecity, and telephone are working but none of them is dependable; I bought enough supplies of matches and candles from August 3rd, 1990. I also bought enough supplies of kerosene which is used in heating. Telephones became very important tool since we could not go easily to see our friends. The bread factory is still opened too; but it is very hard to go and get the bread because we couldn't drive our cars. I should have mentioned earlier that people here have shortages in sugar, flour and cigarettes. As of me, I have enough supply of food for about two months. My cigarettes will be finished in about 3 weeks. I hope that the war will be over earlier.

SATURDAY: JAN. 19, 1991

in the first two days of war, most of the action took place at night, but today we were bombarded at 11:00 AM. And since all of us spend the day time in our homes and at night, women and children would go to the shelter, but when the attack was taken at daytime it was very frightening for women and children. The attack was taken at the same places that have been hit last night. We heard the air defence system, which is close to us answering very loud. I think it is a new one, because the one that was here last night has been definitely hit. At

night, it continued very heavy allover. We could hear the bombings and air defences around us and from every direction. By the way, we were never afraid of being hit by chemical weapons or nuclear weapons. Our safety plans for this kind of weapons is to watch birds and the tree leaves dying and of so, then we would know there has been chemicals around us. My family prepared towels to dampen them with water and cover our faces with them. This is our safety preparation for chemicals. Anyway, we ARE NOT AFRAID OF CHEMICALS.

SUNDAY: JAN. 20, 1991

We woke up today on the sound of bombings. Children formed fliers today. These fliers are designed to brake up the Iraqi soldiers psychologically. I found one of them which contains Arabic Writing telling the Iraqi army to leave the camps and to save themselves. I think that the allies want to defect the Iraqis in Kuwait by this way, but I don't think this tactics will be largely successful. At 11:00 AM, we had a raid by jet fighters, the bombs were very close and noisy.

There is nothing heard around us during the rest of the day, but we could hear some action faraway coming from the west side of us. At night I slept early because I was very tired from not having enough sleep during the days before. The next day, I was told that there were 3 heavy sounds but they were very far from us. I know they are far because they didn't wake me up.

MONDAY: JAN. 21, 1991

It was the quietest day so far. Today we worked on our bunkers, we made some more openings and cleaning. At night we had 3 raids from the allies; the first one was at 08:20 PM; it was very close; we could hear the bombing of the near targets. The next one was at about 11:25 PM it was the heaviest raid since the war began. it was also the first time that we could hear the sound of the fighters. The darkness became very lighted for minutes. The third attack was at about 02:15 AM; the bombs woke me from my sleep, it was also noisy and close. (Today, we knew that 10 of our relatives died because of an air to surface rocket). They are shehperds and living in tents in the Kuwaiti desert. We told them before that they should come down to the city but they refused. 13 more people were injured in this accident and they were taken by Iraqi army to a hospital in Basra. One of them died before he got to the hospital.

TUESDAY: JAN. 22, 1991

Today I shaved for the first time since the war broken up. At 02:00 PM I

went to Kuwait city and Hawalli to look for cookies and candies and batteries. I didn't find batteries. I noticed that the prices have been quardrupled in 2 or 3 days. A 50 kg. rice sack, for example, costs 300.00 Iraqi Dinars; Marlboro cigarettes (10 packs) costed 120.00 Iraqi Dinars. On the road we crossed lot of check points which are much more than usual. I also noticed more bunkers inside the inhabited areas. I should also mention that driving over bridges is prohibited few days before Jan, 15th, because the Iraqies have installed air defence equipment over all bridges. At night around 09:00 PM while we were listening to the B.B.C. news, we heard few bombings but they were very far and we couldn't know where they are coming from or going to! I went to sleep around 01:00 AM. I couldn't have conscious sleep because of the sound of the bombs and the near air defence systems.

WEDNESDAY: JAN. 23, 1991

Today, my neighbour went to Shuwaikh Port where usually the market center is located. He found rice, cooking oil and cookies. The prices were very high too. At the afternoon, I went near the military camp; looking for "Anything" or some findings. A friend of mine and I found few more fliers like the ones we found a couple days ago. While we were walking back to our homes one jet fighter came to the camp. It was very close and noisy from both sides and we ran very hard to our houses. Also, we heard today that gas will be cut for few days and it would be regulated later. I didn't care much about that since I can't drive my car any way. Water is cut too since last night. My house has a half full tank of water. We will bring water from the houses near us whose owners left to Saudi Arabia long time ago. About 07:15 PM, we had a raid on "our" camp. The sound of the air defence machines was very noisy and deafening. The raid continued for about 7- 10 minutes. My room was shaking. I took some pictures of the raids and recoreded the sound too.

THURSDAY: JAN. 24, 1991

I woke up today at 11:00 AM, last night I slept late because I was reading. I was told that the Co-operative Society Super Markets are opened today. This is the first time they are opened since Jan. 17th. It was too late to go there. I wanted to buy dipers for my neice. At 03:15 PM, I saw 5 jet fighters. They were very close. They came from the north west, at first when they hit a camp there then they came to the one near us. We saw hills of fire coming out of the camp near the east gate. Smoke came out later. We should have expected this raid since the skies were very clear. It is the clearest day since Jan. 17th. I was not at my house when this raid occurred, but during the raid I called my family and they told they are fine. I think that tonight it will be a hell fire down here be-

cause it is very clear and most of the attack occurs at night. Many friends of mine saw exactly what happend in the camp this afternoon. One of my friends saw 3 jets coming from the north- west direction. He was on the roof trying to get water from his neighbour's tank when the fighters came over his head. He said that saw a volcano eruption on the east side of the camp then he saw smoke rising from the west side. he felt he was falling from the foof. It was red sand and then smoke coming out of there. Another friend was in Khitan district which is about 30 miles away from us. He said that he saw the smoke too. He thought that Jahra city was being destroyed. He said all people in Khitan were on there house roofs, looking toward Jahra's explosion. On his way back to Jahra he came by the camp. He said that he saw the whole eastern gate of the camp was destroyed. A nearby check point was destroyed too. At night, it was clear skies early but around 11:30 PM, it was raining and cloudy. Nothing happend near us tonight. I had a good night sleep.

FRIDAY: JAN. 25, 1991

a friend of mine called me around 10:30 PM, he told me that he was going to Shuwaikh Port to buy vegetables and other stuff. I went with other 2 friends with him. We came by the accident that took place yesterday. It was not as bad as I thought it would be. I didn't find the check point being destroyed as I was told. Actually; there was a hole in the express way (about 2 meters in diameter), the asphalt on the express way was destroyed. We had to drive over the curb to pass. Also, there were 3 medium holes in the camps walls. Also, windows of the houses facing the camp were broken from the sound. Anyway, we arrived at Shuwaikh Port; it was too late to buy anything, everything, especially vegetables were bought. We came home empty handed. I forgot to mention early today that in the morning the rain that occurred last night was black rain. All cars in my neighbourhood were covered in black from the rain. It is said that rain was mixed with smoke from the burning of the oil fields of **Wafra**. Anyway, at night about 06:10 PM, we had a raid on two locations were I know of by the same jet fighters. The first one was on the north- west direction, where there is a military camp. Few seconds later, the jets came to the camp that's near us. As usual, buildings were shaking and air defence systems were heard from every direction. Although I am not an expert in war tactics, I observed that most of the time of these raids, the air defence systems (the Iraqis') answer the jets back after they are hit and that means - I think - that these defences have no Radars or "warnings" that the fighters are coming and that is why we hear the sounds of the air defence systems late and in every direction.

حضور وغياب صحيفة 26 فبراير

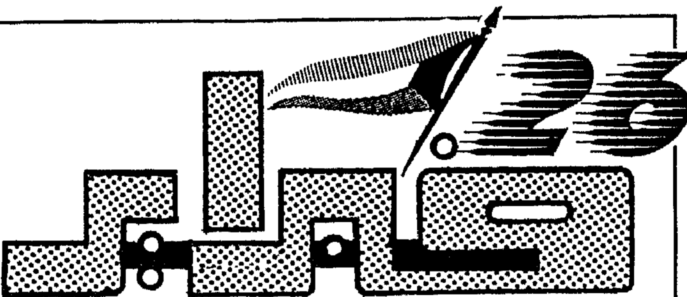
26 فبراير .. الصحيفة والمناسبة!

● في الأسابيع الأولى من زمن الاحتلال العراقي الغادر الغاشم على ديرتنا الصغيرة الوديعة المسالمة ، بادر الصامدون ـ في شتى مناطق ومحافظات الوطن ـ فأصدروا نشرات ومنشورات وصحفاً سرية تعبوية تحريضية تعبر عن انفعال الكتاب والأدباء والصحفيين وكافة القادرين على التعبير عن رفضهم ومقاومتهم للاحتلال والضم . . وتجسد موقفهم الموحد ضد المحتلين الطغاة وممارساتهم الارهابية الاجرامية . وعلى الرغم من تباين مستواها ـ شكلاً ومضموناً ـ فانها كانت بمثابة جوقة وجدانية تعزف على وتر الوطن المشدود بالغضب وفجيعة المفاجأة الغادرة ، وموقف وفعل المرابطة والمقاومة السلمية الفاعلة العادلة . من هنا كان من البديهي أن ينتظرها ويتلقفها الصامدون بشوق المريد للرغيف والخبز !

ولست هنا ـ في هذه الخواطر ـ بصدد كتابة تحقيق وثائقي عن صحافة واعلام الصامدين . . لأن هذه المهمة تستأهل صفحات كثيرة . حسبي ، الآن ، الاطلالة عليها اطلالة الكرام . . سيما وأن الظروف لا تسمح لنا بالخوض في التفاصيل المليئة بالمعاناة والتوتر والتضحية والتعاون والفدائية والشجاعة والفروسية والنخوة . . وما خفي مثله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سألت جبريل عن هذه الآية ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا ما شاء الله من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : هم الشهداء ثنية الله ، متقلدون أسيافهم حول عرشه.

الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا.



تصدر عن المركز الاعلامي في الجابرية

العدد السادس -الأربعاء ٢٠ شعبان ١٤١١ هـ الموافق ٦ مارس ١٩٩١ م

الاحتلال يعري المحتلين

* بدأ الرأي العام العربي والاسلامي - ولو متأخرا - " اكتشاف " حقيقة المنظمة الارهابية التي تحكم العراق الشقيق بالحديد والنار والدينار النفطي والعطايا والرفاهية لأفراد العصابة المتبرقعة - زورا وبهتانا - ببرقع " الوحدة ، الحرية ، الاشتراكية " !

والسؤال الذي يدحرج نفسه بشدة هو : لم " اكتشف " الرأي العام العربي والاسلامي - بخاصة - زيف ونفاق وخواء شعارات " النظام " العراقي المستبد ؟ وتهافت وبطلان دعاويه وادعاءاته ودعاياته بشأن حقه " التاريخ " في ابتلاع أرض الكويت وثرواتها ، وافتلاع مواطنيها وقاطنيها ، بعدة القرصنة والارهاب والاستباحة المجنونة ، الطافحة بالعربدة والحقد الأعمى البصر والبصيرة ؟!

فحتى تاريخ ١٩٩٠/٨/٢ (تاريخ الاجتياح الغادر) كان الرأي العام العربي والاسلامى يظن أن العراق يحكمه نظام عادل مستنير ؛ ويرأسه " رئيس مهيب " محبوب من قبل العراقيين ! فضلا عن أن مريديه يمتدون من المحيط الى الخليج ، لأنه يجسد الحاكم الصالح ؛ المسكون بهموم وقضايا وآمال وآلام العرب والمسلمين !! والرئيس القائد لجهاد تحرير القدس وفلسطين والجولان وجنوب لبنان والأندلس السليب وبخارى وسمرقند وكشمير وقندهار وجزر الواق الواق كذلك ! واللهم زد وبارك !!

أقول هكذا الظن بـ " عبد الله المؤمن " الرئيس المهيب ، وحامي العروبة والاسلام ، قبل اجتياحه الغادر واحتلاله المشين ، لدولة الكويت جارته وشقيقته في العروبة والاسلام ، التي آزرته في السلم والحرب ، وضحت من أجله بالنفس والنفيس !!

فقبل أن يقوم بفعلته الغادرة الارهابية المشينة ، لا تسمع أو تقرأ عنه في الاذاعات والصحف العربية ، سوى آيات الحمد والتسبيح ، التي تلهج بذكره الحسن ، وتتغنى بمناقبه الحميدة ! أما ما تذكره عنه الصحافة العالمية من ممارسات ارهابية وغياب تام لحقوق الانسان في العراق ، فما

المراسلات : روضة الجابرية - قطعة ٨ - الجابرية

وأحسن ! حسبنا ، في هذا السياق ـ أن ننوه بحضور الكلمة ـ الفعل ، الكلمة الطلقة ! الكلمة المحرضة على الفعل والمقاومة والصمود والمرابطة ، وأن نشير إلى تضافر جهود أصحاب القلم وما يسطرون من قضايا وهموم .

ولعل أصدق شهادة في حق صحافة واعلام الصامدين تكمن في رد الفعل المجنون الصادر من سلطات الأمن والاستخبارات للاخوة الأعداء حيث راحوا يفتشون كل سيارة ويداهمون المنازل ، وبثوا عيونهم لتبحث عن الجنود المجهولين الذين يصدرون الصحف والنشرات والمنشورات . . ولا ننسى ، في هذا السياق ، الدور المدهش الفعال الذي قام به المسجد . . والحسينية . . وخطباؤهما ! ولعلهما سبقا الصحف والنشرات في تقديم وعظ واعلام الصمود عبر الميكرفون ! وهذا أمر بدهي ومتوقع . فقد تعرض العديد من خطباء المسجد والحسينية إلى القمع والاعتقال ، منذ الأيام الأولى للاحتلال الغادر .

وأعرف خطباء كانوا يمرون على ثلاثة مساجد وربما أكثر ، الأمر الذي أثار غضب المحتلين وأربكهم في الوقت نفسه ، سيما ذلك النفر المدهش الذي يملك مقدرة الفصاحة والحصافة !

ولن أنسى ـ بالطبع ـ دور الموزعين والطباعين وكافة المتطوعين للتعبير بالكلمة والقصيدة واللوحة الكاريكاتيرية والصورة الفوتوغرافية . . الخ عن لسان حال الصامدين .

وصحيفة 26 فبراير الفتية تطمح وتتمنى وتسعى إلى أن تكون صحيفة كل الصامدين وتحضن كافة الأقلام والأصوات والكاميرات والميكروفونات التي كانت تلعلع بالتوجيه المعنوي ، وتزأر بالكلمة التحريضية التعبوية ، وتوثق حياة الصامدين العامرة بالفعل والعطاء . . الريانة بقيم التواصل والتراحم والتواد والايثار والتعاون والتكافل والتكاتف .

ومن هنا سر اختيارنا لـ 26 فبراير لتكون اسماً علماً لصحافة الأسرة الواحدة التي تجسدت وتبوتقت في نار المحنة !

ان 26 فبراير هو تاريخ انتصار الحق والعدالة على الباطل والظلم . . وتوقيت ساعة خلاص الوطن والمواطن والمقيمين الشرفاء من نير الاحتلال العراقي الغادر ومن شر

وضرر ومعاناة ممارساته الارهابية القمعية الاجرامية !

ومن هنا ، نطمح ونتمنى ونسعى إلى أن تكون هذه الصحيفة جديرة بحمل هذا الاسم والرمز والتاريخ الوطني الغالي العزيز علينا جميعاً .

لأن 26 فبراير تاريخ سيظل محفوراً في ذاكرة ووجدان وعقول المواطنين المعاصرين لمحنة الاحتلال ويوم التحرير . . فضلاً عن حضوره في أذهان الأجيال القادمة إلى حين قيام الساعة . . لأنه تاريخ يختزل ملحمة وطنية عربية إسلامية دولية ، تمحورت لنصرة الكويت المسالة . . كما نوهنا بذلك في العدد الأول من الصحيفة .

واللّه الموفق لما فيه خير البلاد والعباد[1] .

***

صدور صحيفة 26 فبراير على ضوء الشموع !

حين هلّ نهار الجمعة الموافق الأول من مارس 1991 ، فوجيء المواطنون والمقيمون الصامدون في الكويت المحررة بصحيفة مطبوعة بجهاز الكمبيوتر تقع في ثماني صفحات من الحجم الصغير . . أقول فوجئوا بها تحت أبواب منازلهم ، ووسط أحواشها وأمام الأفران الآلية والشعبية ومحطات البنزين ، وعلى مداخل المساجد وبمعية الجنود المتمرسين وراء حواجز التفتيش ، وداخل الديوانيات وغيرها . ولأول وهلة . . خيل إليهم أن المطبوعة منشور سري أو علني احتفالي ، أطل على الناس بمناسبة تحرير الوطن ، ولكن الذين أنعموا النظر فيها ملياً ؛ أدركوا أنها صحيفة ـ مثل غيرها ـ فيها الخبر والتعليق والمعلومة ، والرأي والتحليل والصورة والكاريكاتير ، و . . إلى آخر المواد الصحفية المعهودة .

كانت البلاد في مطلع شهر مارس 1991 . . بدون ماء ولا كهرباء ولا تلفون . .

---

(1) نشرت بصحيفة 26 فبراير (مارس 91).

الظلام يلفها ليلاً ونهاراً . . لكن فرحة الأهالي والمقيمين الشرفاء بتحرير الوطن جعلتهم ينسون معاناة شح الماء والغذاء وغياب الخدمات الحياتية الضرورية . . وسط هذا المناخ المأساوي الحزين الذي يكتنف البلاد صدر العدد الأول من صحيفة 26 فبراير في يوم الجمعة الأول من مارس 1991 .

وعلى الرغم من أن المركز الاعلامي بالجابرية ـ ناشر الصحيفة ـ لم يكن في ظروف مناسبة تمكنه من اصدار صحيفة يومية فان همة وحماس وايمان الشباب ذللت كل الصعاب ، وتجاوزت كل العقبات التي وقفت في طريق خروج الصحيفة إلى النور .

كان الزملاء المتطوعون لاصدار الصحيفة يكتبون ويرسمون على ضوء الشموع . . وكانت كل الدلائل تشير إلى أن الصحيفة لن تصدر ! فكيف لها الصدور وهي لا تملك عدة ولا عتاد الصدور؟ فمقر المركز الاعلامي الشعبي ـ الذي تصدر عنه الصحيفة ـ عبارة عن روضة للأطفال ، كل مزيتها كونها سليمة من سلب وتدمير قوات الاحتلال . لكنها ـ مدرسة أطفال ـ لا شيء فيها سوى مقاعد الأطفال الصغار فقط !

ومع مرور الأيام ، دبت فيها الحياة . . بعد أن تطوع البعض بتنظيفها ، وتبرع آخرون بجلب موتور كهربائي ، بينما راح غيرهم يبحث عن البنزين والديزل والزيت المطلوب لتشغيل المولد الكهربائي .

وفي غضون يومين ، كان المركز الاعلامي بالجابرية يضج بالزحام والحركة ، ويطفح بالعناد والاصرار . . فصدرت الصحيفة بعد مخاض ومعاناة شديدين !

لكن الاستقبال الحسن الذي لقيته الصحيفة المتواضعة الامكانيات ، حرضت العاملين فيها ، على نسيان كل التعب والمعوقات التي صادفتهم وهم يعملون على اصدارها .

إن روح العمل التطوعي تجعل الإنسان يعمل ، ليل نهار ، بدون تفكير في راحة وطعام وما إلى ذلك .

كان الهم والهاجس هو أن تصدر الصحيفة ، مهما كانت المعوقات والمعاناة ، ولهذا السبب صدرت الصحيفة وتواصلت على مدى أسبوعين كاملين .

احتشاد الاعلاميين الصامدين

● في البداية ، كانت تطبع ـ بالكمبيوتر ـ من مقر المركز الاعلامي بالجابرية . . فثمة من يقوم على صفها وطباعتها بالكمبيوتر . . وثمة من يتولى تصويرها وطيها وتدبيسها . . الخ والحق أن روح فريق العمل الواحد هي التي كانت تسيّر العمل .

وأذكر أن عدد الأخوات والأخوة المتطوعين كان قبل اصدار العدد الأول من صحيفة 26 فبراير لا يتجاوز عدد أصابع اليدين ، اذكر منهم ؛ عبد اللّه الأيوب (المحامي) وتيسير طاهر ساق اللّه (فلسطيني) ، سعود السمكة ، عنبر (فنان تشكيلي ورسام كاريكاتير) سليمان العوضي ، ليلى محمد صالح ، سعدية مفرح ، وليد خالد المسلم وغيرهم .

وبعد صدور الأعداد الثلاثة الأولى ، توافد على المركز الاعلامي بالجابرية أغلب الزملاء والصحفيين المرابطين . . وبالطبع ، لم يأتونا بقصد الزيارة والفرجة ، بل ان كل واحد يريد الاسهام في اصدار هذه الصحيفة الفتية . وقد لفت نظرنا أن قياديي وزارة الاعلام هم الوحيدون من الاعلاميين الذين لم (يشرفونا) ويمنوا علينا بزيارة يتيمة ! وكنا نظن أن اخوتنا في وزارة الاعلام مشغولون بهموم الشغل . . لذا لم نأخذ غيابهم على أنه موقف مقصود ، بل اننا رحنا نلتمس لهم الأعذار والمبررات ! على الرغم من أن زيارتهم إلى المركز الاعلامي تعد من صلب عملهم . . لأن أنشطة المركز تردف نشاط الوزارة وتدعمه حسب اعتقادنا وفعلنا .

وليأذن لنا القارىء إذا استطردنا في الحديث عن العلاقة التي كانت قائمة بين وزارة الاعلام وبين المركز الاعلامي بالجابرية . . لأن هذه العلاقة تدلل على أن البعض منا مرت عليهم محنة احتلال البلاد مرور الكرام ! فقد عادوا إلى الكويت المحررة دون أن يبدو على سلوكهم وفعلهم وقولهم ما يشي بأن محنة الاحتلال الغاشم قد بدلت من منطقهم وعقليتهم ونفسيتهم التي عرفوا بها طوال تربعهم على كراسيهم الحكومية .

فقد كان المفروض أن يكون المركز الاعلامي في الجابرية رديفاً ومساعداً لوزارة الاعلام لأداء المهام الكثيرة التي تنتظرها بعد التحرير . هكذا خططنا واجتهدنا واعتقدنا .

وقد عثرنا على روضة الجابرية في منطقة الجابرية ، وكانت المدرسة الوحيدة في

البلاد التي لم يدنسها المحتلون . . أو يسلبوا منها شيئاً !

وهكذا قر قرارنا على أن تكون المركز الاعلامي للكويت المحررة .

زيارة سرية للمركز!

● وفي اليوم الثالث من تحرير الكويت ، زار المركز أحد قياديي وزارة الاعلام . . وراح يطوف بأقسامه التي تضم :

* قسم الاعلام والصحافة
* قسم الكمبيوتر
* قسم التوثيق السينمائي والتلفزيوني
* ورشة خياطة الأعلام والنصب التذكارية
* محترف الرسم والنحت
* صحيفة ٢٦ فبراير
* قسم المرافقين والصحفيين
* قسم المهرجانات الاحتفالية
* قسم الخدمات والعلاقات العامة

أما ادارة المركز ، فكانت تضم كلاً من : صباح ناصر سعود الصباح ، توفيق الأمير ، عبد اللّه المحيلان ، عبد العزيز المنصور ، عبد اللّه الأيوب (المحامي) ، رجاء البدر ، عبد الحسين عبد الرضا ، وليد المسلم ، أحمد الضرمان ، جواد بوخمسين ، سلمان الداود الصباح ، منى عبد اللّه جاسم الصانع ، وليد العوضي . . وغيرهم .

وحين أنهى القيادي الاعلامي الرسمي زيارته للمركز ، غادره بدون أن يمر على أحد من اداريي المركز . . فضلاً عن أنه لم يمر على أحد عند بداية زيارته ، مؤثراً أن تتم خلسة بعيداً عن عيون العواذل ، لكن أحد شباب المركز رافقه عملاً بالواجب . ولاحظ المرافق أن القيادي في حالة غثيان وتقزز ، بدعوى أن المكان لا يليق بقياديي الوزارة ! الذين يبدو أنهم ألفوا المكاتب المكيفة الفخيمة . . فضلاً عن أن الكويت المحررة تنتظر مئات الصحفيين الذين يمثلون كبريات الصحف والاذاعات المرئية والمسموعة ووكالات الأنباء . . ولا يليق خدمتهم من مقر روضة أطفال !!

وقبل أن يغادر مقر المركز لم ينس أن يطرح كل ما في جعبته من تهكم وسخرية . . ثم رحل متأبطاً شماتته وامتعاضه وتعاليه .

* * *

حضور وغياب صحيفة 26 فبراير

● لعلني لا أبالغ لو قلت بأن السؤال الذي يلاحقني ، في كل مكان أحل فيه ، هو عن سبب غياب صحيفة فبراير ! فتراني أسمع السؤال يتواتر يومياً وليلياً عشرات المرات طوال شهر رمضان المبارك إلا أني لم أملّ من السؤال . . بل على العكس شعرت بأن حضور صحيفة 26 فبراير كان ـ كما حدسنا وتوقعنا وشخصنا ـ ضرورة حياتية شعبية وطنية مثل الخبز والرز والماء والكهرباء والشمس والهواء ! وصدقوني بأن ما ذكرته ليس بلاغه ولا مبالغة .

ومن حق القارىء علي أن أقول بأن شهادتي في 26 فبراير مجروحة ، وليست خالية من الهوى والرضا والصبابة ! فالعبد للّه واحد من عشرات الجنود المعروفين والمجهولين الذين أسهموا في إصدار هذه الصحيفة .

ومع ذلك ، فإن رأيي ورؤيتي في مشروع الصحيفة ، وشهادتي في دورها ، واجتهادي في تشريع صفحاتها لأقلام الصامدين من الكتّاب والصحفيين والمبدعين المعروفين والمستورين ! وطموحي في أن يكون تمويلها وملكيتها للعاملين فيها ، والمتعاطفين مع دورها وحضورها . . الخ . أقول إن كل ما ذهبت إليه يحتمل الحوار ويتسع إلى محاورة الرأي الآخر والانصات إليه . . لأن هذا المنحى نطمح أن يكون جزءاً من تقاليد وسلوك وممارسة الصحيفة أو على الأقل ما تطمح إلى تحقيقه وترجمته على مستوى الفعل .

من هنا . . نقول بأن صحيفة 26 فبراير ولدت لتبقى ! لأنها دور ومهمة ومسؤولية وحاجة . . وكان دافع اصدارها يكمن في أن النشاط الاعلامي للصامدين يجب أن يستمر ويتواصل .

وكان إحساس المتطوعين لإصدار الصحيفة يكمن في أن الديرة بحاجة إلى صحيفة تحرر وتطبع داخل الكويت الحرة . لا يهم حجمها وشكلها وامكانياتها الطباعية التقنية المتواضعة ، لأن ذلك ليس هاجسنا . . وليس من أولوياتنا . كان الهاجس والطموح هو أن نقدم صحيفة يومية حرة تليق بالكويت الحرة والكويتي الحر ، وأن تكون

ملكيتها متجاوزة للهيمنة العائلية التقليدية . . والارتهان إلى الاعلان التجاري الذي قد يضطرها إلى التنازل عن حريتها واستقلالها للشركات والمؤسسات المعلنة على حساب الخدمة الاعلامية التي يفترض أن تقدمها للقارىء .

إننا جميعاً نعلم بأن جميع الصحف اليومية السائدة تمثل احتكاراً عائلياً يحصر ملكية وامتياز هذه الصحف لبعض الأسر التقليدية ويجعلها حكراً عليها دون غيرها ، الأمر الذي أوجد مفارقة غريبة لا تستقيم مع التوجه السياسي والاقتصادي الرأسمالي الحر للبلاد .

ولذا ، فإن المواطنين كانوا يتطلعون إلى وجود صحيفة يومية سياسية تمثل عامة القراء وتدافع عن قضاياهم وهمومهم ويشاركون في ملكيتها وامتيازها ويمثّلون في مجلس إدارتها .

وكانت صحيفة 26 فبراير تطمح إلى أن تشرع صفحاتها لكل الآراء المتباينة ، على اختلاف اجتهاداتها ، وتحتضن شتى الطاقات الابداعية الواعدة وتتبنى نتاجها وتتيح له امكانية النشر والحضور والانتشار .

ولا أريد الاستطراد كثيراً في الأماني والطموحات بعد غياب الصحيفة أو تغيبها لكي لا يظن أحد بأنها مجرد شعارات وأحلام « طوباويه » مثالية لدغدغة مشاعر الصحفيين الشباب الواعدين ولكسب ود عامة القراء ، لأننا طرحنا رؤيتنا للصحيفة ودورها في العديد من مقالات وافتتاحيات الصحيفة .

وقد آن الأوان لكشف النقاب عن قصة حضور وغياب صحيفة 26 فبراير .

والحق أن المخاض الذي سبق ولادتها استغرق الشهور الثلاثة الأخيرة التي سبقت التحرير . فكما هو معروف ، فإن العديد من الصحفيين والأدباء والاعلاميين قد أصدروا صحفاً ومطبوعات صحفية سرية إبان الاحتلال . . كما أن البعض منهم تواصل نشاطه الصحفي طوال شهور الاحتلال . ولم يتوقف عطاؤه بتوقف صدور الصحف والمنشورات إثر الإعدامات الفورية والاعتقالات التعسفية التي طالت العديد من العاملين فيها ، حيث كانوا يرسلون تقاريرهم عبر الفاكس السري .

***

26 فبراير : الحضور والغياب : كيف ولماذا ؟

● أن صحيفة 26فبراير لم تخرج من عدم وفراغ ، بل إنها كانت حاضرة ، منذ الأيام الأولى لمحنة الاحتلال ، عبر ما يمكن أن أسميه باعلام الصمود والصامدين، والذي تبدى في شعارات الحائط والمنشور والصحيفة السرية ، والتقارير الصحفية العابرة للحصار والحدود ، فضلاً عن الأخبار والمعلومات التي كانت تتسلل عبر الهاتف والفاكس والمغادرين !

وقبل ذلك كله ، إعلام المحراب . . إعلام التوحيد . . إعلام المساجد والدعاة والمفكرين . .

وإذا كانت سلطة الاحتلال قد تمكنت من محاصرة الاعلام المكتوب والمسموع ، فإن اعلام المسجد ظل بمنأى عن الحصار والتعتيم والمصادرة ! وإن كان هذا لم يمنع سلطات الاحتلال ، من اعتقال وإعدام العديد من الدعاة والصامدين . . داخل الجوامع وخارجها !

وإعلام الصامدين هو ـ بالضرورة ـ إعلام تعبوي تحريضي توجيهي إخباري ، فضلاً عن أنه يتصدى لغارات الحرب النفسية الشرسة ، التي تستهدف احتلال الوجدان ، وإثارة الفتن والنعرات . . داخل مجتمع الأسرة الوطنية الواحدة ، عبر الإشاعات والأكاذيب ولوي الحقائق والشعارات العنترية .

ولكي نعلم الدور الفاعل الحيوي ، الذي قام به إعلام الصامدين طوال شهور محنة الاحتلال العراقي الغاشم . . لا نجد شهادة أخير وأعدل من شهادة الأعداء أو ـ إن شئت ـ الأخوة الأعداء ! حيث صدر فرمان صدامي همايوني يقضي بإعدام كل من يصدر صحيفة سرية ، ويفجر قصيدة تحريضية ولوحة تشكيلية أو رسمة كاريكاتيرية أو ملصقاً أو شريطاً مسجلاً أو منشوراً يندد بالاحتلال ويحرض على مقاومتهم ، ويفضح دعاويهم الباطلة وممارساتهم الإرهابية الإجرامية ، وخطورة سابقتهم الاحتلالية على الأمة العربية والإسلامية ، وأمانيهما في الوحدة والتكامل والتكافل .

وفي كلمة أقول بأن اعلام الصامدين كان حاجةً وضرورةً ودوراً وفعلاً . . وليس مجرد

إعلام استهلاكي يروج ويحضر ، حسب العرض والطلب !

ومن المهم هنا التنويه بأن اعلام واتصال الصامدين كان عفوياً غير منظم . . وهذا يفسر كثرة الصحف والنشرات السرية التي صدرت عن كافة محافظات ومناطق الكويت ، على الرغم من تباين مستواها في الشكل والاتقان والمضمون . . فإنها كانت بمثابة الجوقة التعبوية التحريضية ، التي تعزف هتافات الصمود والمقاومة ، والصبر والاحتساب والاستشهاد ، وتموسق ملحمة الصمود؛ المترعة بقيم وسلوك وأفعال التواد والتراحم والتواصل والتكافل والإيثار والاعتماد على الذات . . الخالية من القيم النفطية الاستهلاكية النفعية .

وأحسب أن المسجد كان محور النشاط الإعلامي ، ونبعه الريان . . فمن المسجد خرج أول منشور وصحيفة حائط وملصق ومحاضرة وخطبة وشريط تسجيل . . وغير ذلك .

ولم تقف المسألة عند حد الأولوية ، بل تجاوزته عبر استمرار الصدور والحضور كل شهور الاحتلال . ومن هنا نلاحظ الدور الاعلامي الحيوي الفعال الذي قام به الأئمة والخطباء والدعاة . وكلنا يذكر المضايقات التي كان يتعرض لها أئمة المساجد والمصلين أيام الجمعة وفي أوقات الاحتشاد في الجامع ، لسماع محاضرة أو خطبة أو مقالة توجيه وإرشاد وانباء وتوعية .

وفي الحقيقة ، يمكن لنا القول بأن كافة وسائل الاتصال والاعلام المتاحة كانت متناغمة ، وتعزف لحناً جماعياً ، لا نشاز فيه ولا لحن ! فقد تجسدت فيها روح الوحدة الوطنية ، فعلاً وسلوكاً وانتماءً ! الأمر الذي جعل الرأي العام العالمي يتعاطف مع قضية ومحنة احتلال الكويت ، بدافع مبدأي أخلاقي إنساني . . قبل أن يكون بسبب المصالح التي لا يمكن إنكار حضورها . . لأنها باتت في زماننا من سنن العلاقات بين الدول .

وقد سمعت شخصياً الكثير من ضباط وجنود التحالف يرددون مقولة واحدة قوامها : انهم أدركوا من خلال شهادات الرهائن الأجانب الذين حضنهم الشعب الكويتي بكل فروسية وتضحية ، أدركوا من خلال شهادات الأجانب العاملين هنا . . بأن الكويتيين شعب يستحق أن يعيش ، ويستأهل من العالم مساعدته على تحرير بلاده . وحين كنت

أداعبهم قائلاً : وماذا عن البترول ؟ يبادرونني بصراحتهم المعهودة قائلين . . دافع البترول حاضر ولا يمكن إنكاره لأنه شريان حياتنا وحضارتنا واقتصادنا . هذه حقيقة يعرفها تلاميذ سنة أولى سياسة !

* * *

أين صحيفة 26 فبراير ؟؟

● أين صحيفة 26 فبراير ؟! لم غابت ؟! هل غابت أم غيّبت ؟! وأسئلة أخرى كانت تلاحقنا ـ نحن معشر العاملين في 26 فبراير ـ أول صحيفة يصدرها الصحفيون المرابطون إثر تحرير الديرة الغالية . وكانت الأسئلة ـ بحق ـ تلاحقنا في كل مكان نحلّ فيه . . حتى في الدوائر الرسمية ! أما في الأوساط الشعبية ، فحدث ولا حرج . . كما يقولون .

في الدواوين ، كان السؤال عن سر غياب الصحيفة يتدحرج على مسامعنا حال جلوسنا ! وأحياناً يسبق ذلك . . في نقاط التفتيش ـ التي كانت حاضرة بشتى محافظات ومناطق الكويت المحررة . كان التفتيش عن صحيفة 26 فبراير يسبق الاجراءات المعهودة لنقاط التفتيش . . أي يسبق التفتيش عن الممنوعات . وكان المفتشون يغتبطون لرؤيتها . . والبعض ساهم في عملية توزيعها .

في مطابع الخط ـ حيث كانت تطبع الصحيفة ـ كانت جموع الزوار تتوافد زرافات ووحداناً على مدار ساعات الشغل .

وكان الصحفيون ، من شتى أنحاء العالم ، يتوافدون على المركز الإعلامي في منطقة الجابرية يومياً ، طوال شهر رمضان للغرض ذاته .

وفي كلمة ، فقد صار غياب صحيفة 26 فبراير ـ بعد أن صدر منها 15 عدداً ـ شاغل الناس في الكويت الحرة .

وأحسب أنه آن الأوان لأن يعرف القراء لما غابت ـ أو غيّبت ـ هذه الصحيفة الفتية !

سيما أن القيمين على إدارة المركز الإعلامي بالجابرية اختاروا ـ آنذاك ـ موقف عدم الخوض في ظروف وأسباب وملابسات غياب الصحيفة رغبة منهم في احتواء الأزمة التي قامت بينهم وبين وزارة الاعلام ! وبخاصة بعد أن تلقوا وعداً شفهياً من شخصية قيادية عليا ـ إثر توقف الجريدة بعدة أيام ـ بإعادة صدورها .

الصحيفة . . المخاض والولادة

● وحتى نعرف لمَ غابت صحيفة 26 فبراير ، أجد من المهم معرفة متى وكيف ولماذا حضرت هذه الصحيفة بعد عملية تحرير البلاد مباشرة ؟

في أواخر شهر ديسمبر 1990 اتصل بي الأخ الصديق توفيق الأمير الفنان السينمائي الإعلامي المعروف في منطقة الخليج (مدير تصوير أفلام المخرج السينمائي خالد الصديق ومؤسسة النورس للانتاج التلفزيوني) ودعاني إلى حضور اجتماع سري للمساهمة في إعداد الخطة الاعلامية التي ستكرس لكويت ما بعد التحرير .

وقد علمت أن الدعوة الى هذا الاجتماع وجهت الى الكثيرين من الفنانين والصحفيين الصامدين في الكويت المحتلة . . لكن الظروف الأمنية لم تمكن سوى القلة من حضور الاجتماع ، أذكر منهم ـ على سبيل المثال ـ الأخ صباح ناصر سعود الصباح (وكيل وزارة الدفاع وأحد القياديين الشباب الذين كانوا يشرفون على جانب من نشاط المقاومة العسكرية والمدنية وغيرهما ، والفنان عبد الحسين عبد الرضا ، والفنان الفوتوغرافي السينمائي التلفزيوني عبد اللّٰه المحيلان ، وعبد اللّٰه الأيوب (المحامي) وسلمان داود الصباح (مدير مركز توثيق المعلومات الاعلامية بوزارة الاعلام) وأحمد الضرمان (المخرج الاذاعي) وعبد العزيز المنصور (المخرج المسرحي التلفزيوني) وغيرهم .

ولعل أهم ما طرح في الاجتماع الأول : المعلومة الخاصة باتصال القيادات الوطنية ، داخل الكويت المحتلة ، بقياديي وزارة الاعلام الكويتية المتواجدة في المملكة العربية السعودية . . والذين وافقوا على توفير جميع المعدات والأجهزة التقنية لتشغيل الاذاعة والتلفزة والصحافة إثر تحرير البلاد مباشرة . . وربما قبل ذلك !

وقد جرت اتصالات ، سرية ، طوال الأشهر الثلاثة الأخيرة التي سبقت التحرير بهذا الشأن . وفي الاجتماع علمنا أن وزارة الاعلام الكويتية قد أحيطت علماً بكافة الاحتياجات الخاصة بتشغيل محطة اذاعة مسموعة ومرئية واصدار صحيفة يومية وملصقات ومطبوعات . . الخ . والذي أثار اغتباطنا هو أن نتيجة هذه الاتصالات كانت ايجابية ، حيث أفادت الوزارة بأن هذه الاحتياجات ستكون في الكويت مع طلائع التحرير . . وأن البعض منها في سبيله الى أن يكون فيها قبل التحرير اذا نجحت المساعي المبذولة لادخالها مهربة عبر الأردن أو السعودية . . فضلاً عما سمعناه عن امكانية تشغيل البث الاذاعي ، المسموع والمرئي ، عبر باخرة معدة لهذه المهمة .

وتمخض جبل الوعد فولد . . . !

● وهكذا تعددت اجتماعات اللجنة الاعلامية وراحت تضع الخطط المكرسة لاعلام ما بعد التحرير ، اعتماداً على أن وزارة الاعلام قد جهزت العدة والأجهزة الاتصالية والاعلامية . . وإنها ستكون داخل الكويت المحررة في الساعة الأولى من التحرير .

وكانت الأخبار المتواترة المتسللة ، عبر الحدود ، تشي بأن كافة احتياجات الكويت الحرة قد تم تأمينها لتشمل شتى مناحي الخدمات العامة .

ومما قيل ، بهذا الصدد ، إن المولدات الكهربائية والمستشفيات المتنقلة ، ومواد التموين وخزانات المياه ، وما الى ذلك ستكون جاهزة ـ على أهبة الاستعداد ـ بقرب الحدود كي تكون في الديرة حال تحريرها . وبهذا المعنى ، أيضاً ، سمعنا عن محطة اذاعية مرئية ومسموعة تمخر عباب مياه الخليج بواسطة أحد المراكب . . وعن مطبعة محمولة عبر الشاحنات البرية . . الى آخر الوعود والأخبار الوردية التي حملها الينا طائر التفاؤل !

ولذا ، ساد احساس بين الصامدين في الكويت المحتلة بأن كل ـ أو جل ـ الخدمات العامة الغائبة عن الديرة المحتلة ستعود اليها بمعية الحكومة ، إثر التحرير مباشرة !

الحاصل أن الوعود التي تواترت في مجال الاتصال والاعلام تمخضت عن لا

شيء !

ومن هنا كان من البدهي أن تغيب الخدمات الاعلامية الحكومية عن الكويت المحررة . ومن هنا ، أيضاً ، حرصت وكالات الأنباء ومحطات الاذاعة ـ المسموعة والمرئية ـ العالمية على أن تجلب معها الى الكويت المحررة كل عدة الشغل التقنية وغيرها . . بحيث إنها لم تغادر كبيرة ولا صغيرة !

ومن تحصيل الحاصل ، هنا ، أن ننوه بأن الكويت ـ آنذاك ـ بدون ماء ولا كهرباء ولا تلفون ولا صحف . . الخ . . إذ إن هذه الخدمات كانت غائبة عن الكويت منذ بداية العمليات الجوية لتحرير البلاد . . وبعضها كان معطلاً وغائباً قبل ذلك .

ولذلك رأينا الصحافة الأوروبية والأميركية ، بكافة أنواعها ، تقوم بنقل وبث ونشر الأخبار وتغطية الآثار المأساوية للغزو وغير ذلك !

ولا تحاول ـ هنا ـ أن تسألني أين كان الاعلام الكويتي ؟ ولم غاب عن الحضور في هذه المناسبة الوطنية القومية العالمية التي لن تعوض وتتكرر؟ وهل فوجيء الربع بيوم التحرير مثل مفاجأتهم بيوم الغزو والاحتلال ؟

أقول لا تسألني هذه الأسئلة وأمثالها ، لأن المولى سبحانه وتعالى قد أمرنا بالستر !

وبعد . . فالمقدمة السابقة كان لابد منها قبل الخوض في تفاصيل عملية صدور صحيفة 26 فبراير .

***

غياب وحضور صحيفة 26 فبراير

● كنت أتحاشى الخوض في مسألة غياب صحيفة 26 فبراير المفاجيء ، على الرغم من أن السؤال عن غيابها كان ـ وما زال ـ يلاحقني في كل مكان أحلّ فيه ! وأحسب أنه يلاحق كل الزملاء الصحفيين الذين احتشدوا لاصدار الصحيفة .

ففي اليوم الذي غابت فيه صحيفة 26 فبراير ، عرفنا وزن وقيمة الصحيفة . . وأدركنا بأن حضورها كان ضرورة وطنية وحاجة شعبية أساسية . لا أقول ذلك من باب المبالغة أو بلاغة صفصفة الكلام ، لا سمح اللّه .

ففي المركز الاعلامي الشعبي الذي أنشأه الصامدون بعد التحرير مباشرة في منطقة الجابرية . . كان المئات من المواطنين والمواطنات يتوافدون على المركز للاستفسار عن الصحيفة (وين الجريدة اليوم . عسى ما شر؟ هل تبغون أي مساعدة تمكنها من الصدور والاستمرار في تأدية دورها الاعلامي الوطني[1]. الى آخر الأسئلة المجسدة لاهتمام عامة الصامدين بحضور هذه الصحيفة . . ورغبتهم الشديدة في استمرار صدورها ، مهما كانت المعوقات والمبررات والأسباب !

أضف الى ذلك اهتمام الكثيرين من الصحفيين العرب والأجانب الذين توافدوا على الكويت الحرة بالمئات ، طوال الأيام والأسابيع التي تلت غياب الصحيفة . وأذكر في هذا السياق أن بعض الصحفيين الانجليز والأمريكان ـ بخاصة ـ قد كرسوا صفحاتهم وبرامجهم التلفزيونية والاذاعية لمسألة غياب الصحيفة المفاجىء .

ويعلم اللّه ، سبحانه وتعالى ، بأننا لم نشأ أن نجعل من غيابها قضية تعكر صفو سعادتنا بتحرير البلاد . ولذا كنا نحتوي تساؤلات الناس والصحفيين بقوله أنها ستعود قريباً جداً لأن وزير الاعلام الكويتي قد وعدنا بمنحها رخصة الصدور . . حين زار المركز الاعلامي بالجابرية بعد أسبوع من صدورها .

وفي زيارته هذه ، أشاد بالدور الوطني الذي تقوم به الصحيفة ووعد ـ بحضور عشرات الزملاء ـ بأنه سيذلل كل العقبات ويقدم كل المساعدات التي تمكّن الصحيفة من الصدور يومياً . . وكانت الصحيفة ـ آنذاك ـ تطبع بالكمبيوتر ومن ثم يتم تصويرها بأجهزة التصوير الخاصة باستنساخ الوثائق وغيرها . . وسط ظروف صعبة ومتعبة . وأذكر أن وزير الاعلام قال في معرض وعوده بأن الوزارة ستدعم الصحيفة بعد طباعتها في مطابع الخط وفق الشكل والماكيت الجديد اللائق بها كأول صحيفة وطنية تصدر بعد تحرير الديرة . وأذكر ، أيضاً ، بأن وعود الوزير اتسمت بالسخاء والكرم ، فقد وعد بتمويل عملية انجاز (37) سبع وثلاثين ساعة فيلمية قام بتصويرها الفنانون وهواة التصوير من الصامدين طوال شهور محنة الاحتلال . . فضلاً عن تصويرهم وتوثيقهم لعرس التحرير

(1) أذكر هنا العرض الذي قدم من قبل الاخ الصديق الشيخ ناصر صباح الاحمد بتمويل كافة أنشطة المركز، والعرض المقدم من الشيخ محمد عبد الله المبارك الصباح . . جزاهما الله خيراً.

بسبب فلان وشتيمة علان؟! وتقول بأن أحد الضباط «البصراويين» هو الذى اكتشف بأن عباقرة الاستخبارات فى النظام المستبد الظالم، قد وقعوا فى «مطب» لا يحسدون عليه! ولذا راح يهمس لزملائه- وهو يدارى ابتسامة شماتة تكاد تقتحم شفتية- بأن اسم «شيخه» مباح ومتاح لأى أنثى فى الكويت وديار الخليج العربى.. بحكم أنه أسم وليس لقبا. ولو لم يكن اسما وليس لقبا..فهل من المعقول وجود «شيخة» باسم «عبدالعزيز» وهو- كما ترى اسم مذكر لا يحمله إلا الذكر؟! (يا به فضحتونا جدام الحريم الكويتيات! الحجية صار لها ساعات وهى تحلف وتؤكد بأن اسمها «شيخة» حاف! أى بدون صفة ولا لقب! مثل بقية أسماء خلق الله[1].

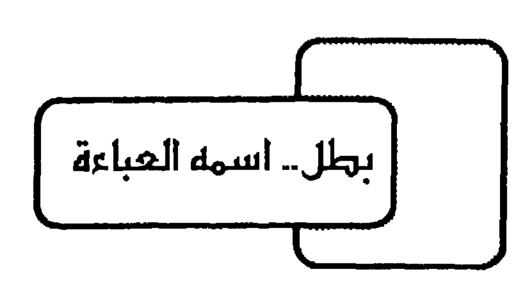
* ومع ذلك لم يطلق سراحهم فورا- بدافع «حاسة» العزة بالاثم! لذا ظل الثلاثة فى «الضيافة» ثلاثة أيام بلياليها تأسيا بتقاليد الضيافة العربية. ألا تراهم فى التليفزيون يمثلون دور «النشامى» وفى مسرح عمليات البطش والقمع والأرهاب يظهرون على حقيقتهم المضرجة بدماء الأبرياء والضحايا.

وفى صبيحة اليوم الرابع من الاعتقال كانت السيارة تعود بالركب إلى الوطن المحتل. وقد لاحظت الأم وابنتها: بأن المسروقات «الشعبية» تباع جهارا نهارا على الهواء، وفى العراء وتحت الشمس وأمام عيون البوليس، ورجال ونواطير الليل، وزوار الفجر وعباقرة القمع والردع!.

حين تنسمت «أم صالح» أريج رائحة محافظة الجهراء الذى تخبره «مناخيرها» منذ أن كانت طفلة صغيرة.. أجهشت بالبكاء، وكانت هى المرة الأولى التى تبكى فيها منذ زمن بعيد.

(١) مثل اسم أميرة الشائع فى بعض الديار العربية.





بعد أسابيع قليلة من الاحتلال صار من النادر مشاهدة امرأة سافرة متبرجة مزوقة أو ملطخة بألوان «المكياج» والزينة. وصار من المألوف رؤية غالبية نساء الديرة وهن يتشحن بالعباءة السوداء ويعتمرن غطاء الشعر «الملفع أو الحجاب».. ومن هنا: فإن المرأة المندسة الغريبة عن المنطقة، تعرف بزينتها الصارخة وعطرها الفواح وظهورها السافر بدون عباءة أو وشاح! وكأن النساء الكويتيات متفقات على زى حركى يعبر عن هويتهن قوامه: العباية والملفع، أو البرقع أو الحجاب!.

ولأول وهلة نظر رجال الأمن والاستخبارات إلى هذه الظاهرة على أنها مظهر حرص على الحشمة والحزن فقط لا غير! الأمر الذى مكن الكثيرات من القيام بتضحيات بطولية مدججة بالعباءة والبرقع أو الحجاب! حيث كن يخفين ويوزعن النقود والسلاح والمنشورات والرسائل، ويقمن بتصوير كل ما تحرمه سلطات الاحتلال من خلال العباءة!.

أضف إلى ذلك الدور الذى لعبته العباءة فى اخفاء وتهريب وحماية الرهائن الأجانب من الوقوع فى قبضة وأسر المحتلين.

فسبحان الله مغير الأحوال.. فمن كان يصدق أن هذا اللباس الوطنى التقليدى

العريق- الذى طالما وصف بأنه زى معوق غير عملى- يتحول إلى وسيلة نضالية عفوية شعبية تخطر فى الشارع، وتتجاوز نقاط ودوريات التفتيش وعدتها. فترى المرأة متأبطة منشورات، أو متحزمة بمفرقعات أو حبلى بالقنابل اليدوية والمسدسات والذخيرة.. وما إلى ذلك! لكنها تمر بسلام، وتمرق دون أن تكشفها عيون الردار، المبحلقة فى كل شاردة وواردة!.

وهذه المهمة تبدو- شكلا- سهلة ويسيرة، لمن لا يعرف المخاطر التى تحيط وتلاحق المرأة المحجبة الملغومة بالممنوعات!.

لأن حضور قانون «حمارابى» ينفى قوانين «حمورابى»، لأنه يعرض هذه المرأة وأمثالها لخطر الموت أو الاعتقال على أحسن تقدير!.

لقد نوهت- فى موقع آخر من الكتاب- بالصورة المظلمة الظالمة المرسومة للمرأة الكويتية فى أذهان الكثيرين- نحن معشر العرب، وهى صورة ظالمة ومظلمة، لأنها تعتمد على المظهر- لا الجوهر-، معيارا وميزانا للحكم على البشر! فالإنسان الذى لا يعرف الآخرين- عن قرب وكثب- فإن نظرته وتقييمه لهم، يتسم- عادة- باللاموضوعية والقصور والتشوية وكل ما يشين الصورة ويعكر جمالها. ذلك أن الناظر إليها من الخارج، يحسبها إنسانة هامشية عاطلة بالوراثة عديمة الممارسة! ويظنها تعيش لتلبس، وتتملك وتتسوق وتروح عن نفسها بالسفر والترحال، واقتناء المجوهرات والسيارات الفخيمة! ولا تحفل سوى بزينتها ومظهرها ورفاهيتها بس!.

ولعل شيوع هذه الصورة الظالمة.. مرده التعميم الخاطىء الذى يظلم الكل بجريرة البعض الشاذ! فالذى يشاهد- عرضا- فى إحدى سفراته مثل هذه العينة الهامشية، يسحب اعتقاده الخاطىء على جميع النساء الكويتيات بل الخليجيات! والحق أنه لا شىء مثل الفعل قوة وقدرة على تغيير الصورة المشوهة والاعتقادات الخاطئة والأفكار المسبقة المتعسفة الظالمة.

فالفعل وحده هو الذى يمنح صاحبه شهادة حسن سير وسلوك. ويبدد الغبش والغبار وكل ما يشوه صورة الإنسان، فى عيون الآخرين وذاكراتهم.

❋ ❋ ❋

أصالة المعدن ومحك المحنة

وهكذا وجدنا المرأة الكويتية التى كانت توصف وتوصم بالاتكالية والكسل واللامبالاة... الخ. قبل ١٩٩٠/٨/٢ (تاريخ الاحتلال العراقى الغاشم لدولة الكويت).. وجدناها- بعد الاحتلال- تنقلب رأسا على عقب.. الأمر الذى يدل على أن الصورة السائدة لها غير صادقة ولا حقيقة.. فضلا عن أنها خاصة بقلة قليلة، ورثت الغنى والبطر واستمرأت الحياة الهامشية، الخالية من الجدوى والمعنى والفائدة.

ومنذ الأيام الأولى للاحتلال الغادر قامت المرأة الكويتية بدور وطنى فعال، لا يقل أهمية وفعلا وحركة وتضحية عن دور الرجل.

فحين غادر الكويت أغلب العاملين فى البيوت والمؤسسات الأهلية والحكومية، ظن أصحاب الاعتقاد الخاطىء السالف ذكره، بأن الحياة اليومية لمجتمع المرابطين ستصاب بالشلل والعقم والاضطراب... الخ. لكن المرأة الكويتية استجابت للتحديات- التى أفرزتها المحنة- بمواقف مترعة بالمقاومة والتضحيات والحركة والفعل والكدح والنشاط. فوجدنا ربة البيت تشمر عن ساعد الجد: فتخبز وتطبخ، وتكنس الدار وتنظفها ، وتغسل الملابس والمواعين، وتحلب البقرة والناقة والمعزة والنعجة!.

وكان يومها يبدأ من اطلالة الفجر.. حيث تشعل الفرن من أجل خبز طعام

الإفطار. وبمعيتها بناتها وهن يساعدنها ويقمن بالمهام المنزلية اليومية بحماس ونشاط واضحين. وإذا فرغت ربة البيت من مهام ساعة الفجرية، عكفت على انجاز جدول الأعمال اليومى، وفق الأولويات التى تفرضها ظروف المنزل.

والمهم أنها لا تكف عن الشغل والنشاط والحركة طوال نهارها وقسطا من ليلها، تماما مثلما كانت تفعل أمها وجدتها فى كويت ما قبل النفط!.

والعبد لله نفسه يعرف سيدة مسنة مريضة لم تقبل أن ينوب عنها أحد من بناتها وزوجات عيالها فى انجاز الخدمات المنزلية اليومية. فأثر صلاة الفجر توقد الفرن وتشعل البوتاجاز، وتعد وجبات الطعام وتشرف على الأنشطة البيتية التى تقوم بها بناتها وزوجات بنيها.

والمدهش أن استجابتها الصحية للتحديات التى نشأت عن غياب العمالة المنزلية.. لم تؤثر على صحتها العامة أو تؤثر- سلبا- على عللها وأمراضها العديدة. بل أن كل ماتشكو منه أعراض مرضية وآلام مبرحة زالتا بقدرة قادر! الأمر الذى حرضها على بذل المزيد من النشاط والحركة والانجاز والشغل!.

وهذه السيدة المريضة المسنة ليست حالة فردية شاذة.. بل أنها تعبر عن توجه غالبية السيدات والآنسات وكل أفراد الأسرة الكويتية.

ولا يحسب أحد بأن فعل ونشاط المرأة الكويتية محصور بتسيير شغل البيت فحسب.. بل أنه تجاوز ذلك ليشمل شتى مناحى العمل الوطنى التطوعى. حيث كانت حاضرة بفعلها فى أنشطة المقاومة الشعبية المسلحة، والمقاومة السلمية المناوئة للاحتلال،غير عابئة بعقوبات الاعدام الفورى والاعتقال التعسفى فضلا عن عدم رضوخها لشتى أنواع التنكيل والتعذيب والقمع والإرهاب!.

ومن هنا امتلأت سجون ومعتقلات سلطة الاحتلال بمئات السيدات والشابات، وازدهرت مقبرة «الرقة» بدماء الشهيدات اللواتى كن يجاهدن الطغاة الأرهابيين

المحتلين بكل شجاعة وإيمان وقوة.

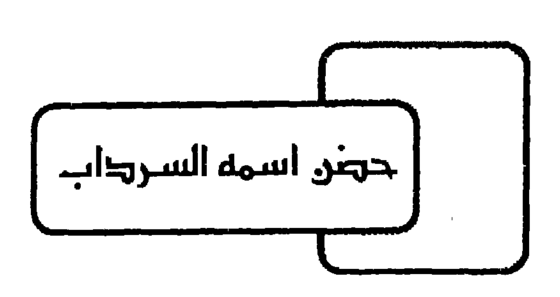
وأحسبنى لا أغالى إذا أشرت بأن اشتراك المرأة الكويتية فى صفوف المقاومة المسلحة لم يدر بخلد العدو المحتل. ربما لظنهم بأن هذه الأنثى التى ألفت رغد العيش ورفاهيته، لا تقدر أو تجرؤ على حمل السلاح واستخدامه! ولا تغامر بحياتها بزج حميتها ووطنيتها فى أعمال المقاومة المحفوفة بالعدم والخطر والقلق. وهذا الظن ساعد فى التعتيم على دورها.. وساعد فى الوقت نفسه- على تقويض الرأى السلبى السائد عنها. وتمكنت باستشهادها وتضحياتها وصبرها وسعيها وكدها وحركتها من اقلاق مضاجع رجال الاستخبارات العراقية الصدامية والسخرية منهم والضحك على ذقونهم. فلم يكتشف الواقفون فى مراكز وحواجز ونقاط التفتيش المزروعة فى كل مكان بالكويت، أن هذه السيدة «الحامل» المتشحة بالعباية والتى تعتمر غطاء يحجب شعرها يمكن أن تكون من «رجال» المقاومة.. ذلك أن مشيتها المتثاقلة وبطنها المدجج بالذخيرة والسلاح يشى بأنها سيدة تتريض لتسهل عملية المخاض والولادة! إلى درجة أن بعض أفراد قوات الاحتلال كانوا يسألونها- وأمثالها- عن موعد ولادتها وعن الاسم الذى اختارته لمولودها!.

والحق أن العباءة الخليجية قد دخلت التاريخ من خلال الدور البطولى الذى قامت به المرأة الكويتية طوال أشهر الاحتلال.

وبهذا المعنى فإن العباءة كانت من أهم وأبرز علامات ورموز العمل النضالى الوطنى. وحين يوثق الدور الذى قام به المقامون الكويتيون فلابد أن تكون فى مقدمة الأبطال الذين تفتخر بهم الديرة والعروبة والإسلام!.

وهذا الدور النضالى للعباية ليس بدعة جديدة غير مألوفة فى ميدان الجهاد والتضحية والفداء فى الديار العربية والإسلامية. فقد سبق للمرأة الجزائرية والحجاب الجزائرى القيام بنفس الدور البطولى النضالى ابان جهاد الشعب الجزائرى الشقيق ضد الاحتلال الاستيطانى الفرنسى.

ومن هنا أتمنى أن تأخذ العباية حقها من التوثيق والاشادة والصدارة فى صالة المقاومة الوطنية بمتحف وثائق احتلال وتحرير الكويت. ولا بأس على رجال الأمن والاستخبارات العراقية لو صادروا من مكتبة الاذاعة أغنية «يم العباية حلوة عباتج!» لأن حلاوتها- هذه المرة- خارجة من رحم الفعل البطولى والتضحيات الجسام التى قامت بها العباءة وصويحباتها!.



* حرص السكان الأوائل لمنطقة كيفان، على أن تكون عمارة بيوتهم الحديثة، موصولة ببعض رموز البيت الكويتى الطينى العتيق، الذى خبروه قبل اكتشاف النفط.. فترى الفيلا من الخارج (بالأحرى لا تراها) مسورة بسور عال يضاهى ارتفاعه سور السجون والقلاع! وإذا دخلت الحوش أو الحديقة استقبلتك عتبات السرداب (القبو بلسان عرب الشام والبدروم بلسان عرب المحروسة). والسرداب أصلح مكان للسكن فى مناخ شديد الحرارة مثل الكويت.. وكانوا- آنذاك- «مطلع الستينات» ينامون فيه القيلولة، نومة هنية بدون تكييف.. وكانت الأسرة- كلها- تستخدمه. لذا كان واسعا بحجم بناية المنزل، وبعض السراديب فيها غرف ومطبخ ومغسلة وحمام و «سونا» ومكتبة وديوانية وملعب للأطفال والكبار!.

وإذا خرجت من السرداب، واجهتك البركة التى تخزن فيها مياه الأمطار، حيث يصر راعى البيت على معاينة سعة وعمق البركة، وحلاوة ونقاوة وطهارة ماءها! وفى هذا السياق أذكر أنى أبديت تحفظى ازاء مشروع البركة إلى كل من السيد الوالد أطال الله عمره والعم «بو أحمد» فهد سليمان الفهد «رحمه الله» قلت بلسان المتحذلق

«القارىء» فى المعارف. لم السرداب؟ ولم البركة؟ أن المنازل الحديثة والكويت الفتية لا يحتاجان إلى وجودهما - ولله الحمد- فالماء سيصل إلى خزانات البيوت بواسطة السيارات «التناكر»[1] من محطات تقطير المياه، وسيأتى اليوم الذى تصل فيه المياه مباشرة عبر المواسير. أما السرداب: فإن المراوح وأجهزة التكييف سيتكفلان بتلطيف حرارة مناخ الفيلا، بدون الحاجة إلى مصايف وعناء حفر وانشاء سرداب لا جدوى منه. وأذكر أن العم «بو أحمد» رحمه الله رد على قائلا وماذا لو انقطع التيار الكهربائى وشح الماء؟! أن الاحتياط وأجب ، ومن يدرى فقد يأتى اليوم الذى تجد نفسك فيه بأمس الحاجة إلى السرداب والبركة.. ومرت السنون، ولم يعد الإنسان بحاجة إلى البركة.. بل أن بعض الأسر، عمدت إلى ردمها لانتفاء الحاجة. لكن الأغلبية، حافظت على وجودها، أو تناستها بدعوى أن لا ضرر منه.

وكانت اللجنة الشعبية لكل منطقة سكنية، قد رصدت وأحصت عدد البرك والسردايب، فى كل قطعة وشارع بالمنطقة السكنية. وزودت كل سرداب، بالتموين الأساسى ومعدات اطفاء الحريق، كما طالبت الأهالى بملء بركهم من باب التحوط. وهكذا كان.



سرداب الأسرة الوطنية الواحدة

وحين بدأت الغارات العسكرية الجوية لعملية «عاصفة الصحراء» لجأ الأهالى إلى السردايب المجاورة لبيوتهم. فصار كل سرداب يحضن عشرات العائلات التى لا تتوفر فى منازلها السراديب.

(١) سيارة مخصصة لنقل المياه.

ولعل الأيام التى اجتمع فيها الأهالى فى السراديب، من أشد أيام الاحتلال قلقا وتوترا.. وأحفلها بالإيثار والتراحم والتضحيات والتكافل. فقد تزامنت مع بداية العمليات الحربية الجوية، وعقبت حملة الاعتقالات التعسفية التى طالت الآلاف من أبناء الوطن . فعاش الجيران كل المدة التى استغرقتها عملية «عاصفة الصحراء» لتحرير الكويت. داخل السرداب. وقد قسم كل سرداب، إلى قسمين: الأول للسيدات والأطفال، والآخر للذكور صبيانا وشبابا وشيبا.

وكانت روح الجماعة الواحدة- أو أن شئت- روح الأسرة الواحدة تسكن الجميع. الظلام يخيم على الكويت، والتلفونات مقطوعة والشوارع خالية، والبيوت ترتج من شدة وقع المتفجرات ودوى المدافع واختراق الطائرات لحاجز الصوت. وكان الشباب يخرجون من السرداب ليصعدوا سطوح المنازل للفرجة على«مسرح العمليات» بدون خشية! وكان الأطفال يتمردون على «حكرتهم»[1] فى هذا السرداب، فيتسللون- خفية- إلى الحوش بدافع الفرجة، تأسيا بالكبار واقتداء بهم. ولوعن لك حثهم على النزول إلى تحت، حيث المكان أكثر أمنا وسلامة، لقالوا لك: لم تسمحون للشباب بالتسكع فوق السطوح ولا تبدون خشيتكم عليهم؟! أين راحت الديموقراطية التى تلعلعون وتتغنون بها ليل نهار؟! أم أن ديموقراطيتكم على ناس ناس.. كما مطر الصيف! ولا تملك ازاء هذا المنطق المفحم، سوى أن تبلع ريقك وترضخ لتيار الأغلبية السليطة اللسان على مضض! ولكن قلوب الأمهات لا تحفل بالجانب الديموقراطى للمسألة.. فترى كل أم تهرع- لاهثة- نحو الحوش فتقبض على وليدها، ومن ثم تسحبه صوب السرداب وهى تغمغم بعبارات غاضبة، غير عابئة بصياح الاحتجاج التائه وسط زحام الأصوات الرعدية، التى تصم الآذان وتهز الجدران.. وبعض القلوب المسكونة بالخوف والقلق والتطيرا.

* وعلى الرغم من كثرة سكان السرداب، وتباين أمزجتهم وثقافاتهم

---

(١) عدم خروجهم.

واجتهاداتهم.. إلخ. إلا أنهم كانوا «على قلب» واحد... صهرتهم المحنة ببوتقة الأخوة في الله.. الأمر الذى أدى إلى تجاوز واحتواء أى اهانة أو خطأ يحدث لسبب أو لآخر.

ولأن الحاجة أم الاختراع، فقد ابتكر أحد الأخوة الاكاديميين، لغة شفرية لمعرفة طارق الباب والمنادى من وراء سور البيت العالى، بصوته الجهورى أو ببوق و «هرن» سيارته. وكانت الأبواب الخارجية للمنازل موصدة، ولا تفتح لأحد يجهل مفردات قاموس اللغة السرية للاتصال والتخاطب فى هذه الفترة! وقد أدت هذه الطريقة إلى انقاذ آلاف المواطنين من الاعتقال العشوائى التعسفى التى تم قبيل العمليات العسكرية الجوية.



محنة الاحتلال الغاشم

فى وجدان الأطفال

ولعل أكثر ما لفت نظرى وأثار اهتمامى فى «حصار السراديب» هو التبدل الواضح الذى طرأ على سلوك الأطفال! فقد بدا لى: أن أطفالنا الذين عاشوا محنة الاحتلال- بكل ويلاتها المأساوية وآثارها المدمرة ليسوا هم نفس أطفالنا الذين عرفناهم وخبرناهم! حديثهم ولهوهم كله- أو يغلب عليه- العنف والعدوان، والكر والفر والذبح والإعدام والمسدسات والرشاشات والدبابات والحرائق.. وغير ذلك من المفردات الغريبة على قاموس حياتهم اليومية. وقد عن لى- ونحن فى السراديب- اشغالهم بعمل رسوم يعبرون من خلالها عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه محنة الاحتلال الغادر. ولفت نظرى أن صورة إبليس والشيطان والإنسان القبيح الكريه صارت علامة ورمزا للضابط

أو العسكرى العراقى وكان اللون الأحمر هو الحاضر فى كافة الرسوم واللوحات، وينزف منها بصورة وحشية مرعبة! وفى كلمة: كانت رسوم الأطفال شهادة وجدانية شعورية ولا شعورية، ضد الغزو الهمجى والاحتلال الوحشى وممارساته الاجرامية. والحق أن الطفل الكويتى المرابط فى الكويت المحتلة، لم يكن بحاجة إلى ممارسة الرسم لمعرفة آثار الاحتلال على وجدانه وذاكرته وأحلامه ونفسيته... حسبك أن تراقبه- من الظاهر- عبر حركته وسلوكه اليومى، وعلاقته بنفسه وأقرانه وذويه! فثمة أطفال استحوذت عليهم المخاوف المرضية القهرية! وثمة أطفال غيرهم صاروا يتهتهون فى كلامهم وتزورهم الكوابيس المفزعة كل ليلة تقريبا!.

وأحسب أن هؤلاء الأطفال ستظهر عليهم- بمرض نفسى أو جسدى- آثار المحنة وويلاتها.

وقد أحسن «المركز الإعلامى فى الجابرية» صنعا حين بادر - بعد التحرير-، بدعوة الأطفال والصبيان والشباب إلى توثيق مشاعرهم وانفعالهم بمحنة الاحتلال.. بالريشة والألوان وعدة الفن التشكيلى. وأحسب أن آلاف اللوحات والرسوم التشكيلية، تشكل مادة ثرية متنوعة للباحثين فى الطب النفسى والتربية وعلم النفس والاجتماع والأخلاق وكافة المعنيين بتشريح النفس الإنسانية والمختصين بعلاج أمراضها وأعراضها وصحتها العامة.

وقد أتيح للعبد لله: الاطلاع على العديد من هذه الرسوم فى «المركز الإعلامى بالجابرية» وراعنى أن العامل المشترك الذى يجمع بينها ويشكل أرضية واحدة لها هو: الاختلاط والخلط فى القيم والمعايير، والخلخلة فى معمار الأحلام القومية فضلا عن ذلك الانقلاب الهائل الذى حدث فى مفاهيم الجيرة والإخوة والوحدة والأمن والدفاع والقواعد العسكرية والحلفاء وجامعة الدول العربية ومجلس الأمن وتحرير القدس... الخ. وفى هذا السياق أذكر أن بعض المواليد أطلق عليهم أسماء أوروبية وأمريكية تيمنا بالتحالف الدولى الذى أنجز عملية «عاصفة الصحراء» لتحرير الكويت! وفى

النصف الأول من شهر رمضان اعتاد أطفال الكويت على الاحتفال بليلة «القرقيعات» حيث يقوم الأطفال بالطواف على البيوت بملابسهم الوطنية التقليدية وأكياس القماش تتدلى من أعناقهم أو أكتافهم ليجمعوا فيها المكسرات أو «القرقيعان» وسط أهازيج تقليدية موروثة تتضمن تمنيات طيبة لذرية صاحب البيت. وهذه الأهازيج مكرسة للأطفال فقط.. إذ لا يعقل أن يدعو «المقرقعون» المولى سبحانه بأن «يخلى فلانا لأمه» بينما هذا الفلان شاب بشوارب! الحاصل أن «قرقيعان» هذا الموسم في رمضان المنصرم ١٤١١هـ تأثر هو الآخر بالزفة الإعلامية الغربية لعملية «عاصفة الصحراء» فإذا بهذا الاحتفال الطفولي العريق المحافظ على توقيته وطقوسه وأغانيه منذ مئات السنين يلبس «الجينز» التاكساسي ويعتمر قبعة «الكاو بوي» ويرطن- الأطفال- بالدعاء للمستر «بوش» والميسز «تاتشر» والمسيو «ميتران».

والأطفال- بطبيعة الحال- غير ملومين لأن غزو بلادهم واحتلاله أحدث بلبلة وخلطا وخلخلة في القيم والمواقف والاتجاهات والأحلام القومية. فحسب معارفهم المدرسية فإن الاستعمار الذي عانت منه الديار العربية والإسلامية كان على الدوام أجنبيا غربيا أوروبيا أو أمريكيا فضلا عن الاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي لفلسطين. ولو أن الذين غزوا بلاده واحتلوها وعاثوا فيها فسادا ونهبا ودمارا من الغزاة المحتلين «التقليديين» لكان شأنه مثل شأن أقرانه من الأطفال العرب الذين تعرضت أوطانهم لبلية الاحتلال.. حيث بليتهم أخف وطأة وايلاما من أطفال الكويت!.

ولكن غزاة الكويت هم أولاد العمومة والجيران... الخ. والذي زاد من حيرة وبلبلة وتمزق الأطفال، يكمن في ملاحظتهم أن «الاستعمار» العربي العراقي الصدامي، حرض آباءهم وأجدادهم على «الترحم» على الاستعمار الغربي المسيحي! لأن الاحتلال «الصدامي» بز وفاق الاحتلال الأجنبي في السلب والقمع والإرهاب والممارسات الإجرامية اللاانسانية. التي لا سابقة لها في التاريخ.. ولا في أفلام وروايات الخيال العلمي وغير العلمي!.

ومن هنا أقول بأن أكثر الأضرار التى تمخضت عن احتلال العراق للكويت، تكمن فى التخريب والدمار الذى حدث فى وجدان وذاكرة أطفال وصبيان وشباب الكويت وديار الخليج العربى والجزيرة العربية.. وربما كل الديار العربية.

ومن هنا- أيضا- أقول: بأن اعادة تعمير الكويت ليست سهلة كما يظن البعض من الوسطاء والمنتفعين والسماسرة والمقاولين والوكلاء والشركاء وعشاق المقسوم و«الكومشن» ومن لف لفهم. إذ أن المسألة- فى اعتقادى- ليست مناقصة دولية مكرسة لعمارة المبانى والمرافق... الخ. تتقاسمها المؤسسات والشركات المختصة. فحسب.. ولو كان الأمر كذلك لهانت المصيبة رغم آثارها المدمرة ونتائجها المأساوية! **لأن الدمار الذى تعرض له الإنسان جسدا وعقلا ووجدانا، هو التحدى الأهم فى سياق عملية بناء وعمارة الكويت.**

هكذا كان اعتقادى وأنا أنعم النظر والتأمل فى سلوك ورسوم الأطفال الكثيرين الذين ضمهم السرداب، طوال فترة العمليات الحربية الجوية والبرية المكرسة لتحرير الكويت!.



الحجيّة رادار!

وفى السرداب أو القبو- كما يبغى أخونا الأديب الروائى محمد مستجاب- كان الراديو صلتنا بالعالم.. والمحظوظ منا من كان يملك بطارية لتشغيل الراديو. لأن خدمات الكهرباء والتليفونات والماء مقطوعة وغائبة. أضف إلى ذلك أن الأبواب الخارجية للمنزل موصدة، ولا تفتح سوى للطارق الذى يعرف كلمة السر.. أو طرقات

السر بمعنى أصح! وقد أضطر الأهالى إلى اغلاق الأبواب، درءا للاعتقال التعسفى والمداهمات المزاجية، التى كانت تتم فى كل حين!.

وإذا رغبنا فى معرفة ما يجرى فى الخارج، تطوعت سيدة عجوز لأداء مهمة الكشاف، الذى يستطلع ليعود بالأخبار والمعلومات! واختيار العجوز لأداء هذه المهمة يكمن- من خلال السوابق- فى أنها ليست محل ريبة وشك، ولا تغرى بالاعتقال ولا غيره! ولو تعرضت أحداهن إلى سين وجيم من قبل «الأخوة الأعداء» فإنها تتخلص منهم بحكمة السنين، وحزن وشجن الأم الثكلى أو الأرملة أو المنتظرة لعزيز- من صلبها ورحمها- غاب وغيب عنها فى سجون أو «مضافة» عراق صدام! وقد اكتشفت أن هذه السيدة التى بلغت أرذل العمر مخبرة لها العجب! وكنا نسميها الحجية «رادار» لبراعتها فى الاستطلاع والتجسس! ولعلها أول إنسان فى المنطقة السكنية يكتشف أن المحتلين هجوا ولم يبق منهم أحدا. جاءت وصوتها يزغرد بالفرح العامر بالشكر للمولى سبحانه وتعالى: ابشروا يا جماعة الخير.. فرج الله جاكم.. ربنا سبحانه يمهل ولا يهمل.. الله أكبر.. هللوا وكبروا.. ردت الديرة حرة.. اللهم لك الحمد والشكر صلوا على النبى محمد، عليه الصلاة والسلام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوميات السرداب «بالحبر السرى»[1]

ابتدأ فجر الأحد ١٩٩١/٢/٢٤ فى تمام الساعة الثالثة هجوم القوات البرية لقوات الحلفاء «عاصفة الصحراء» تساندها القوات الجوية والبحرية بعملية تعرف عسكريا باسم «الكماشة».

وقد توافد الجيران إلى السرداب بأطفالهم نسائهم.. إلخ. ومعنوياتهم- ولله الحمد- عالية جداً.. حيث يتابعون الأخبار بفرح غامر. والأطفال يمارسون لعبهم بدون خوف.

وقد أدينا- نحن الرجال الصلاة جماعة.. حيث جمعنا صلاتى الظهر والعصر. وشاركنا الصلاة الأطفال بكل وقار وهدوء.. على غير العادة!.

وضاحية كيفان.. يلفها التوتر.. حيث لا تسمع سوى دوى المدافع، وزخات الرصاص وأزيز الطائرات... إلخ. الكهرباء انقطعت منذ الثالثة فجرا. فاضطررنا إلى استخدام السراج الذى ينير بالجاز.. فضلا عن المصابيح الصغيرة التى تعمل بالبطاريات.

(١) هذه الخواطر كتبت على ضوء شمعة محتضر.. وقد أوردتها هنا بعلاتها بدون محاولة لإعادة صياغتها

النساء تتعاون فى اعداد الطعام.. وعلى الرغم من كثرة عدد المتواجدين فى السرداب، إلا أن الحياة تسير مفعمة بالروح المعنوية العالية.

وقد تم إغلاق الباب الخارجى.. لأننا لا نثق ولا نعرف الطارق، سيما إذا كان لا يعرف عن نفسه.. ولاينادى أهل البيت. الأمر الذى يشى بأنهم جنود عراقيون جاءوا لاعتقال البقية من الشباب. وخلال الأيام الأربعة الأخيرة.. تم اعتقال آلاف الشباب من كافة محافظات ومناطق الكويت. ولا يعرف مصيرهم بالنسبة إلى أهاليهم- حتى الآن- وإن كانت بعض الإذاعات تشير إلى إعدام الكثيرين منهم! ومن الصعب، بالنسبة لنا، التحقق من صحة هذه الأخبار، لعدم تمكننا من مغادرة المنازل خشية الاعتقال.. أو التعرض لنيران المتحاربين. ولذا لا نملك سوى التحصن فى السرداب.. بخاصة وإن إذاعة الكويت تحذر المرابطين من الخروج من الملاجىء أو التجمهر.

والأخبار تشير إلى السيطرة على جزيرة فيلكا.. وعمليتى انزال فى السالمية والرميثية.. وتضاربت الأقوال فى تحديد موعد الهجوم البرى بين الساعة الثالثة والرابعة فجرا. وما علينا!.

* حوالى الساعة الثانية ظهرا تحلقنا- نحن الرجال والصبيان- حول مائدة الغداء.. والظلام الدامس يخيم على الديوانية. بسم الله طعمنا عيشا[1]. حافا مع مرقة بطاط. لأول وهلة خيل الىّ أنها لن تكفينا.. لكن الأكلة ولله الحمد- أشبعتنا.. وكان الطعام «شروكة»[2]، حيث طبخ بعضنا هذه الأكلة.. وطبخ البعض الآخر مجبوس[3] دجاج تركناه للنساء والأطفال.. لكن بعض الأطفال اختاروا الأكل معنا.. فبارك المولى سبحانه فى زادنا وأحاطنا بالسكينة.

---

(١) العيش: الرز.

(٢) الشروكة: المشاركة التى يساهم فيها الجميع.

(٣) المجبوس: المكبوس. أكلة خليجية قوامها الرز المطيب باللحم أو السمك أو الدجاج.

أكتب هذه الكلمات على ضوء مصباح كهربائى «بطارية» بحجم أصبع اليد وبالكاد أتلمس مواقع الكلمات، بينما الراديو الصغير لا يفارقنى.

ولعل أكثر ما سرنى هو أخبار استسلام آلاف الجندو العراقيين، لأننا نعلم بأنهم قد زجوا إلى هذه الحرب عنوة، وان غالبيتهم غير مقتنعين بها! وهى حقيقة سمعناها من الكثيرين من الضباط والجنود العراقيين الذين قالوها بصوت عال دون خشية! وبخاصة فى الأسابيع الأخيرة من الاحتلال.



تنويعات على معزوفة صوت أمريكا

اليوم الثانى يمر علينا ونحن محبوسون فى السراديب.. صلتنا بالخارج هى الراديو فقط.. المؤسف ان إذاعاتنا تعتمد على أخبار لوكالات الأنباء على الرغم من أن الحرب تقع فى ديارنا! حتى رجال الصحافة الذين رافقوا القوات البرية لم نسمع من بينهم صحفيا عربيا من المنطقة ولا غيرها! كل ما نسمعه هو تقارير لصحفى من الـ ب.ب سى أو صوت أمريكا أو وكالة الصحافة الفرنسية... إلخ.

ومن هنا فإن ما نسمعه هو «صوت أمريكا» يقال بلسان عربى بتنويعات مختلفة.. اللهم الا الشعر الحماسى الشعبى والفصيح.. وما عداهما هو «صوت أمريكا» يلعلع بلغات «الحلفاء» يعبر عن وجهة رأيها!!.

وكان يفترض أن تكون لنا فى الداخل إذاعة مكرسة للمرابطين[1] ولكن؟! ماذا أقول؟! الستر أحسن!!! ولا مجال الساعة إلى الصراخ والعتاب أو ادعاء الحكمة.. فنحن- أولا وأخيرا- عرب من عادتنا الأزلية عدم التعلم من أخطائنا. ولذا ترانا نكرر الأخطاء والخطايا! ما علينا! فى السرداب ثمة شمعة كبيرة لم تستخدم. أصرت بعض

---

(١) يمكنك معرفة التفاصيل فى الجزء الثانى من الكتاب.. إذا شئت!.

السيدات على عدم اشعالها، إلا حين يأتيهم خبر هلاك الطاغية! قلت لمن نقل لى المعلومة: أرجوك أخبرهن بأن يدعون للطاغية بطول العمر والبقاء. لأنه لا بد أن «يذوق» من «وجبات» القمع والارهاب والقتل.. التى أذاقها لشعبه فى العراق (ولاخوته !) فى الكويت وإيران.

❋ ❋ ❋

إعلام المحنة ومحنة الإعلام![1]

الاثنين ٢٥/ ٢/ ١٩٩١ السرداب يحتشد بعشرات الأطفال والصبيان والنساء والرجال.. ساعة يصرخ طفلى باكيا.. وأخرى يهب آخر من رقاده فزعا اثر كابوس!.

اليوم الثانى من بداية الهجوم البرى. صوت سعاد الصباح الملىء بالشجن والأسى أكثر وقعا على السامع من أصوات الكثيرين من المذيعين الهواة والمحترفين.

الإذاعة- أو الإعلام الكويتى الإذاعى- أحس من شهوره الأولى.. لكنه ما زال يعتمد على العنتريات والكلام الانشائى.. بينما نجد إذاعات «الحلفاء» عامرة بالأخبار والتحليلات الأمر الذى أضطرنا إلى اللجوء إلى الإذاعات الأجنبية المليئة بالأخبار والمعلومات والتقارير، والتى لا نسمع فيها نشيدا حماسيا أو أغنية عنترية! لا نعترض على دور الأغنية فى تعبئة الروح المعنوية.. إلا أن جل ما يذاع ليس فى مستوى المحنة! على كل حال لقد مللنا من ابداء الملاحظات. ولكن ما علينا. حسبنا القول بأن الإناء ينضح بما فيه!!.

كم كنا نتمنى أن يسمع المرابطون من إذاعتنا- نحن المحبوسون فى الملاجىء وسط

(١) أقرأ الجزء الثانى يتعرض الكاتب إلى هذا الموضوع بإسهاب.

الظلام الدامس- تعليمات ومعلومات مفيدة- ترشدنا إلى كيفية صنع الكمائم الواقية.. وتفادى الغازات والسموم القاتلة... إلخ لكننا نسمع نداءات الصمود؛ أو كأننا- لاسمح الله- لم نصمد طوال الأشهر السبعة الماضية!!!.

❋ ❋ ❋

خواطر شتى!

وأنا أكتب اقتحم على خلوتى وراح يتلمس طريقه إلى وسط الظلام الدامس.. ومن ثم سأل. شنو تسوى؟[1]. قلت: أكتب كما ترى. أحمد عمره أربع سنوات. ماذا تكتب؟ سألنى؟ ألوذ بالصمت مفكرا فى ايجاد الإجابة المناسبة.. لكنه يبادرنى وأنا أكتب هذه الكلمات بالقول: تكتب مكتوب لأخى نواف (نواف شقيقه الأكبر اعتقل منذ ٢٧/ ٨/ ١٩٩٠ ومن يومها لم نعرف مكان اعتقاله وما هو مصيره.. مثله مثل الآلاف من أقرانه من شباب الكويت)..

تدخل ذاكرتى المشحونة بالقلق، تطوف كل مناطق الكويت، تتساءل عن مصير «الربع» ماذا جرى لهم. والربع هنا ترمز إلى أفراد الأسرة الواحدة الذين صهرتهم المحنة فى بوتقة الأسرة الواحدة فعلا وحقيقة بدون تفرقة وتمييز من أى نوع. أتساءل عن مصير «عبادى»[2] و «بو عماد» و «بو بشار» و «أوس» و «صلاح» و «توتو» و«خالد» آخر الصعاليك فى الديرة.. وعشرات.. ومئات غيرهم. كان توتو.. وهو من العرب الأشراف الذين لم يخونوا البلد.. وتوتو هذا مجرد نموذج لمئات وآلاف غيره.. نموذج يدحض الفتن والاشاعات التى تحاول دق أسفين فى عمران العلاقة المتين بن أهالى

(١) ماذا تفعل؟.

(٢) أسماء حركية لبعض شباب وشياب المقاومة.

الديرة وأخوتهم العرب المقيمين فى الديرة منذ عشرات السنين.

فهو، أو هى- أى توتو-[1] ترمز إلى موقف الأغلبية من اخواتنا المرابطين من العرب والمسلمين وغيرهما. فهى- أى توتو- تتعرض يوميا إلى خطر الموت أو الاعتقال فى أحسن الأحوال.. لكنها لا تأبه لذلك. إذ أنها تخاطر بحياتها كل يوم.. بل كل ساعة من أجل الكويت وأهاليها. وحين تحين ساعة الخلاص من هذا الاحتلال الغاشم ويتاح لنا الكشف عن الأسرار فسيعرف العالم الكثير من المواقف المثيرة للدهشة والاعجاب الصادرة عن العرب والمسلمين وغيرهم الغيورين على حرية الكويت المضحين بأرواحهم من أجل هذه الغاية.

كانت توتو آخر من زارنا عصرية السبت. والحق أننا دهشنا لجرأتها فقد كان «الأخوة الأعداء» يومها يقبضون ويعتقلون كل من يجدونه فى طريقهم. بل أنهم كانوا يقتحمون المنازل والمساجد لاعتقال الشباب بخاصة وكل الأهالى بعامة.

قالت توتو ان «بو خالد» حى يرزق.. لكنها لا تعرف مصير بقية «الربع» وستخطرنا- الأحد- عن أخبارهم إذا كانت الظروف الأمنية تسمح بذلك. وبالطبع حالت العمليات العسكرية البرية دون ذلك. لهم الله. لنا الله جميعا. فهو حسبنا ووكيلنا.. وانا لله وانا اليه راجعون.

وأنا أكتب، سماعات الراديو على طرف أذنى، وبصراحة مرة شديدة: فقد كرهت ما يسمى الأغانى الوطنية، لأن جلها طالع من البطن لا من الوجدان والقلب! وليست فى مستوى المحنة!!.. ربما لأن أغلبها «ولفها» ولحنها وغناها «جوقة المناسبات» السعيدة والتعيسة على حد سواء!!! ولأننا لسنا بصدد فضح عوراتها فإننا سنتلزم بالستر.. امتثالها للهدى الزبانى «إذا ابتليتم فاستتروا»..!!.

* ثمة إنسان بيننا تجاوز الخامسة والسبعين، لا يقر له قرار، وهو نقطة الضعف

---

(١) توتو: اسم حركى لأخ عربى مرابط.

بيننا. فلذا نحاول أن نحيطه بالرعاية والطمأنينة.. وهو متوجس خائف لا يستطيع أن يجلس فى مكانه مدة عشر دقائق. فلو هبت الريح- مثلا- خيل اليه أن أحدا يطرق الباب! والذين لا يعرفونه عن كثب- من الشباب- يصدقونه، فيفزعون صوب الباب يتصنتون، ومن ثم يفتحونه.. ولكن لا أحد! أو أن يكون أحدا من الجيران... جاء يطلب شيئا أو يحمل معه الينا شيئا.

لكن صاحبنا: مسكون بالخوف، طوال الشهور السبعة الماضية..! تتسلط عليه المخاوف المرضية والوساوس القهرية، فيظن أن العراقيين سيقتحمون عليه داره ويسرقونه و.. و.. فى أى لحظة! وكلما سمع أخبارا غير سارة زادت مخاوفة واضطرابه!.

إن الخوف فى الأزمات قد يسبب أضرارا أكثر من البلايا ذاتها!.. فعلى سبيل المثال، فلو شب حريق- لا سمح الله- فى السرداب.. فإن عامل الخوف قد يتسبب فى الحاق الاذى بالمتواجدين أكثر من الحريق نفسه! فالزحام وعدم السيطرة على مسأله الخروج- من السرداب- ربما يسبب أضررا أكثر من الحريق ذاته. ومعذرة لهذه الموعظة التى اقتحمت السياق «بدون احم» ولا استئذان... معذرة..فالفاضى يعمل قاضى وواعظا!!.

الطريف أننى استلقيت بعد الغداء غاضبا بعد الشىء من هذا السلوك- قطع الكهربا ء- بعد أن ألقيت على الربع محاضرة فى مضار الخوف. وصحوت فى الخامسة بالنور يملأ الغرفة.. فلم أملك سوى تسطير هذه السطور. أسمع صراخ الأطفال المعبرة عن فرحتهم باللمبة اليتيمة التى تضىء لهم السرداب. وقد خصونى- وحدى- بلمبة أخرى بغرفة المكتبة التى أقبع فيها بين حين وآخر لأسجل فيها هذه السطور.

الإخبار حتى الثانية ظهرا تشير إلى أن قوات التحالف بصفة عامة تطبق عملية «الكماشة» بصيغة جيدة. والمحللون يتوقعون أن تصل القوات إلى العاصمة هذه الليلة. ولا نملك نحن سوى القول «إن شاء الله» تأسيا بقول صلى الله عليه وسلم:

تفاءلوا بالخير تجدوه.

فاتنى القول أنه فى فترة الظهيرة زارنا العم بو على الصقران الذى أثار سرورنا.. وكنت أتوقع- بل أتمنى- أن يظل معنا إلا أنه جاء وهو الرجل المسن المريض العاجز عن المشى.. للأطمئنان علينا. ثم حضر الينا الأخ الصالح «بو على» الإنسان اليمنى الورع التقى من أبناء اليمن الذين أختاروا المرابطة معنا رغم الفرص التى أتيحت له للخروج من هنا طوال الشهور السبعة الماضية. وقد جاء هو الآخر للأطمئنان علينا.. ولم يقبل الإنتقال إلى مكاننا الآمن لأن جيرانه بحاجة إليه.. لأنهم من النساء والشياب.. فجزاه الله خيرا.

وفاتنى أن أذكر كذلك من أحداث يومنا هذا الحدث السار جداً.. ففى الصباح فوجئت بوجود جارنا الشاب الشهم صاحب النخوة الذى لا يكل ولا يمل من مساعدة الآخرين أعنى «بوسعود الخلف»[1] فقد كان بمعيتنا طوال الشهور السبعة.. لكنه أختفى فجأة مع بداية عمليات اعتقال الشباب عنوة التى سبقت الهجوم البرى بيومين.. وكان طيلة هذين اليومين مختبئا فى داره، وعلى صلة بجيرانه المجاورين لمنزله.. لكنه لم يتمكن من الاتصال بنا رغم أن منزله يقابل منزلنا، ولا يبعد عنه سوى أمتار قليلة.. ولكنه إنسان حذر. وأهم من ذلك خفة دمه التى لا مثيل لها فى كيفان كلها.. والأهم من ذلك هو خدمته للآخرين من الصباح حتى ساعة منامه. فالكل يتساءل: أين بو سعود وحده القادر على تشغيل مكنة الكهرباء.. وتنظيف البركة وملئها بالماء.. وتسلق منارة المساجد لانارتها..و .. و.. و.. و...

الساعة تقترب من موعد صلاة المغرب وعلى انهاء هذه السطور حيث يؤمنا «بو محمد» نسيبنا زوج بنت العم فهد.. وهو شاب تقى يقيم فى بيت العم فهد منذ الاحتلال. وصار لزاما عليه الآن ألا يغادر البيت.. سيما وأن سليمان وخالد (أبناء العم) فى الاعتقال ردهم الله سالمين.. وابن العم أحمد فى السعودية مع الحكومة..

(١) أقرأ ص ١١٧.

أعاده الله هو الآخر- وأهالينا النازحين- سالمين قريبا إن شاء الله!.

إن سماعنا لتحذير المرابطين باللجوء إلى الملاجىء والسراديب.. نجد فيه بشارة التحرير.. لأنه يشي بقرب التحرير والفرج وانقشاع المحنة التى عانينا منها شتى أنواع المعاناة.. ولله الحمد.. الذى لا يحمد على مكروه سواه!.

التعاون والتراحم والتكافل.. ولله الحمد تلف حياتنا اليومية! فكل أسرة فى السرداب شاركت بالتموين والخدمة... وكل شىء.

لكن «أبو سعود» والحق يقال هو الفارس المقدام الحاضر لأداء أى مهمة.. فهو رجل المهام الصعبة والشاقة.. وزوجة «أم سعود» هى الأخرى تماثله «رجولة وبطولة وشهامة ونخوة وخفة دم» وهى سيدة من النوعية التى يسميها البدو «أخت الرجال» رغم سنها الصغير. أما ربة البيت «أم العيال» فماذا أقول فيها وعنها، انها لوحدها تحتاج إلى ديوان شعر! وكتاب لوحده! ربما لأنها بحكم تربيتها جعلها تنتمى إلى جيل أمهاتنا.. الجيل الذى كدنا نظن أنه انقرض مع شيوع حياة الرفاهية والرخاء التى اقتحمت نسيج الحياة اليومية للكويتيين إثر اكتشاف النفط.

فى الحوش ثمة فرن حديدى نقال للخبز.. والنساء يتناوبن العمل عليه، أما السيدات المسنات فانهن يقبعن فى السرداب يتهدجن ويتلون القرآن الكريم.. على الدوام. فى بعض الأحيان يسولفن على الزوجات الشابات عن كويت بيوت الطين.. التى صرن يتنسمن رائحتها كل شهور المحنة. فكن يقلن هكذا كانت الكويت (قبل)! وقبل هذه تعنى الأيام الخوالى التى سبقت رفاهية الحياة النفطية.. أن صح التعبير!.



المحنة في وجدان الأطفال

إن فكرة إذاعة (صوت العراق الحر) تعد تصديا جيد... يتناسب مع قوة الإعلام العراقى المتكىء على الكذب والتلفيق.. إلخ، وكان يفترض وجود هذه الإذاعة.. وأمثالها منذ البداية. لكن لا بأس. المهم أنها حاضرة.. ولا نريد الآن محاكمة الماضى- الآن على الأقل-. فمثل هذه الإذاعة تمثل منحى صحيا، وتصديا ايجابيا يتجاوز الإعلام العقيم الذى كان سائدا.. سيما فى الشهور الأولى.

فى الصباح، وبعد الفطور جمعت الأطفال فى غرفة الأكل حيث تحلقوا حول طاولة الأكل.. ومن ثم وزعنا عليهم أوراقا وألوانا.. وطلبت منهم.. القيام برسوم لوحات تعبر عن مشاعرهم. ولم أحدد لهم شيئا أو موضوعا معنيا.. أى لم نفرض عليهم موضوع الرسوم.. بل تركنا لهم الحرية.. بأن يرسموا ما يعن لهم.فى البداية لم يأخذ الأطفال المسألة «بجدية» كما هى عادة الأطفال ودأبهم.. حيث راحوا يتخانقون على الألوان، ويتجاذبون أوراق الرسم.. لكنهم حين شعروا بأنى اهتممت كثيرا بالرسوم التى أنجزها بعضهم. وعدوا بأن يرسموا لوحات أزين عشية اليوم وصباح الباكر إن شاء الله.

ومع أن الكاتب ليس ناقدا فنيا تشكيليا.. إلا أننى أحسب أن اللوحات تستأهل

العرض والتحليل.. ليس من قبل نقاد الفن فحسب.. بل من قبل المشتغلين بالتحليل النفسى والطب النفسى وكافة المعنيين.. وفى كل الأحوال فإن اللوحات تستأهل العرض والتحليل والمشاهدة. وحين يتاح لأهالينا واخوتنا والعالم كله مشاهدتها، فسيجدون فيها مادة وثائقية للمحنة فى وجدان الأطفال والصبيان. فلا شيء مثل الرسم تعبيرا عن وجدان الأطفال والصبيان. لأن الرسم- كما هو معروف- لغة عالمية تعبر بعفوية عن مشاعر الأطفال وأحاسيسهم. وقد انهالت عليّ الرسم حوالى الثامنة ليلا.. حين علموا بأن هناك جوائز لكل المشاركين فى عملية الرسم.

وقد لاحظت أن عملية الرسم قد خففت كثيرا من حدة القلق والتوتر الذى يتبدى بأشكال لا شعورية مختلفة.

وسأحاول تعميم التجربة على كل أطفال وصبيان المنطقة..بل كل مناطق الكويت إن شاء الله[1].

حيث سيكون فى متناولنا إذا تمت وثيقة وجدانية عن محنة احتلال الديرة بأقلام وألوان العيال المرابطين.

وفى الغد.. سيقوم «وضاح» بالاشراف على التجربة.. حيث سيوزع عليهم الورق والألوان بطريقة أكثر تنظيما.. بحيث يتاح لكل مشارك الاسهام وسط مناخ وظروف أفضل.

الثلاثاء ٢٦/ ٦/ ١٩٩١:

أول كلمة أسمعها ع الريق حال صحوى بعد الفجر بقليل هى «صدام سينسحب» ولأنى أريد اللحاق بموعد الصلاة قلت دون توقف «حسافه.. ليش مستعجل.. سيحرمنا انسحابه من شوفة بو سعود وأم سعود وكل الربع الطيبن». أترقب سماع أول

(١) بعد التحرير: قام المركز الإعلامى «بالجابرية» بعمل مسابقة مفتوحة فى الرسم حملت اسم «المحنة فى وجدان الأطفال».

نشرة للأخبار. بالصدفة: إذاعة السعودية.. نشرة السابعة صباحا.. اللحن المميز.. المذيع حسين التركى.. يتحدث عن سير العمليات العسكرية.. لا خبر فى الموجز عن الانسحاب، لكن ثمة خبرعن انعقاد مجلس الأمن. أتابع تفصيل النشرة دون أن يكتنفنى أى احساس بالاحباط. لأن أملنا فى الله سبحانه كبير كبير.. بدون حدود.. والتفاؤل رفيقنا طوال شهور المحنة الصعبة. الأخبار تتحدث عن سقوط ٢٠ عشرين ألف أسير عراقى. سقوط صاروخ سكود فى المنطقة الشرقية (فى منطقة سكنية نتج عنه وفاة ١٢ فردا وعدد من الجرحى. المنطقة التى سقط فيها الصاروخ يقطنها الأجانب. القوات المصرية تصل السالمية.. وتأسر عددا من الأسرى.. إلخ.. إلخ. ولكن ثمة خبر يقول فى النشرة أن مجلس الأمن سيعقد جلسة مغلقة مساء اليوم. ما علينا.. ان قناعتنا بأن قوات صدام لا بد- بأذن الله- أن تنسحب أو تسحب!.

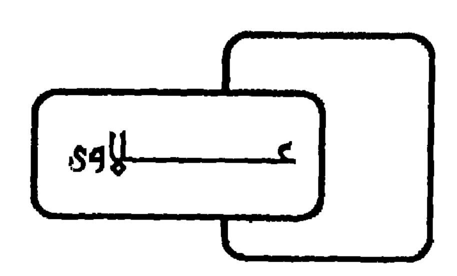
أنصت إلى إذاعة الكويت بعد قطيعة دامت أغلب شهور المحنة أفرح كثيرا حين أعرف أن برنامج صباح الخير الذى تعده أو تشارك فى اعداده الأخت الصديقة الشاعرة سعاد الصباح.. وأخينا الزميل بوراكان مطلق مساعد العجمى.. إلخ. أحس بالتغيير النسبى لمنحى الإعلام الكويتى. شخصية الشاعرة وبصماتها واضحة على البرنامج. صوتها المليء بالشجن والشموخ مريح للأذن ومؤثر على السامع أكثر من أصوات أغلب المذيعين الهواة أو المحترفين لا فرق!.

والمهم فى التغير الذى لاحظته على البرنامج هو الوعى وعدم الارتهان لهيمنة وكالات الأنباء الأجنبية فى صياغة الخبر والتعليق. فحين كان البرنامج يتحدث عن عملية استسلام الجنود العراقيين فإنه طرحها بدون شماتة.. بل بلغة واعية تحرض البقية الباقية التى تزج بها فى حرب واحتلال اختاره رجل واحد.. وحاكم مستبد أعماه الحقد وجنون العظمة.. فغزا الجارة الصغيرة التى ساندته بالنفس والنفيس وطعنها بليل بخنجر الغدر.. واجتاحها واستباحها وعاث فيها زبانيته وعصاباته فسادا وسلبا وارهابا لم يسبق له مثيل.

أكثر ما أثارحنقى على البرنامج كثرة الأغانى «الوطنية» التى ليس فيه من الوطنية سوى الصراخ.. وما إلى ذلك من عنتريات لا تحرر شبرا من أرض الوطن المحتل.. ولا تحرض على فعل وسلوك ايجابى يسهم فى عملية الصمود وموقف المرابطة.. فضلا عن تحرير الوطن.

وكان يمكن لبرنامج صباح الخير أن يكون أكثر فائدة وجدوى أن اسرة الإعداد شملت عددا من أبناء الكويت أصحاب المعرفة والعلم والخبرة فى الإعلام الموجه المكرس لمحنة احتلال الديرة. ولكن ماذا يفيد مثل هذا الاقتراح- وغيره- الآن. سيما بعد أن بحت أصواتنا وكلت أقلامنا بالملاحظات والاقتراحات. ما علينا! أننا ندحرج ما ذهبنا اليه لمجرد التنفيس ليس إلا. وان شئت من أجل «الشهادة» للتاريخ!.

إن التعليمات والارشادات الصادرة بشأن الأمن والسلامة والتوجيه المعنوى أهم بكثير من ركام الأغانى الحماسية التى قلما يسمعها أحد من المرابطين.. لأسباب كثيرة سبق لنا التنويه بها.. ولا داعى الآن لتكرارها!.



الليلة البارحة جاء الديوانية اثنان من العسكر العراقيين العاملين بإدارة (....) بوزارة الداخلية. وتربطهما ببعض الربع علاقة معرفة. وقد أعتادا زيارة الديوانية كل ليلة.. أو بين ليلة وأخرى. ولا حاجة إلى القول بأن الربع أعتادوا الحفاوة بهما.. إلى درجة باتا يشعران معها بأنهما من أهل الحي. ومن طقوس الديوانية كل ليلة مشاهدة شريط مسجل للأحداث التى تبث عبر المحطة التليفزيونية سى. ان. ان حيث يتاح للجميع متابعة آثار العمليات العسكرية (من وجهة نظر الأمريكية بالطبع). وذات ليلة كان الجميع يتابعون الشريط.. وفجأة لاحظوا أن أحد الاخوة العراقيين قد أرخى رأسه إثر مشاهدته للطائرات الأمريكية تقصف أحد الجسور فى بغداد. إذ أن الجسر المقصوف لا يبعد عن منزل أسرته بمائتى متر. وقال للربع: أنه سيغادر فى الصباح للأطمئنان على أهله. ولكن زميله حذره من مغبة هذا التصرف فى مثل هذه الظروف العسكرية الحرجة. سيما وان رئيسه فى الشغل لن يمنحه إجازة. لكنه قال سأذهب بدون اذن، ولو رفضوا منحى الإجازة! وكان طوال القعدة حزينا ساهما، بينما كان الربع يهونون عليه المسألة! المهم أنه ودع الربع فى العاشرة ليلا مقبلا أياهم واحدا واحدا.. آملا أن يراهم على خير. قال بأنه إذا لم يعد - لسبب أو لآخر - فإنه يرجى السماح

والمعذرة لأنه وأمثاله زجوا فى حرب لا نقاة لهم فيها ولا جمل!.

ومرت أيام ثلاثة خلنا معها بأن صاحبينا لن يعودا ثانية. وفى التاسعة والنصف من الليلة البارحة رن جرس الباب فصاح البعض: أكيد هذا «علاوى».. وهكذا كان. استقبل بالأحضان. وكان الحزن بينا على محياه. حيث أفادنا بأن شقيقه الذى يصغره المتخرج من أحد المعاهد لتوه قد قتل. وان العراق يعيش حياة مأساوية حيث الماء والكهرباء والتليفونات غائبة.. والتموين شحيح وغال.. إذ بلغ ثمن كيس الطحين- على حد قوله- ألف دينارا. حتى ان المائتى رغيف التى أخذها معه تخاطفها أهله وأقاربه وأكلوها ساعة وصوله.

وكان وزميله يتحدثان- لأول مرة- بجرأة ودون خشية عن الرئيس المختفى فى مخبأ بالناصرية.. وأنه- أى الرئيس- لا يعبأ بموت ملايين العراقيين ما دام وطغمته يتربعون على كراسى السلطة. وأفاد بأن ملايين الشعب المتذمرون ساخطون.. وصاروا يتحدثون بصوت عال: عن استبداد الريس وطغيانه وجنونه.. إلخ. لكنه أضاف بأن الشعب الأعزل لن يقدرعلى تغيير السلطة والانقلاب عليها. لأن «صدام» حذر جدا وعبقرى فى إشاعة الفتن والخوف فى صفوف الجيش. زد على ذلك أنه يحيط نفسه بأزيد من خمسة عشر ألفا من العسكر المدججين بأفتك الأسلحة وأشدها دمارا. وأنه لا يقف هذه الأيام إلا بثلاثة (طارق عزيز، ونصيف جاسم وثالث لا أذكره). وهم وحدهم- دون غيرهم- الذين يقابلونه فى المخابىء الأربعة عشر التى ينتقل اليها والموزعة على شتى محافظات العراق!.

وأشار إلى أن القتلى العراقيين من جراء غارات «الحلفاء» تزيد على الرقم المعلن (٢٠ ألف قتيل).

وأضاف بأن معاناة الشعب العراقى يصعب وصفها. ومن هنا فأنه يتوقع من صدام القيام بأى عملية عسكرية انتحارية جنونية تخلصه من الرعب الذى يعانيه. ولذا طلب من الربع أخبار الكويتيين عدم الخروج ولزوم بيوتهم لأن المخابرات يصطادون الشباب..

وان المخافر مليئة بمئات منهم. وأضاف بأن كمامات الوقاية من الأسلحة الكيماوية قد وزعت فعلا على الجنود.

وفى عصرية اليوم جاء «علاوى» على عجل وأخبر بعض الأخوة بأن الأوامر قد صدرت اليهم بمغادرة الكويت فورا. وغادر مسرعا والحزن يكسو محياه بينما لسانه يلهج بالشكر والاعتذار. وكرر مطالبة الأهالى فى عدم التجول والخروج من المنازل. لأن «صدام» وزمرته الطاغية يمكن أن تقوم بأى فعل عدوانى مدمر!! ويحلف أحد الربع بأنه رأى الدموع متحجرة فى عينى «علاوى» وهو يودع الربع الطيب الذى احتضنه بدفء وسخاء العربى المعهود.

لك الله يا «علاوى» لك الله يا شعب العراق المغلوب على أمره.. لنا الله جميعا. فنحن- مثلكم- لا ناقة لنا ولا جمل فى هذه الفتنة. وحين أثارها «صدام» لجأنا- بداية- إلى المولى سبحانه نطلب عونه.. ومن ثم طلبنا حوار الأشقاء. لكن الخيانة والغدر كانا ناضجين. بعد أن طبخا على نار شيطانية هادئة!.

راح «سعد» إلى الرياض يتأبط طيبته وعباءته. وعاد فى العشية باسما.. ثم صرح للصحافة: كل شيء سيحل بالحوار. وقبله.. قال «صباح» حين لاحت بوادر الفتنة وفاحت ريحتها: وحدوا الله يا أهالى الكويت.. ولا تخشوا شيئا.. أنها مجرد سحابة صيف. قد تعربد بالرعد وتكحل شمس أيلول بغيوم سود.. ولكن لا تخافوا فسحابة الصيف سرعان ما تنقشع حينما تهب ريح الشمال.

وهكذا نامت الكويت عشية الأربعاء آمنة مطمئنة واثقة بأن هذه الغيمة السوداء «سحابة صيف» سرعان ما تنقشع فى الصباح.. هكذا قال:صباح. والشيوخ أبخص من جهينة!! هكذا قال شايب من أهل الله ومن جيل كويت البحر والبيوت الطين المتراصة بالمودة والتراحم والتكافل. لكن «علاوى» حين غادر عشية اليوم حذر الربع من الطيبة الزائدة... عينى هذا ما تعرفوه مثلنا.. هذا ابليس ما يخاف الله.. خلو بالكم.. ترى

كل شيء ممكن يسويه بيكم. هو هسه عارف أنه ميت لا محالة. لكنه قبل ما يموت لازم يموت قبله آلاف وملايين من العراق والكويت والسعودية... إلخ.

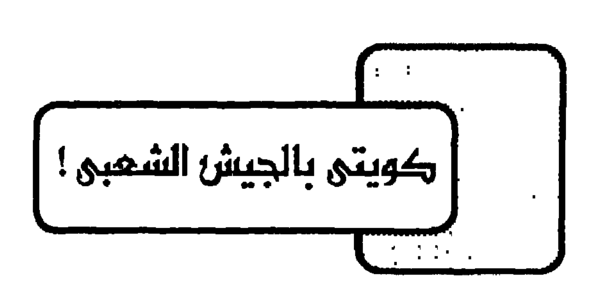
الله وياكم.. الله وياكم.. فى أمان الله. فى أمان الله.

كيفان المرابطة فى ٢١/ ٢/ ١٩٩١

مضحكات

مبكيات!





* كدت دوما من الذين يتهمون السينما العربية المصرية بالهامشية لأن جل موضوعاتها تنويعات مجترة لحكاية «الجوازة دى مش ممكن تتم» لأن العريس «بيه» ابن «بيه» والعروس «بنت ايه» تعيش على الحديدة والفول والطعمية ولله الحمد. وكنت أعتقد أن ما يكتبه الروائيون السينمائيون لا يمت إلى الواقع بصلة. فسياق الفيلم السينمائى يتكىء على الصدف والمفاجآت الشاذة الغريبة التى لا يمكن أن تحدث فى دراما الحياة اليومية.

لكن مفاجأة الاحتلال العراقى الصدامى للكويت وما تمخض عنها من سلب ونهب وهتك أعراض وإعدام فورى وقمع وارهاب يصعب وصفها.. وما إلى ذلك من ممارسات إجرامية.. أقول بأن وقوع هذا الحدث الجلل قوض كل تحفظاتى السابقة بشأن السينما المصرية، فقد عايشت أحداثا - إبان فترة الاحتلال - وسمعت غيرها.. وهى أحداث لو رأيتها فى مسرح العبث أو اللامعقول (حسب التسمية الصحفية الشائعة) أو شاهدتها فى رواية سينمائية لاتهمت المؤلف وكاتب السيناريو والمخرج بالاستخفاف بعقول المشاهدين والضحك على ذقونهم.. لأن أحداث دراما الاحتلال العراقى طافحة بالعبث والشذوذ والغرابة والمفاجآت التى لا يتوقعها أحدا.. فالمآسى تبز كل ما تخيله وأبدعه

كتاب «التراجيديا» السينمائية.

أما «الكوميديا» فقد كانت هي الأخرى حاضرة في دراما الاحتلال العراقي.. لكنها «كوميديا» فريدة مميزة لا يضاهيها أي نوع من أنواع «الكوميديا» وفي ذهني مشروع اسم لها قد يصيب أو يخيب.. أنه «الكوميديا الحمراء» التي تنزف دما وعدما وقمعا.. وما خفي أنكى وألعن! والمهم الآن: هو أن نتعرف على عينات عشوائية من هذه «الكوميديا الحمراء» ونترك للأخوة الزملاء المختصين مهمة نحت الاسم المناسب لهذا النوع من الكوميديا.. وهذا شأنهم. أما نحن فحسبنا القول والرواية.

قبيل الاحتلال كان المواطن الكويتي الشاب «فواز» في البصرة. لحضور عرس ابن خالته. ومن المعروف بأن الكويتيين يرتبطون بعلاقة نسب قديمة مع الأخوة العراقيين. وثمة العديد من الكويتيين الذين يملكون مزارع وعقارات في البصرة والفاو والزبير وأبو الخصيب وغيرها.

في يوم الأربعاء عصرا كان صاحبنا يتمشى على سيف أو «كورنيش» شط العرب في البصرة. لم يكن يقصد جهة معينة. لذا كان يسير بايقاع المشاي المتسكع، الذي يبحلق في المارة والمركبات وشط العرب والمراكب التي تمخر عبابه. ويصيخ سمعه تارة إلى «بوذية» ربانه بالشجن المعهود في هذا اللون من الغناء العراقي.. فيشطح مع كلماتها وما تحمله من دلالات القهر والنفي والغربة الجوانية.. ووسط هذا المناخ فوجيء بمن يمسك به قائلا: يالله. تعال معنا. بس. ولا كلمة! جره العساكر إلى شاحنة عسكرية مكتظة بالناس. حاول الاستفسار والاحتجاج بدون جدوى، في السيارة «اللوري» اكتشف أن كل الموجودين لا يعرفون سبب القبض عليهم.. ولا يدرون إلى أين يسيرون بهم أخبرهم بأنه مواطن كويتي. سألوه «ليش ما خبرتهم بذلك؟ قال: حاولت وفشلت. لم يصدقوني ظنوا أني أزعم ذلك ذريعة للهرب.

سألوه ثانية: أتحمل معك ما يثبت هويتك؟! تحسس جيوبه وهو يقول: لا شيء! هل يحتاج مثلي إلى حمل هوية في البصرة؟! على كل حال، لو أنهم منحوني فرصة الافصاح عن جنسيتي وهويتي، لأكدت لهم بالدليل القاطع ذلك!.

توقفت الشاحنة أمام مبنى قديم فى أحد ضواحى البصرة. بعد قليل شرعت بوابة المبنى، فإذا بهم يدخلون معسكرا للجيش الشعبى. كانت «يفط» وملصقات زفة المظاهرات إياها تنتشر فى جنبات المعسكر. الجيش الشعبى؟! مالى أنا والجيش الشعبى؟! ووسط حيرته وتساؤلاته تذكر أن عرس ابن خالته سيقام فى عشية الغد. كيف سيفسر لأقاربه سبب وسر تخلفه وغيابه عن العرس؟! لكن.. لم التشاؤم؟ لعلهم جلبوه إلى هنا ليشارك فى مظاهرة «شعبية» للتأييد أو التنديد.. ومن ثم يطلق سراحه كما هى العادة! سلم صاحبنا أمره لله، فكف عن محاولة الافصاح عن اللبس والمفارقة الخاصتين بوجوده فى هذا المعسكر، الذى لا ناقة له فيه ولا جمل! ولا بأس عليه بأن ينضم إلى القطيع، لا سيما بعد أن أخبره العديد من الزملاء «الحكماء» بأن منحاه يعد خطأ بل خطيئة قد يكون فيها هلاكه! لذا فإن عليه أن يبلع ريقه ويخرس وينفذ الأوامر.. وبس. «حاضر سيدى» فقط هى المسموح بها! وما عداها ممنوع وحرام وباطل!.

مرت الساعات ولم يحدث شىء. لغط وتكهنات واحتمالات لا حد لها. تعب ونام. حين فاق كان نور الفجر يشع وينير الساحة التى رقد فيها.. توضأ وصلى ثم جلس صامتا. انتباه.. صرخ أحد ضباط الصف.. جاءهم القائد.. حيث أشرف على توزيع الأسلحة والملابس العسكرية عليهم. ومن ثم تم شحنهم بالسيارات المختلفة (باصات- شاحنات- مركبات لنقل المواشى).

فى يوم ٣ آب (أغسطس) كان «فواز» يقطن- أو بمعنى أصح- يحتل مدرسة ابتدائية بمعية «الرفاق» منتسبى الجيش الشعبى فى منطقة «النزهة» فى الكويت المحتلة وبعد أسبوع من الاحتلال وجد نفسه ضمن أفراد فرقة حاجز التفتيش (السيطرة حسب التسمية العراقية). كانت ورطة ما بعدها ورطة! حاول مرارا الهرب، لكن الفرصة المناسبة لم تسنح له. فهم لا يسمحون لأحد بالسير أو الذهاب إلى أى مرفق ومكان لوحده. كانت الأوامر مشددة تقضى بالسير جماعة. وقد لاحظ صاحبنا خشية

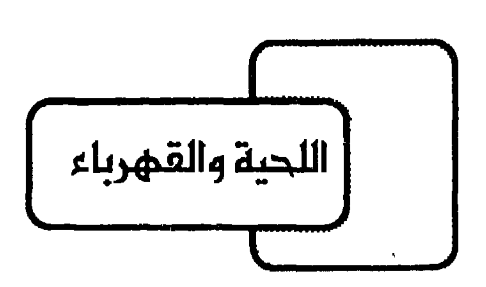
وارتياب كل رفيق بالآخر! لأنه يخشى أن يكون عينا للاستخبارات العسكرية.

وأثناء أدائه لمهمة التفتيش، كان فى قمة الارتباك والقلق والخوف كيف يبرر للناس انخراطه فى الجيش الشعبى؟ هل يصدقونه أنه أخذ عنوة وقسرا؟! كيف يتصرف لو صادفة أحد أقاربه أو معارفه؟! كان يدعو الله سبحانه ويتضرع اليه لأخراجه من هذا المأزق الفضيحة!.

فى الفرقة التى يشارك فيها مواطن بصراوى عجوز.. أعتاد أن يخصه برعايته، ويطمأنه إلى أن ورطته تحتاج إلى خطة تمكنه من الهروب بأمان. وقد وعده بالمساعدة.

ذات صباح كان فواز بمعية العجوز البصراوى وثلاثة من جنود الجيش الشعبى. كانت وجهتهم الجمعية التعاونية التابعة للمنطقة.

وفى هذه المنطقة السكنية تقطن أسرة تمت اليه بقرابة- وحين يكون «الرفاق» فى الجمعية سيتولى الأخ البصراوى تغطيته وتأمين تسلله لمدة من الزمن تكفى وصوله إلى منزل أقاربه. وهكذا كان. دق باب أقاربه فتح له الباب أحد الأطفال. ثم أغلقه بسرعة حين شاهد ملابسه العسكرية عاود طرق الباب بينما صوت الطفل يصرخ محذرا الأسرة من الجنود العراقيين. فتح الباب ثانية.. وكان رب البيت نفسه هو هو الذى فتح الباب هذه المرة.. لحسن حظ «فواز».. لأن الرجل عرفه بعد أن تأملة بدهشة! أدخله بسرعة. وفرح أهل الدار برؤيته وأحتفلوا به. سألوه: لم تلبس زى الجيش الشعبى العراقى؟! رد- ببرارة واضحة- لأنى «متطوع» لتحرير القدس!!!.



* ذات صباح كئيب من أيام الاحتلال الوحشى الهمجى اللاإنسانى فوجىء الأهالى والمقيمون بسماعهم لأغرب قرار يصدر عن السلطة الاحتلالية!! سمع: الحاضر يبلغ الغائب والراكب يعلم الماشى.. يمنع منعا باتا جميع سكان «محافظة الكويت» من تربية واطلاق لحاهم.. وعليهم حلقها فى التو «زيرو» ومن الجذور! وسوف تتخذ السلطات أقصى وأقسى العقوبات نحو الرافضين لهذا القرار.. التوقيع (سفاح المحافظة التاسعة عشر)!.

وأنتشر القرار «أو» الفرمان الهمايونى القراقوشى بين الناس على موجة التندر والسخرية! وفى نفس يوم صدور «الفرمان» الغريب كنت بمعية بعض الأخوة فى السيارة. ولم نكن قد علمنا بالقرار. وأمام حاجز التفتيش الأول اكتشفنا ذلك من البحلقة الشريرة التى كان يحدق بها رجال القمع و «السيطرة» فى وجوهنا وهوياتنا! قال أحدهم- لا فض فوه (آشوف كلكم ملتحين؟! هاى شنو. ها الطرقاعة! من الحين ماكو ليحة.. ممنوع اللحى.. كل واحد منكم يروح الحين الحلاق ويحلقها حالا). وقفز سؤال برىء من واحد «ملقوف»[1] منا قائلا: وماذا سيحدث للواحد الرافض لهذا القرار

(١) متطفل.

التعسفي؟! رد عليه العسكرى المدجج بالسلاح والخنوع فقال: يعدم فورا!! صحنا جميعا: إعدام مرة واحدة؟! وأنطلقنا ونحن نمشط لحانا بأصابعنا ثم ننزلق بها صوب رقابنا لنحسس عليها للتأكد بأننا ما زلنا أحياء! وانفجرنا بعدها في نوبة قهقهة من باب «شر البلّية ما يضحك»!.

والسؤال الذى طرحه المرابطون على أنفهسم هو: لماذا هذا القرار التعسفى المثير للضحك المر والسخرية اللاذعة فضلا عن الخشية من الإعدام!.

لقد فوجئت سلطة الاحتلال- بعد مرور أسبوعين- بأن غالبية المرابطين ملتحون! ومع أن هذه الظاهرة عفوية، إلا أن المحتلين لم يروها بهذه النظرة.. تأكيدا للمثل الشعبى القائل بأن (كل يرى الناس بعين طبعه). فلذا ظنوا بأن حصورها الكث، يشى بوجود تنظيم حركى، وقيادة مستترة، ويدل على أنها استجابة لأمر القيادة وقرارها.. لتكون اللحية رمزا وعلامة فارقة لهوية المرابطين.. وفى الوقت نفسه لتكون وسيلة طبيعية للتمويه واخفاء الهوية الحقيقية لكل مرابط!.

ومن هنا راح المحتلون يدققون وينعمون النظر فى البطاقات المدنية، وفى الوجوه السمحة الشامخة لأصحابها! وراعهم وأثار حفيظتهم وغضبهم أن الصورة مطابقة للأصل! الأمر الذى حرضهم على اتهام المرابطين بالغش والتزوير! وجريمة التزوير- هى الأخرى- عقوبتها الإعدام! والحق أن عقوبة الإعدام حاضرة على ألسنة عصابات الأمن والقمع والاستخبارات.. فتراهم يلكونها- مثل اللبان- بدون أن يرف لهم جفن! وكان الإعدام غرامة بسيطة! ولذا تجده- أى الإعدام- العقوبة الجاهزة لكل تهمة.. حتى ولو كان هنة بسيطة أو جنحة عادية! فالإعدام- فى عراق صدام- هو سيد الأحكام!.

ومن هناك أحسب بأن الشعب العراقى، سيقل ويتناقص وربما ينقرض، إذا استمر الرئيس المزمن متربعا على كرسى الرئاسة مدى الحياة. لأن «وجباته» الإعدامية مستمرة ليل نهار.. وتعطشه للدماء لا يقف عن حد!.

فمنذ أن جرب عملية الاغتيال وهو طفل فى العاشرة من عمره استمرأ العملية وأدمنها!.

ولأن قرار حلق اللحى «قراقوشى» تعسفي كان من البديهى أن يثير ردود فعل متباينة. فالبعض نظر اليه باستخفاف ولم يأخذه على محمل الجدية! والبعض الثانى توجس منه وارتاب فيه، خشية أكتشاف استخبارات السلطة المحتلة لهوياتهم الحقيقية! فاللحية الطويلة المرسلة- كما هو معروف- تغير ملامح الإنسان وتخفى طلعته المألوفة للناس بدون لحية. فقد يتحول الشباب الثلاثينى إلى شايب فى السبعين.

ولو شاهدت الأخ «جاسم المطوع» رئيس تحرير صحيفة الوطن بلحيته الكثة التى يصل طولها إلى ركبتيه... لحسبته أحد مطاوعة «نجد»، أو أحد مشايخ الطرق الصوفية، أو درويشا مجاوراً فى جامع سيدنا الحسين بالقاهرة! ولأن «بو محمد» كان من المطلوبين- مثل غيره من الزملاء الصحفيين فإن لحيته الوقور مكنته من التخفي والتمويه وجنبته مخاطر الاعتقال والذى منه!.

وقد لاحظت بأن ضباط وجنود نقاط وحواجز التفتيش، يضيقون بالسؤال والاستفسار والحوار بشأن أى قرار يصدر عن الحاكم بأمره التكريتى! لأن القرار الصادر عن رئيس العصابة المهيب، مصون ومحصن ضد الرفض والاعتراض والاستفسار والحوار! وفى هذا السياق أتذكر أن نقطة تفتيش طالبت رجلا مسنا بحلق لحيته. لكنه زجرهم بدعوى أن هذا القرار يمثل مصادرة لأبسط الحقوق المتاحة للإنسان العربى. ثم قال لهم متهكما: نعنبو[1] ابليسكم كل شيء عندكم ممنوع؟! وكل ممنوع عقوبته الإعدام؟! وما دام الأمر كذلك.. ليش ما تعدمون «عدى»[2]؟! ولا تسألنى ما الذى حدث لهذا الشايب الجرىء.. لأن الجواب عند المخفر أو فى بطن السجن.. كما هى العادة «الصدامية» الإرهابية.

وقد لعبت المرأة دورا هاما فى حماية اللحى وأصحابها من الإعدام.. حيث توارى الملتحون المطلوبون عن أنظار المخبرين والجواسيس ورجال الأمن والاستخبارات. وقامت

(١) ملعون أبو.

(٢) المعروف أن عدى صدام حسين كان ملتحيا!!

النساء بقيادة سياراتهم وانجاز المهام المطلوبة منهم طوال فترة المنع. واضطرت السلطات المحتلة إلى نسيان قرار حلق اللحى ولحسه، بعد أن لاحظت أنه قوبل باستخفاف وتندر ولا مبالاة... وبعد أن صار نكتة سمجة ممجوجة، تدل على خواء جعبة المنظمة السرية الإرهابية- التى تحتل العراق والكويت معا-، من التمثيليات الساذجة التى يبدعها عباقرة الحرب النفسية فى حزب العبث الهمجى.

ولعل أكثر ما كان يثير ثائرتهم: هو اكتشافهم بأن الملتحين يربون لحاهم تأسيا بسنةالرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، بل أن أى اشارة تشى بأن الإنسان المرابط مؤمن بالله، لاجىء إليه ومتدين ويخشى الله سبحانه.. أقول أى اشارة كهذه: تحرضهم على العربدة والكفر والزندقة، فضلا عن كيل السباب والشتائم التى تتجاوز ببذاءتها سقف الانحطاط والسفالة!.

وبعد مرور شهر على الاحتلال البغيض، كانت حلية المرابط لحيته بل صارت هويته وبصمته وعلامته الفارقة! وأصبحت اللحية هى القاعدة وغيابها عن دقن المرابط هى الاستثناء!.

وقد أثار هذا الحضور الكثيف للحى، تساؤل وبحث وريبة وسين وجيم واعتقالات وتعذيب ونتف لحى بالملقط و «الكلابتين» وما خفى أنكى وألعن! وفى هذا السياق أذكر أن الاستخبارات العراقية الصدامية، قد اعتقلت أحد أعضاء مجلس الأمة الإسلاميين.. وهو ملتحى منذ مدة طويلة ولحيته غزيرة كثيفة وخطها الشيب والوقار. ولأنه إسلامى الاتجاه والاختيار يختلف اتجاهه عن الجماعة الإسلامية التى أيدت سفاح حسين وهللت وباركت غزوه وعربدته واحتلاله للكويت.. لهذا السبب وغيره عومل بقسوة فى السجن على الرغم من أن «ذنبه» يكمن فى أنه لجأ إلى المخفر للإبلاغ عن سرقة. صحيح قلبك أخضر ونقى! تروح المخفر؟أتظن أن المحتل حضارى ينتمى إلى دولة المؤسسات الشرعية الدستورية؟! أنسيت أن المحتلين توأم عربى لعصابات المافيا الإجرامية؟! الحاصل أن هذا الأخ المرابط تعرض إلى تعذيب وحشى مرعب! ولكن إيمان

المحتسب مكنه من تجاوز محنة الاعتقال والتعذيب.. ولله الحمد. أى نعم نتفوا له لحيته من جذورها، بطريقة وحشية وسلطوا عليه عذاب الصدمة الكهربية والمسدس الكهربائى والعصا الكهربائية (أظن أن الخواجة أديسون مخترع الكهرباء يتململ فى قبره لأن نظام سفاح حسين حول الكهرباء إلى قهرباء!) ما علينا.

فالمهم أن هذا المرابط التقى المحتسب لم يرضخ فصبر ورابط ليقينه بأن مع العسر يسرا. ومع الأيام التأمت جروحه وازدهر وجهه وذقنه بشعيرات اللحية.. ويوم التحرير انقلع «الحلاق» وهرب الجلاد وصمدت وعاشت اللحية رغم أنف عدة النتف والقمع والقهرباء!!!.



العميل المزدوج

بعد مرور شهر على الاحتلال الغادر فوجىء جيران «خالد» بأنه غادر مسكن الزوجية حاملا شنطة ملابسه وأغراضه الخاصة ليسكن فى منطقة بعيدة. ولاحظوا أنه يضع على عينيه نظارة سوداء ليخفى آثار دموعه.

خالد فى الأربعين من عمره. متزوج وعنده عيال: بنتان وولد. زوجته عراقية اختارها له خاله المتزوج بدوره بعراقية. وطوال الخمسة عشر سنة الماضية كانت حياته الزوجية هنية وموفقة. على الرغم من غيرة الزوجة على زوجها. الحق أنها غيرة معجونة بالخشية والقلق. لأنها لاحظت على بعلها كثرة أسفاره وسهره خارج البيت. صحيح أنها مستيقنة بأن طبيعة عمله تفرض عليه ذلك، لكنها «تهوجس» بهاجس زواجه من كويتية من اللوائى يتحلقن حوله فى كل مكان يحل فيه بسبب نجوميته وشهرته وحضوره الاجتماعى الجذاب.

يذكر «خالد» أنه صارح زوجه قبيل العقد بطبيعة عمله، وبعاداته وعيوبه، وهناته وزلاته، وهواياته وصداقاته ويذكر أنها تفهمت مصارحته بل أنها - المصارحة- عجلت بحدوث المصاهرة.

كان خالد يقود سيارته شاردا حزينا إلى درجة أنه لم يفطن إلى نقطة التفتيش التى تسد طريقه إلا قبل موقعها بأمتار قليلة (شبيك؟ سكران؟ انزل! افتح الدبة[1]. هاى شنو أنت مسافر؟)، انهال عليه الضابط بالتساؤلات.. وفتش جيوبه وسيارته.. ولاحظ صورة كبيرة باطار بنى محروق فسأله: هاذول منو اللى وياك< أجابة- بشجن- عيالى وأمهم. سأله: وليش هم موياك؟ رد: مسافرين. وين؟ سكت برهة. فكر بسرعة. أى بلد يختار؟! قال: مسافرين قبرص!.

ركب سيارته وقادها بهدوء هذه المرة.. على الرغم من أن حالته النفسية كما هى لم تتغير. وصل السالمية[2]. أوقف السيارة بجوار غرفة البواب الواقعة فى ركن قصى من موقف السيارات المخصص لسكان العمارة. الشقة التى سيقطنها تخص صديقا حميما له. العمارة لم يبق فيها سوى قلة من السكان.. هكذا قال له عم «هريدى» حارس العمارة المصرى. وسار معه صامتا يحمل له بعض أمتعته بينما خالد يحمل عدته الفنية.

حين احتوته الشقة.. شعر براحة مشوبة بالحيرة والتطير.. فراح يفكر بصوت عال: ماذا لو فعلتها هذه المجنونة الغيورة وبلغت عنه الاستخبارات العسكرية العراقية بأنه «عميل» كويتى من أفراد المقاومة العسكرية الكويتية؟! وكيف يتصرف لو أن أحد جيرانه ظن به الظنون من جراء كثرة وتواصل زواره من العسكريين العراقيين الأقرباء لزوجته؟ لقد عن له ذات مرة أن يمر على الديوانية، ليخبر جيرانه بأن زواره مجرد أقارب لزوجه. وأن الواجب العائلى، يفرض عليه حسن استقبالهم. كما أنه ليس من اللائق الاعتذار عن لقائهم، وسد باب داره فى وجوههم، بدعوى أن هذا الحضور يحرجه أمام جيرانه ويجعله موضع شك وريبة. وحين هم بالذهاب إلى الديوانية، عدل عن ذلك خشية أن يراه الربع بعين (كاد المريب أن يقول خذونى)!.

---

(١) صندوق السيارة.

(٢) منطقة سكنية.

وقد أثار خروجه من البيت المزيد من ريبة وغيرة أم عياله. وزاد الطين بله أنه لم يتصل بها. الأمر الذى اضطرها إلى أن تطلب قريبها الضابط بالاستخبارات أن يعرف أين يقطن بعلها. وأوحت له فى سياق حديثها بأن مغادرته للبيت تشى بعلاقته بالمقاومة الكويتية. من ناحية أخرى أوحت للجيران بأن زوجها سيحتل منصبا فى عهد «الحكومة الثورية الكويتية!!» ونوهت بأن «القيادة القطرية» فى بغداد قد استدعته لاستمزاج رأيه فى المنصب السامى الذى سيسند إليه!.

تناول الجيران روايتها بين مصدق ومكذب.. وتدحرجت الرواية على أرضية القيل والقال فتضخمت بالتواتر كما كرة الثلج المتدحرجة من عل!.

وكانت هذه الروايات تصل إليه عبر صديق له يجاوره فى السكن، ويعرف الأسباب الحقيقية لمغادرته المنزل وسكناه فى شقة لوحده. وكان هذا الصديق يعتقد بأن أسلوبه فى معالجة هذه الورطة، يثير الشبهات والريبة من كلا الطرفين (الكويتى.. والسلطة المحتلة) على حد سواء! لأن الناس- عادة- يحكمون على المرء من الظاهر لا السرائر! وبهذا المعنى فإن غيابه عن البيت والجيران، قد يؤكد أقاويل أم بنيه التى أعمتها الغيرة. فضلا عن أن اختفاءه وعدم دفاعه عن نفسه، يثلم وطنيته بالنسبة للمواطنين الذين لا يعرفونه عن كثب!.

لكن «خالد» لم يقتنع بوجهة نظر صديقه، على الرغم من أنه- فى قرارة نفسه يعتقد بوجاهتها- ربما لأنه من النوع الذى لا يحب مواجهة المشاكل والتصدى لها. فهو يفضل الهروب منها، اعتمادا على أن الزمن كفيل بحلها. ولذا فهو قابع فى الشقة... ينتظر الفرج أن يدق عليه الباب، أو يهبط عليه من ساحق، بدون أن يحرك ساكنا ويفعل شيئا! كان التليفون وسيلة اتصاله وتواصله بالعالم خارج محبسه فى الشقة.. زد على ذلك «عم هريدى» البواب، الذى اعتاد أن يمر عليه عدة مرات فى النهار والليل.. يشاركه الطعام ويؤنس وحشته، ويزوده ببعض الأخبار الداخلية التى يسمع عنها، ويشترى له حاجياته التموينية. ولم يفكر «عم هريدى» البته بسؤاله عن سر

اقامته وحيدا بمنأى عن منزله وأسرته وحيه. لأنه يعتقد بأن هذا التطفل ليس من شأنه ولا شيمته كان «عم هريدى» يطبق الحكمة الهندية الشهيرة «ما رأيت ولا سمعت ولن أتكلم». هكذا نصحه والده الحاج «عبعال: أى عبدالعالى» الذى أفنى عمره فى مهنة حراسة العمارات فى مصر المحروسة ابان العهد الملكى.

وذات ليلة كان فيها «خالد» فى ذروة التوتر والحيرة والتمزق.. إلى درجة أن فكرة الانتحار أستحوذت عليه.. وسكنته! لا سيما بعد أن اتصل بمنزله محاولا السؤال عن عياله والاطمئنان عليهم.. لكن زوجه هبت فيه ثائرة معنفة اياه مكشرة عن أنياب التهديد والوعيد! وكعادته لم يتمكن من احتواء غضبها وغيرتها العمياء.. بل أنه هو الآخر راح يعنفها ويكيل لها السباب ناعتا اياها بألعن الصفات والعيوب والمثالب! متعمدا اثارة غيرتها بالإيحاء لها- عبر الموسيقا الرومانسية الخارجة من جهاز التسجيل- بأنه بمعية «ضرتها» المحتملة! وكان هذا التصرف اللاسوى بمثابة القشة التى قصمت ظهر بعير الحكمة والعقل والصبر. يتذكر أنها أنهت المكالمة الهاتفية بقولها «أتظن أنى لن أعرف مكانك. أنسيت أن أقاربى ضباط فى الجيش والاستخبارات ومن كبار رجال الحزب؟ زين يا «بو وليد» باكر تشوف ايش راح أسوى فيك! والله ثم والله.. إذا ما أحطك فى الحبس أنى ماكون بنت أمى وأبوى! حين أنهت المكالمة راح يفكر فى تهديدها. هو يعرف أنها تعنى ما تقول. من هنا عاودته فكرة الانتحار! خيل إليه أنها الوسيلة الوحيدة لخلاصه! فدخل عليه «عم هريدى» وهو يكرع الراح صرفا كما الماء القراح! روعة المشهد الجديد عليه لكنه وأد دهشة كادت تفلت منه. تذكر نصيحة أبيه فقبع قبالته دون أن ينبس ببهمسة! كان «خالد» يمور ويغلى بمشاعر القهر والقنوط والاحباط والاكتئاب. وكلما أسرف فى الشراب تفاقمت مشاعره الوسواسية الكحيلة، وزادت رغبته فى الانتحار!.

وبخبرة السنين شعر «عم هريدى» بأن «خالد» لا يرغب فى تبادل الحديث معه. لذا سأله وهو يهم بالخروج «مش عايزه منى يا بيه قبل ما أروح؟» نظر إليه الرجل

بعينين زائغتين، وغمغم بعبارات مترنحة بدت لعم يهريدى » كما الكلمات المتقاطعة، فخرج وهو يقول «فتك فى عافية.. سلامو عليكم».

فى الصباح الباكر شاهد عم هريدى «خالد» يساق مخفورا بمعية بضعة جنود، حيث أركبوه سيارة شرطة «النجدة الكويتية» التى استولت عليها سلطة الاحتلال «ضمن مسلسل النهب المنظم لكل ما فى الكويت المحتلة!» قادته السيارة إلى مخفر الشرطة.. فأودع فى الحبس بتهمة «الزنا والعربدة»، ومن ثم نقل إلى سجن فى البصرة «بتهمة» الانتماء إلى المقاومة الوطنية. أما حرمه المصون فقد أشاعت فى الحى بأن بعلها يقطن فى «ضيافة» الحكومة العراقية انتظارا لتعيينه فى منصب رفيع «بالمحافظة التاسعة عشر» فى غضون الأيام القليلة القادمة! وكانت تقول ذلك وهى تتذكر تهديدها له- وابتسامة الشماتة تطل من عينيها (مو قلت لك.. آنى راح أوديك للسجن.. وهذا يا بو وليد خوش مكان لشهر العسل مع هاى اللى تريد تتزوجها).



تحياتي وأشواقي إلى شرفي المصون!

* طار بسيارته على طريق السفر السريع.. متوجها على الطائر المجنون صوب حدود الكويت مع السعودية حين عزم على المغادرة: كان رأسه بدون عقال ولا عقل. اعتمر «غترة»[1] وتلثم بها بدون أن يعرف لماذا! خيل إليه أن القيامة قامت.. «يوم أن يفر المرء من....» نسى بقية الآية الكريمة! الخوف كان رفيقه فى السفر. وكان خوفه يتضخم، كلما تذكر الأخبار التى ترددت بين المواطنين والمقيمين، عن حملات المداهمات التعسفية لمنازل الكويتيين، وانتهاكات العرض وعمليات الاغتصاب والسلب والنهب والحرق والتقتيل، والاعدام الفورى والاعتقال العشوائى والمنظم بذريعة أو بدونها! وكانت هذه الوقائع المرعبة، تتداعى إلى ذهنه طوال سفرته، وكلما حاول الفكاك منها- بطريقة أو بأخرى- اقتحمته وأشعلت جذوة رعبه.

صادف فى طريقه سيارات متعطلة، وأخرى غائصة فى الرمال وحوادث مرورية مفزعه، لكنه لم يتوقف ولم يأبه لصيحات واشارات النجدة التى كان يصرخ بها المسافرون الراغبون فى المساعدة والعون!.

---

(١) غطاء الرأس الذى يوضع عليه العقال.

عيناه ووجدانه وذاكرته تسكنهم الحدود.. مركز الحدود السعودي بس! ولا شيء غيره!.

نسى كل شيء، غل عقله، وأمحت ذاكرته، ومات قلبه، وعميت بصيرته!.

تحول إلى دابة ميكانيكية تطوى الرمال طيا كجلمود صخر حطه الذعر من عل!.

فى مركز الحدود السعودى، كان ضباط الجوازات والجمارك ينظرون إليه بدهشة واستغراب، لأنه قادم لوحده دون أن يكون بمعيته أحد، مثل بقية المواطنين الفارين من جحيم الاحتلال «الصدامى» الهمجى. سأله أحد الضباط «أراك وحيدا.. عسى ما شر؟» ارتج صاحبنا للسؤال على بساطته.. وأخذ «يبولع» فى ريقه دون أن يفصح لسانه عن كلمة واحدة! أمعن الضابط النظر فيه مليا، وراح يتفحصه من هامته إلى كعبية، ثم قال له (أتشكو من شيء؟ هل أنت مريض؟ تبغى نوديك المستشفى؟) لم يرد واستمر صامتا. ختم له الضابط جواز السفر وهو يقول هامسا «لا حول ولا قوة إلا بالله.. حسبى والله ونعم الوكيل.. اللهم لا شماته».

فى مدينة «الخفجى» السعودية أوقفته الفرقة الأذاعية الكويتية التى اعتادت اجراء مقابلات اذاعية مع الوافدين الكويتيين إلى السعودية. لم يكن فى حالة تسمح له بأداء وصلة النداءات اياها. لكن المذيع حاصره قائلا: أنت على الهواء مباشرة مع اذاعة الكويت.. الحمد لله على السلامة ممكن تقول للسادة المستمعين السبب الذى دعاك إلى مغادرة الديرة؟ فى البداية شرع يكح ويتنحنح.. ومن ثم قال: الحقيقة وبصراحة شديدة، غادرت البلاد دفاعا عن عرضى، وحماية لشرفى، وصونا لكرامتى، الخ.... الخ. رد عليه المذيع: مأجور أن شاء الله!! ثم أردف متسائلا: (زين تحب توجه نداء إلى أحد فى الديرة؟!) عاود ثانية نوبة النحنحة والكحة ثم هتف بملء فيه قائلا (أحب أسلم على زوجتى وبناتى وأمى وجدتى وعماتى وخالاتى وخواتى و... و... و...)!!!.

دخول التاريخ من بوابة حديقة الحيوان

* هو نفسه لا يعرف كيف ولماذا ساقته سيارته إلى ذلك المرفق الذى قد لا يفكر أحد بسكانه، وسط حالة الارباك والفوضى والأرهاب والرعب والتوتر والسلب والنهب والقتل والاعتقال، وكافة الممارسات الاجرامية الوحشية، التى قامت بها عصابات المنظمة الإرهابية المستبدة التى تحكم العراق الشقيق برئاسة «العراب المافياوى المهيب» والزعيم الإرهابى القائد «صدام حسين».

كل ما يذكره: أنه- بعد صلاة الفجر من يوم ١٥/٨/١٩٩٠ وجد نفسه يفكر فى فصيلة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى.. اعتاد زيارتها فى منطقة «العمرية» حيث مقر اقامتها وسكناها قبل الاحتلال الغاشم. وفى الثامنة صباحا امتطى سيارته ميمما سيره صوب حديقة الحيوانات فى «العمرية»، وطوال الطريق كان يظن أنه سيجد الحديقة خالية من الحيوانات سيما وأن المعلومات السائدة فى أوساط المرابطين تشى بأن عصابات الاحتلال قد «بلعت الحيوانات الأليفة، وسطت على الحيوانات النادرة، وأعدمت الفصيلة المفترسة أو تركتها تنفق وتموت جوعا وعطشا وقهرا!.

* يقول الشاب «سليمان الحوطى» بأنه فوجىء بالجنود العراقيين واقفين على باب

الحديقة. ولا يعرف لم اكتنفه الاحساس بالتفاؤل لمرآهم! ربما لأن وجودهم يشي بوجود أحد في الحديقة.. الأمر الذي حرضه على أن يتقدم بثقة وثبات طالبا منهم السماح له بتفقد الحديقة. سألوه: ومن أنت حتى تطلب منا مثل هذا الطلب؟! أجابهم: بأنه أحد القيمين المشرفين على ادارة هذا المرفق ورعاية سكانه. ويبدو أن محياه الطيب، ولسانه الذرب، وأدبه الجم ونيته الحسنة لفعل الخير، أقنعت العسكر بصحة مزاعمه على الرغم من أن عمله اداريا في وزارة لا علاقة لها البتة بحديقة الحيوانات.. الحاصل رافقه اثنان من جنود الاحتلال.. وراعه أن أغلب نزلاء الحديقة غير موجودين.. وراعه أكثر أن البقية الباقية من الحيوانات ضامرة مكسورة الخاطر! لكنه سر بوجودها على قيد الحياة أحصى منها بعد أنتهاء جولته العدد الآتي: (٥ أسود و٣ ذئاب ٢ نمور و٣ دببه و٢ فرس نهر احداهما بسنامين وجاموستان وحيوان اللاما واثنى عشر قردا وأنثى الفيل وبقرة واحدة).

* غادرت الحديقة على عجل ثم طفت على أصحاب «جواخير» المواشي حيث اتفقت معهم على تزويدي بالحيوانات المريضة والنافقة، وبعدها رحت إلى شبرة.. وسوق الخضار لأجمع منها الفضلات من صناديق القمامة، فضلا عن ما يتبرع به الخيرون من أعلاف وزاد حيواني.. ومن ثم عدت بنفسي محملا بالطعام الذي يقيم أود الحيوانات المتبقية في الحديقة. وقد لفت نظري أن الحيوانات الأليفة والمفترسة على حد سواء، كانت تجفل لدى رؤيتها للجنود العراقيين! الأمر الذي يدل على أنهم كانوا يعاملونها بقسوة، ويضربونها ضربا مبرحا يصل إلى حد موت البعض منها! وقد تأكد لي ذلك الاحساس حين وجدت- ذات زيارة- أحد الأسود غارقا في دمائه، من جراء جراحه الغائرة في رأسه وصدره وظهره! زد على ذلك- يقول الأخ سليمان الحوطي- أنهم- الجنود العراقيون- كانوا يتندرون ويسخرون من شدة اهتمامي بحياة بهايم لا تستأهل كل هذا العناء الذي أبذله في سبيلها! ومن تحصيل الحاصل: أن أذكر لك بأني لم أحفل بسخريتهم، بل أنها حرضتني على مداومة فعلي بدون كلل ولا ملل. سيما بعد أن ألفت الحيوانات وجودي، وصارت تترقب حضوري! وإذا حدث مرة وغبت عنها- لسبب

أمنى اضطرارى- ثم عدت إليها بعد هذه الغيبة، فإنها تستقبلنى بشوق شديد معجون بالعتاب «الحيوانى» المثير للدهشة!.

* فأنثى الفيل- مثلا- تستقبلنا (بعد أن أنضم- أخى الأكبر على والأخ عبدالله عبدالقادر تيفونى- إلى) بدموع الامتنان والفرح! ولعل أكثر ما ضايقنا- نحن الثلاثة- هو سطو الضباط والجنود المكلفين «بحراسة» الحديقة على طعام الحيوانات! بدعوى أنهم أولى «بالعلف» من البهايم. والغريب أنهم كانوا يبلعون أى طعام (الجنود لا الحيوانات) فيأكلون المواشى الميتة، والمريضة والنطيحة، والمتردية والمخنوقة و«الفطيسة»، التى تثير نتانة رائحتها الغثيان وتسبب الدوخة والأغماء!.

وهكذا صار من المألوف رؤيتنا- نحن الثلاثة- صباح كل يوم محملين بسياراتنا بطعام الحيوانات الأليفة والمفترسة.. طوال أشهر المحنة الماضية. والحق أننا وجدنا فى الحيوانات «إنسانية» أكثر من الحيوانات الآدمية التى تحرس الحديقة! بدليل أننا تمكنا من أقامة علاقة صداقة حميمة مع الحيوانات المفترسة وفشلنا فى ذلك المنحى مع الحيوانات المفترسة الآدمية! ولا نظن هنا بأنى أسميها بحيوانات مفترسة من قبيل المجاز أو المزاج! بل للتعبير عن واقع الحال الذى عايشناه وعانينا منه بشدة من جراء شراسة وفظاظة وقسوة معاملتهم لنا وللحيوانات على حد سواء!.

وأخيرا نحمد الله سبحانه وتعالى: الذى قدرنا على أداء هذه المهمة وبقى علينا أن نشيد بحسن المعاملة التى لقيناها من الضباط والجنود العراقيين الأكراد الذين تولوا الحراسة فى الشهور الثلاثة الأخيرة. فقد سهلوا مهمتنا بصورة جعلتنا ننسى العذاب الذى لقيناه من رفاقهم الذين سبقوهم فى الحراسة.

والعبد لله يحيى ويشيد بجهود الجنود المجهولين الثلاثة (على وسليمان الحوطى وعبدالله تيفونى) الذين دخلوا التاريخ من بوابة حديقة الحيوانات «بالعمرية» وبدافع التطوع الإنسانى الباغى للأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى... فقط لا غيرا[1].

---

(١) هذه الخواطر نشرت فى صحيفة ٢٦ فبراير.



الفهرس



رقم الايداع ٥٢٤٠ / ١٩٩١

I . S . B . N

٩٧٧ - ٢٠٨ - ٠٥٢ - ٤





الكاتب والكتاب



. . . إنها شهادة شاهد عيان،
شاهد المحنة وعاشها
كتبها وسجلها فكانت هذه الوثيقة .

. . غداً عندما يستريح الزمان
وتهدأ العاصفة التي لم تبقِ ولم تذر
لا بد من المحاكمة

. . . غداً يُستدعى الجناة
وعندما يطلب القاضي شهود عيان
سيكون هذا الكتاب :
« شاهداً على زمان الاحتلال العراقي في الكويت»
بما كتب فيه وسجّل، ودوّن وصوّر.

لقد جاء الجزء الثاني تتمة للجزء الأول
مع الإشارة إلى الفترة الزمنية الفاصلة بين الجزءين
والتي أكسبت هذا الجزء مزيداً من الدقة والإحاطة .

مع الأمل أن يتوج الجزء الثالث عمل الكاتب
والذي سيصنف في خانة الوثائق
خدمة للتاريخ وللأمة جمعاء .
لعلها تكون مساهمة متواضعة بإنارة
بعض الجوانب المظلمة لما مضى وعبرةً لما سيأتي .

